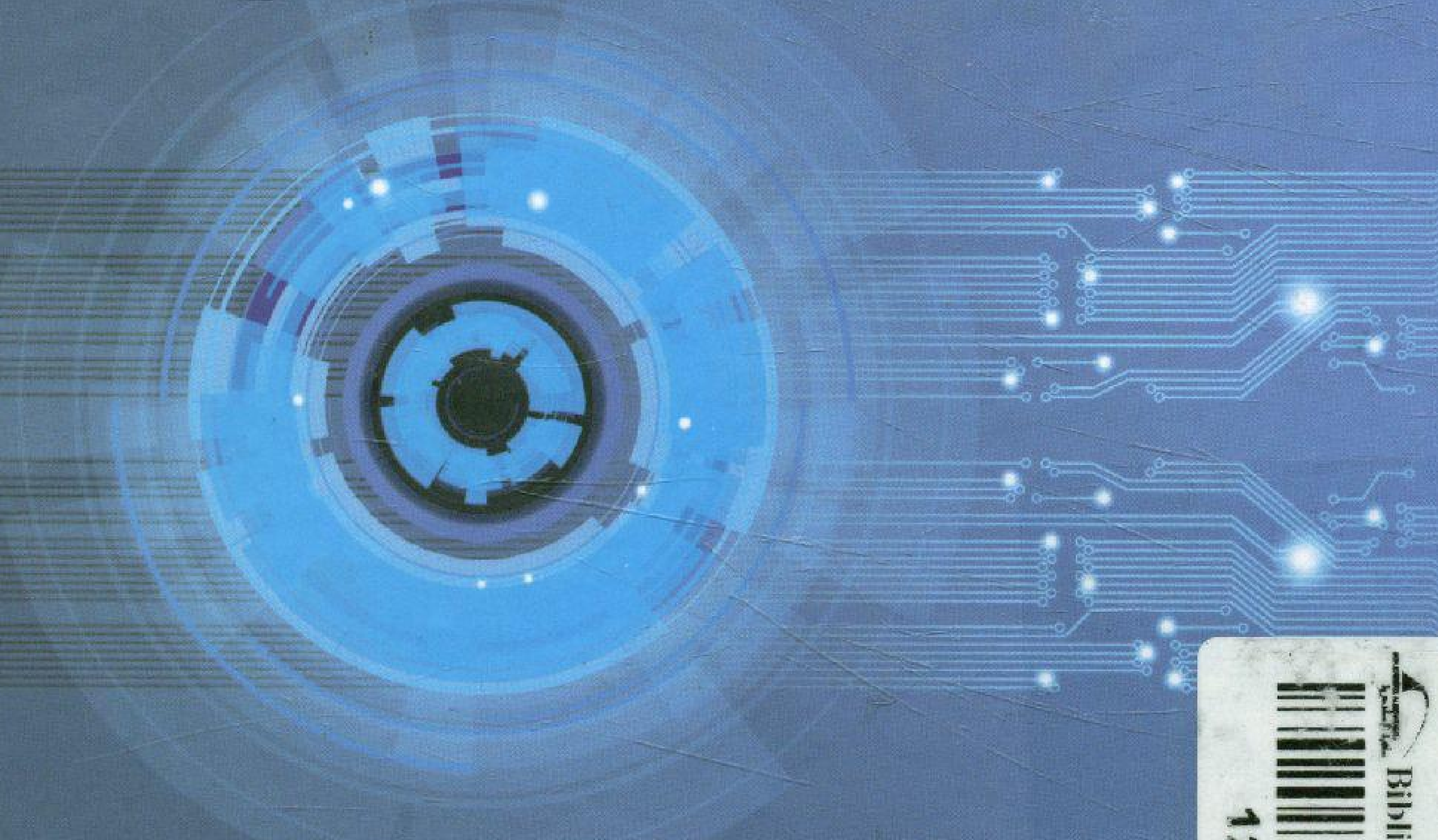
الإعلام
والفضاء الألكتروني



صلاح عبد الحميد
د. يُمنى عاطف



الأعلام والفضاء الإلكترونى

تأليف

صلاح عبد الحميد

د. يمنى عاطف

طبعة 2015

عبد الحميد ، صلاح.

الأعلام والفضاء الألكتروني، /صلاح عبد الحميد – ط ١.- الجيزة: اطلس للنشر والانتاج الاعلامي، ٢٠١٤ .

٢٢٠ ص ,٢٤ سم

تدمك: ٠ ٣٤٥ ٣٩٩ ٩٧٧ ٩٧٨

١- الاعلام

أ - العنوان

٠٠١,٥

الأعلام والفضاء الإلكترونى

تأليف

صلاح عبد الحميد

د. يمنى عاطف



مجلس إدارة
عادل المصري
رئيس مجلس الإدارة
التنفيذي
نوارن المصري
رقم الإيداع
٢٠١٤/٢٦٥٣٧
الترقيم الدولي
٩٧٨-٩٧٧-٣٩٩-٣٤٥-٠
الطبعة الاولى
طبعة 2015

الكتاب : الاعلام والفضاء الألكترونى

المؤلف : صلاح محمد عبد الحميد

الغلاف : اسلام حمدى

الناشر: أطلس للنشر والإنتاج الإعلامى ش.م.م

٢٥ ش وادى النيل – المهندسين – الجيزة

atlas@innovations-co.com

www.atlas-publishing.com

تليفون : ٣٣٠٢٧٩٦٥ – ٣٣٠٤٢٤٧١ – ٣٣٤٦٥٨٥٠

فاكس : ٣٣٠٢٨٣٢٨

****

مقدمة

مجتمع المعلومات وظاهرة الفضاء الإلكتروني

أصبح للفضاء الإلكتروني دور في صناعة وتشكيل الرأي العام ليس فقط على المستوى المحلي بل العالمي، وساعد على ذلك زيادة الارتباط العالمي بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وأصبح هناك ما يزيد على مليار مُستخدم للإنترنت وما يزيد على ٤ مليار مستخدم للهاتف المحمول عالميًا وخاصة بين فئة الشباب الأكثر نشاطًا ودراية بها، وبما انعكس في ظهور فاعلين كثيرين في تشكيل الرأي العام، وذلك بعد تفكك سيطرة الدولة لوسائل الإعلام والحد من قدرتها على التعبئة وحشد للجماهير، وساهم الإعلام الجديد في بروز دور الأفراد والجماعات الذين يُمكنهم من استخدام الفضاء الإلكتروني لنقل وتبادل وإنتاج المعلومات ونشرها بين قطاع عريض من الجمهور، وبما يفتح ذلك المجال للتأثير في أولويات القضايا لدى الرأي العام وطبيعة ونمط الفاعلين، وطبيعة التأثير على تشكيل الرأي العام وطبيعة المُساهمين فيه، وذلك مع بروز الإعلام الإلكتروني بطابعه الفردي أمام الإعلام الحكومي الذي كان يُسيطر ويؤثر في تشكيل الرأي العام ومن ثم حدوث التعبئة والتجنيد والتأييد لسياسات الحكومة المحلية، ومكن الإعلام البديل الأفراد من صنع وسيلة إعلام خاصة بهم سهلة الانتشار ورخيصة التكلفة، وتتميز بالتنوع الإعلامي على شكل نص أو صوت أو صورة أو فيديو كليب.

ودفعت تلك الأدوات الجديدة إلى استخدامها بشكل إيجابي في تحقيق نوع من التواصل الإنساني بين العديد من التجمعات البشرية والأفراد من كافة أنحاء العالم، وأصبحوا يجتمعوا حول قضايا مُشتركة تؤثر فيهم ويؤثرون في انتشارها ودعمها، وذلك في ظل حوار ندي بين العديد من الأفراد حول العديد من القضايا المحلية والعالمية، ومن جانب آخر كان لاستخدام تلك الأدوات جانب سيئ في استغلال طابع الإعلام الإلكتروني الفردي في تغذية العنف والكراهية وبث الشائعات والحرب النفسية وتضليل الرأي العام بالإضافة إلى المُساهمة في إظهار نمط جديد من الجرائم.

وجاء هذا مع المساعدة في توفير أدوات للرأي والتعبير أمام الجمهور تتميز جميعها بالسهولة والانتشار وقلة التكلفة سواء أكانت في شكل إنشاء مواقع على الإنترنت أو الرسائل النصية القصيرة أو المدونات أو غرف الدردشة أو المجموعات البريدية، أو استخدام الهاتف المحمول أو استطلاعات الرأي الإلكترونية أو التعليقات الإلكترونية على الأخبار أو الأحداث أو عن طريق نشر المقالات عبر الفضاء الإلكتروني أو ما يتعلق بالتطور في تقنية استطلاعات الرأي العام عبر الاستثمارات الإلكترونية أو الاستطلاع عبر المواقع.

وعبرت تلك الأدوات عن ثورة في الأداء الديمقراطي ما بين الحاكم والمحكوم أو ما بين الرأي العام المحلي والآخر الدولي أو حتى ما بين المُختلفين عرقيًا أو دينيًا أو ثقافيًا بشكل يعكس ثورة معلومات مُتدفقة مقابل رأي عام سريع التلقي والتأثير وبروز العديد من القضايا التي تُشكل أجندة الرأي العام وفي نفس الوقت بروز العديد من الفاعلين في التأثير وذلك مع اتساع القاعدة الجماهيرية التي تُشكل المُستقبل للرسالة الإعلامية. وطرح ذلك إشكاليات تتعلق بمدى تأثير الفضاء الإلكتروني على تشكيل الرأي العام؟ وإلى أي مدى أصبح له دور في زيادة المُساهمين في تشكيل قضايا الرأي العام، وفي أولويات المجتمع؟ وعلى درجة الاستجابة للأحداث المحلية والدولية وعلاقة ذلك بالاستقرار داخل المجتمع الدولي؟ وما هو دور الفضاء الإلكتروني في بث الكراهية الدينية والشائعات مقابل دوره في بث التسامح والسلام؟

وما هو أثر الفضاء الإلكتروني في توفير أدوات جديدة لقياس الرأي العام وما هي فاعليتها مع تدفق المعلومات السريع والمتواصل ووجود العديد من المؤثرين فيه؟ وما هي مُحددات وفرص تأثير الفضاء الإلكتروني على الرأي العام وتغيير الاتجاهات والقيم؟ وكيف يُمكن توظيف الفضاء الإلكتروني كوسيلة وسيطة لنقل مطالب الجماهير ومن ثم تحقيق الشرعية والاستقرار؟

بروز مجتمع المعلومات العالمي:

تعرض العالم المُعاصر إلى عدد من المُتغيرات التي كان من أهمها تنامي ظاهرة العولمة التي تقوم على الارتباط الشديد بين دول العالم، وكان لتلك الظاهرة أدواتها التكنولوجية، وكان منها التطور الهائل في وسائل الاتصال والإعلام، وأدت هذه الثورة إلى تحويل العالم بطابعه المادي «Real World» إلى عالم رقمي وافتراضي «Virtual»، حيث انتقلت كافة مجالات الحياة لتأخذ طابعًا رقميًا يدور في فلك الفضاء الإلكتروني، وظهر مجتمع المعرفة المبني على ثورة المعلومات والمعرفة، وشهد العالم اتجاهًا لانتشار الموجة الديمقراطية والتوجه نحو اقتصاد السوق، كما كان لذلك من انعكاسات على القيم والمعتقدات والأفكار.

ولم يسهم فقط انتشار تكنولوجيا الاتصالات الحديثة، مثل الإنترنت والإعلام العالمي في تجاوز الحدود ومحاولات النظم الشمولية السيطرة على انسياب المعلومات، وإنما أسهم كذلك في إرباك الثقافات السياسية التقليدية والقائمة على الطاعة العمياء للنظام الحاكم من قبل المواطنين. في مُقابل دور الإنترنت في تعزيز عملية تشكيل الشبكات الأُفقية وتحرير الاتصالات ودعم ثقافة النقاش المفتوح. مما أدى ذلك إلى الوقوف بالضد من الثقافات السياسية التي تتسم بالتراتبية والسيطرة من الأعلى التي لا تزال قائمة في بعض بلدان العالم.

وذلك مع ظهور أشكال متنوعة من الاتصالات تتجاوز الحدود القومية للدول ومفهوم السيادة بشكله التقليدي وفيما يُطلق عليه «إعلام العولمة»، والذي يعني «التعظيم المُتسارع والمذهل في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما تُقدمه تكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين هذه الوسائل بهدف دعم وتوحيد ودمج أسواق العالم وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة، وهذا على حساب دور الدولة في المجالات المختلفة».

ويُمثل الإعلام العولمي آلية أساسية للعولمة الاقتصادية باعتبارها تيسر التبادل الفوري واللحظي للمعلومات وتوزيعها على المستوى الكوني، بالإضافة إلى أن الطابع الدولي للمعلومات أصبح له دور في قيام وسائل الإعلام بالترويج للإيديولوجية الليبرالية الكونية انطلاقًا من الدول الكبرى والمؤسسات الاقتصادية العملاقة مما يُساهم في خلق أشكال جديدة من التضامن والتعاون بين الأفراد عبر الشبكات الدولية من أجل تحقيق أهداف وقيم مشتركة.

إن التطور العلمي والتكنولوجي المُتلاحق والمُتصاعد فرض أيضًا تغيُّرًا وتبدُّلاً في الطريقة التي يعيش بها الناس في شتى أنحاء العالم، وانعكس ذلك في التغيير على أنماط سلوك الناس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وأيضًا في الطرق والوسائل التي يُعبرون بها عن أفكارهم ووجهات نظرهم والدفاع عن مصالحهم، وقد أثر التطور فيما يتعلق بالمعلومات والاتصال أثرًا مهمًّا فيما يتعلق بالديمقراطية كنظام وآلية للحكم والتي من خصائصها المُشاركة الحقيقية في اختيار الحكام والمسئولين واتخاذ القرارات، والحرية الكاملة في التعبير عن الرأي، واحترام حقوق الإنسان والتقويم الحقيقي للأداء والفعالية في المُحاسبة وتصحيح الأخطاء.

- **بروز ظاهرة الفضاء الإلكتروني:**

تُستخدم كلمة Cyber مقترنة بكلمة Space لتُعبر عن أشهر تعبير في عصر المعلومات، واستُخدمت Cyberspace للتعبير عن الإنترنت في عام ١٩٩١، وأصبح هذا المفهوم أشمل وأوسع من الإنترنت ليضُم كل الاتصالات والشبكات وقواعد البيانات ومصادر المعلومات، وأصبحت بنية النظام الإلكتروني تعني المكان الذي لا يُعد جزءًا من العالم المادي أو الطبيعي حيث إنها ذات طبيعة افتراضية رقمية إلكترونية تتحرك في بيئة الكترونية حيوية تعمل من خلال خطوط الهاتف وكابلات الاتصالات والألياف البصرية والموجات الكهرومغناطيسية. ووصف «وليام جيبسون» العالم الإلكتروني بأنه «عبارة عن شبكات

الكمبيوتر والاتصالات الإلكترونية وهو عبارة عن شبكة كمبيوتر خيالية تحتوي على كم هائل من المعلومات التي يُمكن الحصول عليها لتحقيق الثروة والسلطة.

وتقترب العلاقة بين العالم المادي والعالم الواقعي بحيث يحصُل مستخدمو الكمبيوتر على خبرات لا وجود لها يكتسبونها عن طريق هذا الاستخدام فتؤثر بذلك المكونات الإلكترونية على العالم المادي والذي يُمكن أن نسمعه ونراه ونحسه ونتأثر به ونقرؤه، وأصبحت قوة الكمبيوتر والشبكات تتزايد عامًا بعد عام لتجعل من السهولة إدراك وجود هذا المكون الإلكتروني، وهذا ما جعل الناس يرون في الفضاء الإلكتروني على أنه عالم موازٍ للواقع الذي نعيش فيه، ويعد الفضاء الإلكتروني عبارة عن فيض رقمي من المعلومات لا يعتمد كليًا على البيئة المحسوبة التي توفرها شبكات المعلومات بل تتعامل أيضًا بكثافة مع مفرداته مثل: سرعة تناقل البيانات وصلاحية الدخول إلى الشبكة بالإضافة إلى المعالجات التي تتناول البيانات المتدفقة ضمن البيئة الإلكترونية».

والفضاء الإلكتروني شأنه شأن ظاهرة الفضاء التقليدية التي تتألف من أربعة مكونات رئيسية هي المكان والمسافة والحجم والمسار، ويعبر محتواها عن طبيعة وجود هذا المحتوى، ويتميز هذا الفضاء الإلكتروني بغياب الحدود الجغرافية وغياب الحكم القاهر لعنصر الزمن. ويتطلب ذلك العالم الافتراضي لوجود هيكل مادي من أجهزة الكمبيوتر وخطوط الاتصالات، ومن ثم فإن ما يعمل داخل هذه الأجهزة يمثل نمطًا من القوة والسيطرة، حيث تصبح القيمة الحقيقية للفضاء الإلكتروني هي القدرة على الاستفادة من كم المعلومات الموجودة داخله والمساهمة والتحكم بها في إطار وشكل إلكتروني.

والفضاء الإلكتروني عبارة عن مجال طبيعي ومادي، ويرى آخرون أنه ذا طابع افتراضي حيث يرونه بأنه «تلك البيئة الافتراضية التي تعمل بها المعلومات الإلكترونية والتي تتصل عن طريق شبكات الكمبيوتر، كما يُعرف بأنه ذلك المجال الذي يتميز باستخدام الإلكترونيات والمجال الكهرومغناطيسي لتخزين وتعديل أو تغيير البيانات عن طريق النظم المُتصلة والمُرتبطة بالبنية التحتية الطبيعية.

ويُشير الفضاء الإلكتروني كذلك إلى مجموعة المعلومات المُتوفرة إلكترونيًا، ويتم تبادُلها وتشكيلها في مجموعات بناء على استخدامها، ويعمل الفضاء الإلكتروني تحت ظروف مادية غير تقليدية حيث يكون الفضاء الإلكتروني وسيطًا عبر العمل من خلال أجهزة الكمبيوتر وشبكات الاتصال حيث يختلف عن الجو أو الفضاء الخارجي في أن الفضاء الإلكتروني يعمل وفق قوانين فيزياثية مُختلفة عن قوانين الفضاء الخارجي، فمثلاً لا تزن المعلومات شيئًا ولا تمتلك كُتلة مادية، وبإمكان المعلومات أن تظهر للوجود وتختفي منه ويتم تعديل وتبادل المعلومات خلال نظم مُرتبطة بالبنية التحتية. ويتعامل الفضاء الإلكتروني مع المعلومات والتي تتوقف فائدتها إما من خلال تفاعلها مع غيرها من المعلومات أو إنتاج معلومات جديدة أو معلومات متوارثة تتفاعل داخل هذا الفضاء وخارجه، وتشمل إما معلومات صحيحة أو مُضللة، وليُصبح التدفُق الهائل للمعلومات داخل الفضاء الإلكتروني لا يقل عن قيمة هذه المعلومات، وترسم طرق الحصول على هذه المعلومات شكل السُلطة والقوة والتي تنقسم لمعلومات مجانية مُتوافرة لمن يُريدها وأخرى تجارية متوفرة لمن يرغب بالدفع.

وهناك المعلومات الإستراتيجية المتوفرة لمن يسمح له بمعرفتها فقط، وبإمكان هذه المعلومات داخل الفضاء الإلكتروني أن تتكرر بدون أي تكاليف، وبالإمكان تجميعها دون تدخل من البشر، وبالإمكان أن تنتقل من مكانها المادي، ولا يُمكن أن تُقتل ولكنها تقوم بذلك عندما تُستخدم للتأثير من قبل لاعبين ماديين، ونظرًا للطبيعة غير المادية للمعلومات فإن وضعها في الفضاء الإلكتروني يجعلها مُتوافرة ومُتاحة للجميع عالميًا، وبذلك يُعد الفضاء الإلكتروني وسيلة ورسالة حيث تتخذ المجتمعات شكلها وفقًا لطبيعة الوسائل التي يتصل عن طريقها الأشخاص بدلاً عن مضمون هذه الاتصالات.

والفضاء الإلكتروني أكبر من الإنترنت لأنه يتضمن أيضًا قدرات مثل توجيه الطاقة التي توجد في جزء من الموجات الكهرومغناطيسية، ويُعد الفضاء الإلكتروني مكونًا مُنشئًا أي تم بناؤه من خلال الشبكات وأجهزة الكمبيوتر، وهو مُنتشر في أماكن مُتعددة في نفس التوقيت.

ويُعد الفضاء الإلكتروني مجالاً عامًا وسوقًا مفتوحة، ويُدلل على وجود شبكة من التواصل والعلاقات بين من يستخدمونه ويتفاعلون معه مع انتقال كافة مجالات الحياة من إعلام وصحة وتعليم وحكومة والمواطنة والاقتصاد والسياسية إلى الفضاء الإلكتروني فيما يشبه بالحياة الأخرى، إلى جانب ذلك أصبح الفضاء الإلكتروني وسيطًا ووسيلة في نفس الوقت لشن الهجوم وتنفيذ الأعمال العدائية بين الخصوم كغيره من مجالات الجو أو الفضاء أو البحر ليُصبح وسيطًا جديدًا للصراع، ويحوي الفضاء الإلكتروني كمًا هائلاً ومُتسعًا عبر الشبكات ونظم المعلومات واتصاله وتداخله مع الفضاء الخارجي والأقمار الصناعية.

ويتكون الفضاء الإلكتروني من المكون الأول الطبيعي أو المادي والذي يتمثل في الأسلاك والمُحولات والبنية التحتية المعلوماتية كالكابلات، والمكون الثاني يتمثل في المحتوى والذي يعكس شكل المعلومات في الفضاء الإلكتروني، أما المكون الثالث فيتمثل في عملية التوصيل بين المعلومات والبشر ويرتبط بتصورات الناس وثقافاتهم.

ولا يتكون الفضاء الإلكتروني فقط من شبكة من الاتصالات، بل يتكون كذلك من المعلومات التي تنتقل من خلال هذه الشبكة أيضًا، وأهم ما يُميز مجتمع المعلومات هذا هو أن المعلومات المتوافرة لها قيمة اقتصادية وقيمة ميدانية بالنسبة إلى الجهات العسكرية، وكلما زادت الفاعلية في إدارة تلك المعلومات كلما زادت الفائدة التي يُمكن الحصول عليها، وأصبح تفوق المعلومات إحدى القيم الأساسية للقوة العسكرية وأصبحت المعلومات مجالاً للسيطرة والتحكم.

الفصل الأول

تداول المعلومات وتشكيل الوعي السياسي

مدخل أولي:

إن هذا البحث يستغرق كل الثورة المعلوماتية وثورة تكنولوجيا المعلومات وثورة العولمة، ومن ثم أسر الوعي البشري المعاصر في إطار كل تلك المتغيرات، فالإنترنت كآلية من آليات تكنولوجيا المعلومات بما تعنيه من كمبيوتر وما يتبعه من استخدامات لآليات البحث على صفحات الإنترنت، إنما هو منظومة معلوماتية أيضًا بما تعنيه هذه المنظومة من ثقافة وتجارة ومجتمع، كما أن العولمة كما تقودها الإنترنت نفسها كمنظومة معلوماتية وأداة سيطرة على وعي الشعوب ومحركات السلوك الفردي والجماعي، إنما هي أخطر زلزال تقع فيه البشرية اليوم ولا سابق له في التاريخ.

إذن فالبحث يحتاج إلى مساحة معرفية واسعة بكل هذه الآليات والتقنيات والمعلومات وانعكاسها على تشكيل الوعي الجماهيري المعاصر وخاصة الوعي السياسي، وبالتالي فإن أي بحث يحاول أن يغطي كل هذه المفردات والمساحات من معلوماتية إلى تقنيات إلى إغراق الوعي الإنساني وشبكته العصبية تقود بالتالي إلى سلوك مبرمج عبر النظريات النفسية وصولاً إلى البرمجة الكاملة التي تسود جميع هذه المعطيات العلمية والتقنية، وكأنما هدف هذه الحضارة التي أطلق عليها البعض حضارة الحاسوب والإنترنت هو اصطياد السلوك الإنساني وتدجين الإنسان ضمن سلوكيات تجارية وإعلامية واجتماعية ونفسية محددة.

لهذا السبب فإننا لا يمكن أن نغطي البحث بكل تفاصيله إلا من خلال لغة حديثة تعتمد اللغة المركزة والتوصيف المختصر البليغ المعبر بأقل ما يمكن من الكلمات والجمل عن أعمق وأكثر ما يمكن من الأسباب والنتائج ووجهات النظر.

إن أول عمل يمكن أن ندخل به هذا البحث الواسع هو التعريف بالمصطلحات التي سنستخدمها والتي قد تستغرق الإجابة عن بعض تساؤلات البحث، فمن يدخل هذا

الوسط عليه أن يحدد معاني الإنترنت، المعلومات، الوعي، والعولمة، وبدون تحديد هذه المعاني والمصطلحات لن نستطيع أن نبحر في هذا البحر الواسع من المعلومات وعصر العولمة وبرمجة السلوك عبر تشكيل الوعي.

الإنترنت آلية معلوماتية وتقنية اتصالية:

لو حاولنا أن نستعرض كل التعريفات التي عرفت بها شبكة المعلومات الدولية -الإنترنت- لاستغرق منا مساحة كبيرة تتجاوز قدرة هذا البحث ومساحته المتاحة علماً أن لكل تعريف هدفًا محددًا حسب غاية المعرف؛ لذا فإننا سنقف على بعض التعريفات التي تخدم البحث، أي تعريفات ذات طابع معلوماتي أولاً، وذات طابع تقني ثانيًا، فماذا نجد لدى الباحثين في هذا المجال؟

يعرف الخبير المعلوماتي الدكتور نبيل علي ظاهرة الإنترنت كمنظومة من خلال المنظور الثقافي لها بقوله: «الإنترنت أو شبكة الشبكات تحدث كثيرون -مفكرون وإعلاميون وفنيون- عن الإنترنت، ذلك الماموث الشبكي الكبير ذو الفضاء المعلوماتي المتناهي الضخامة الدائم الامتداد والانتشار، والذي يقدر عدد رواده بـ ٨٠٠ مليون نسمة بحلول عام ٢٠٠٤، إنها تلك الغابة الكثيفة من مراكز تبادل المعلومات التي تختزن وتستقبل وتبث جميع أنواع المعلومات في شتى فروع المعرفة؛ وفي جوانب الحياة كافة من قضايا الفلسفة وأمور العقيدة إلى أحداث الرياضة ومعاملات التجارة، ومن مؤسسات غزو الفضاء وصناعة السلاح إلى معارض الفن ونوادي تذوق الموسيقى، ومن الهندسة الوراثية إلى الحرف اليدوية، ومن البريد الإلكتروني إلى البث الإعلامي، ومن المؤتمرات العلمية إلى مقاهي الدردشة وحلقات السمر، ومن صفقات بورصة نيويورك إلى مآسي المجاعات والأوبئة في أرجاء القارة السوداء». [1]

---

[1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٩٢-٩٣

إنها إذن تغطي كل مساحة المعرفة الإنسانية، وإقامة علاقة بين الإنسان وعالمه وأشيائه، أي أنها بتعبير الدكتور نبيل علي أصبحت (نافذة الإنسان، يواجه من خلالها العالم على اتساعه بحيويته المتدفقة وديناميايته الهادرة، وإشكالياته المتجددة المتشابكة والمتراكمة.. إن شبكة الشبكات هذه تعيد صياغة العلاقة بين الإنسان وعالمه، بين الفرد ومجتمعه، بين ثقافة المجتمع وثقافات غيره، لقد أصبحت الإنترنت بكل المقاييس ساحة ثقافية ساخنة ووسيطًا إعلاميًا جديدًا، ومجالاً للرأي العام مغايرًا تمامًا لما سبقه).

ولو استخدمنا صيغة التشبيه لتقريب بعض من مفاهيم ومعاني الإنترنت لقلنا إنه حينما يدخل إنسان إلى مكتبة فيها ملايين الكتب فإذا أراد قراءتها لاستغرقه عمر البشرية كلها قبل أن يكمل قراءتها، فكيف يستطيع التعرف على ما فيها من معلومات تعنيه ويحتاجها في حياته ووظيفته ومعيشته؟

هنا هي مكتبة المعلومات اللانهائية قياسًا على عمر الإنسان، فهو لا يستطيع أن يستفيد من هذه المكتبة على غناها إلا بآلية الفهرسة المكتبية المعروفة ليعرف على الأقل مكان كل علم أو معرفة أو تخصص، ولكن حتى لو اختار التخصص ووجد مكانه فإنه سيجد آلاف الكتب، فكيف يستطيع أن يتصفحها أو حتى على الأقل قراءة فهارسها ليحدد ما يريد منها، إنه لا يستطيع ذلك لأن هذه الطريقة عشوائية إضافة إلى مساحتها الكبيرة، من هنا كان لا بُدَّ أن يجد آلية تعرفه بسرعة فائقة على ما يريد استعراضه من مضامين هذه الكتب دون أن يمد يده لتصفحها وتقليب صفحاتها.

هذا التشبيه المقرب لعمل الإنترنت والحاسوب الذي يشتغل عليه، ومن ثم الخادم الذكي الذي يبحث له عن مفاتيح المعلومات والمعرفة التي يريدها من هذا الكم اللانهائي من الكتب. لقد فتح الإنترنت المكتبة أمامك لتتصفح ما تريد منها بسمة خارقة قياسًا إلى التصفح اليدوي والقراءة الميكانيكية، ولو حاولنا أن نستعين بالأرقام لقياس كم المعرفة والمعلومات المتوفرة اليوم مقارنة بعمر الإنسان القارئ لوجدنا الصورة أوضح حيث تقول الأرقام ما يلي:

يقول علماء المعلوماتية عن انفجار المعارف وفيضانها –إن مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف أول مرة سنة ١٧٥٠، ثم تضاعف سنة ١٩٠٠، ثم تضاعف سنة ١٩٥٠، ثم تضاعف سنة ١٩٦٠ ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحى أسيًا غير مسبوق في تاريخ البشرية، ومعنى هذا أن العالم قد أنتج من المعلومات خلال الثلاثة عقود الأخيرة فقط ما لم ينتجه طيلة خمسة آلاف سنة، ومعناه أيضًا أن قارئًا قادرًا على قراءة ألف كلمة في الدقيقة يقرأ لمدة ثماني ساعات يوميًا، يحتاج إلى شهر ونصف لقراءة إنتاج يوم واحد، في الوقت الذي يجد نفسه قد تأخر خمس سنوات ونصف عن مواكبة إنتاج المعلومات."[1]

إذن كان على الإنترنت أن يقدم خدمته عبر الانتقال من الباحث البشري إلى الوكيل الآلي الذكي بعد أن أصبحت المعلومات أكبر من أن يحصيها أحد، إنه الفيضان المعلوماتي الذي لا يمكن لأي قدرة بشرية طبيعية أن تستوعبها إلا أن الإنترنت يقدمها سهلة مبرمجة تتناسب وعمر الإنسان ومدى قراءته. لقد فتح الإنترنت بوابات الفيضان المعلوماتي على مصاريعها لتصبح مشكلة الإفراط المعلوماتي من أخطر المشاكل التي نواجهها حاليًا، وأصبح في حكم المؤكد استحالة التعويل على الوسائل البشرية وحدها لمسح الشبكة دوريًا بحثًا عن المعلومات المطلوبة، وكان لا بُدَّ من أتمتة هذه العملية، وذلك باللجوء إلى ما يسمى بالروبوت المعرفي knowbot أو البرمجي softbot بصفته وكيلاً آليًا يحال إليه القيام بهذه المهام الروتينية الشاقة.

إن الروبوت المعرفي هو –شغال– الإنترنت المطيع الدءوب الدائم التجوال بين أرجاء الشبكة لتنفيذ المهام الموكلة إليه، وبالوكيل الآلي ليس الروبوت الغشيم بل له نصيب من الذكاء الاصطناعي يمنحه القدرة على التحليل والاستنتاج والتوقع، وله أيضًا استقلالية في اتخاذ القرارات وفقًا للسلطات المخولة إليه، وإقامة الحوار مع زملاء عشيرته ليعملوا كفريق عمل متكامل أقرب ما يكون إلى عمل مملكة النمل"[1] .

---

[1] في الثورة الإعلامية والمعلوماتية المعاصرة يحيى اليحياوي عن الإنترنت.

[1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص١٠١-١٠٢

لقد عانى الباحثون كثيراً من عدم القدرة على فهم وفقه معنى الإنترنت وهو يعمل على إيصال كم المعلومات الهائلة في سرعة ضوء خارقة في برمجة ذكية، حتى إن أحد الباحثين وضع عنواناً فرعياً لبحثه سماه «تعريفات الإنترنت العالمية اللغات السريعة» قال فيه: لا تحصى تعريفات الإنترنت وشروحها الكثيرة، فهي تشكل مادة العصر وتطبعه لا تعود لأحد بل للعالم كله، توحد الجماعات وتفتح آفاق المعرفة وتنمي بساطة الحشرية... وتفتح -النوافذ – مساحات اتصال واسعة كانت غير مباحة من قبل تجعل المرء لا يعرف أين يحط الرحال وقد ينسى من أين جاء قبلاً ...إنها الشبكة المتحررة من كل العوائق والقوانين والشروط اللغوية، إنها مجانية وتدافع في المطلق عن حريات التعبير حتى الاتصال يتم بأسماء مستعارة إذا شئنا، ويصبح الإنترنت بهذا المعنى الواجهة التجارية العالمية للاتصال بالخارج، وضعت حداً نهائياً لتاريخ المرسل في الإعلام وحتى لا يفرض فريق ثقافته وإعلامه في وقت معين..

هكذا ينتهي تاريخ الازدواجية بين الإنتاج والاستهلاك، ويتمكن أي فرد من تأسيس بنك معلومات خاص به يطرحه وفقاً لمزاجه وأوقاته ومراميه، والإنترنت هو السوق العالمية والثقافية الواسعة، ومكتبة العالم الخيالية، وهو حاجة معاصرة، وأهم تطور ثقافي منذ سيطرة الإنسان على النار... لكنها سيطرة مستجدة تقتل لغاتنا المألوفة الجميلة وفي الوقت نفسه تجذبنا نحو لغات ومفاهيم اتصالية.

كان من المستحيل إيجاد إبرة في قفة من التبن، وسقطت الصورة مع الإنترنت حيث يمكننا أن نجد ما نريد تحت نقرة الفأرة تأخذنا إلى ملايين المفاتيح الجاهزة، كلمات تفتح نوافذ لا تنتهي من المعرفة، فالإنترنت هو نهاية الجغرافيا والخلاص من محددات السجون التي طبعت الكرة والحدود، وهو غزو العقول وتكييف المنطق وتوجيه الجمال وصنع الأذواق وقولبة السلوك، وترسيخ قيم عالمية جديدة، وهو الذي تنقلنا من القبيلة الضيقة إلى القبيلة البشرية الكبرى، ويمنحنا الثقافة السريعة، ويجعل بمتناولنا المعارض السريعة

والفن والرسم والموسيقى، وهو الملاذ الوحيد الواسع لديمقراطية المعرفة في الأمكنة والأزمنة كلها ومن دون قيود، ويبدو أنه التجسد الفعلي للقرية الإعلامية الإلكترونية التي رددها الناس .. وانتظروا حلولها مثل الأحلام.

لقد بات الإنترنت من الوسائل الناجحة لتحقيق نزعات القوى الدولية نحو العالمية أو الكونية، وأظهرت بصورة جلية اقتصاد عصر المعلومات التي لا تنقص خلافًا للموارد المادية، بل تزيد مع تزايد استهلاكها[1]

لقد بدأ العصر يوصف بأنه عصر الإنترنت للأثر الكبير الذي تركته هذه الشبكة على واقع الإنسان اليوم، وقد اعتبرها البعض أعظم ثورة بعد الثورة الصناعية حيث يقول أحد الباحثين: يشهد العالم منذ ما يزيد على ربع قرن ثورة علمية وتكنولوجية فاقت في أهميتها وتأثيراتها ونتائجها ثورة القرن الثامن عشر الصناعية في أوربا، هذه الثورة كان الإعلام الإلكتروني والاتصال والمعلوماتية من أبرز مظاهرها، فقد أكدت العديد من الدراسات أن شبكة المعلومات العالمية injernetion net wark هي أهم وأعظم ما أفرزته التطورات الهائلة في مجال تكنولوجيا المعلومات والاتصال tic والتي أسهمت في إحداث تأثير بالغ الأهمية في ظرف زمني قصير جداً لا في بيئة وسائل الإعلام والاتصال فحسب بل أيضاً وبشكل جذري في جميع أنماط التعامل وأساليب التفكير والحياة، كما يؤكد ذلك محمد العمر .. الإنترنت أوجد أنماطًا لا للتواصل والعمل والتجارة فحسب، إنما نمط جديد للحياة يفرض تحدياته على الأنماط التقليدية التي ألفها الناس من قبل في كل شيء وأهم ذلك إمكانية الوصول إلى بحر لا تعرف شواطؤه من المعلومات.

ويطلق الدكتور إجقو علي على الإنترنت بأنها ثورة ثقافية وليس مجرد ثورة تقنية حيث يرى أن من بين الاستخدامات التي برزت بشكل كبير منذ بداية ما يمكن تسميته عولمة الإنترنت ما قامت به وسائل الإعلام المختلفة والتي استطاعت الاستفادة بدرجات

---

[1] الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص٢٨٦-٢٨٧

متفاوتة من إمكانيات الوسيلة التكنلوجية، ويقارن بين وسائل الإعلام الأخرى كالراديو والتلفاز يبرز تطور ونمو هذه الشبكة حيث يرى أن المذياع احتاج إلى ٨٣ سنة حتى أصبح لديه مليون مشترك، بينما احتاج التلفاز إلى ٥١ سنة، في حين أن شبكة الإنترنت لم تحتج سوى بضع سنوات إن لم نقل أربع لتخطي الحواجز.

إن العالم الثقافي والفكري والحضاري عموماً الذي صنعته شبكة الإنترنت اليوم يتجاوز المفردات البسيطة التي ينبئ عنها نقل المعلومات عبره إلى حيث بدأ المجتمع كلياً يتغير، فأصبح مجتمعاً إنترنيتياً اتصاله يقوم على الشبكة بدون حضور مادي أو لقاء حسي بل نبضات كهربائية تنتقل بين الجانبين، بل إن فهم التراث نفسه تغير عبر هذه المعطيات الجديدة، إنه عالم جديد ومغاير كلياً للعالم قبل الإنترنت.

يقول أحد الباحثين في هذا المعنى: أضحت المعلومات من أهم مقومات البنى التحتية لصناعة ثقافة الخطاب الصحفي بعد أن عصفت تقنيات المعلومات ونسيج الإنترنت بجل مفردات المنظومة المفاهيمية في عصرنا الراهن، فبجانب توفيرها لموارد الخطاب الصحفي بتجلياته الثقافية والسياسية والاجتماعية، فإن التقنيات الرقمية الجديدة وآليات الذكاء الاصطناعي قد أحدثت تغييراً حاسماً في طبيعة فهمنا للتراث والفكر بعد أن تحول النص الأحادي إلى نص متشعب، وأصبح الخطاب عرضة لسلسلة من عمليات المعالجة الحوسبية التي ينقر فيها داخل البناء اللغوي والدلالي للنص للوصول إلى الأنموذج الذي أسهم في توليد الأفكار، وأنشأ الصرح المفاهيمي للفكر، وقد تعمقت الوشائج التي تربط الموارد المعلوماتية بالأدوات التقنية بعد أن أصبحت الأفكار والثقافات عبارة عن نبضات رقمية محفوظة في وسائل خزن مغناطيسية، ويتم تداولها بشكل حزم رقمية تسري عبر شبكات رقمية تلف كرتنا الأرضية، فلم يعد للخطاب وجود دون أرضية رقمية تسري فيها النبضات الرقمية التي تترجمها إلى نص مقروء أو خطاب مرئي أو مسموع"[1].

---

[1] صحافة الإنترنت في الوطن العربي ص١

ويحدد الكاتب مساهمة الفضاء المعلوماتي للإنترنت بالفضاء الثقافي من خلال مجمعة العناصر التي يتألف منها والتي تشمل كما يقول:

- فضاء مفتوح للتجارة الإلكترونية بوصفه موطن تسوق إلكتروني لمختلف أنواع السلع والخدمات المطروحة للاستهلاك.
- وسط مجتمعي تتم من خلاله أنشطة النقاشات والتواصل مع الآخر عبر حلقات الدردشة ومجاميع الأخبار والبريد الإلكتروني.
- بيئة ثقافية ومعرفية culture media يتم من خلاله تبادل المعلومات والمعارف بشتى صورها وأنواعها عبر الخطاب العلمي والثقافي في مواقعه الكثيرة.
- بيئة سياسية مستحدثة تمارس من خلالها عمليات متباينة لترجمة الخطاب السياسي إلى فعل معلوماتي يملك تأثيراً ملموساً على الجهة المناوئة.
- بيئة تنظيمية مستحدثة لإدارة وتنظيم الأنشطة التقليدية عبر وسط معلوماتي يذلل الصعاب التي تشخص أمام الفعل التنظيمي على أرض الواقع، ويتجلى ذلك واضحاً في تقنيات إدارة حركة الصناعة والتجارة والخدمات عبر الفضاء المعلوماتي، وبعيداً عن الآليات القديمة التي تعاني من بطء ملحوظ.
- بيئة لهو ملوثة قد شحنت بجميع أنشطة الفسق والفجور التي توظف الخصائص الفريدة لحضارة الصورة وثقافتها لإشباع واستدراج الشهوات الإنسانية وتضليلها واجتذاب الشباب وتوسيع دائرة العهر بحيث أصبح في متناول الجميع وبعيداً عن أعين رقابة المجتمع والتقاليد."[1]

---

[1] صحافة الإنترنت في الوطن العربي ص٣

ترى هل أن توفر المعلومات بسهولة لكل الناس هي مسألة سلبية أم إيجابية إذا كان الإنترنت هو الوسط الناقل لها؟

لقد بشر بعض الباحثين بأن الإنترنت سيحقق ديمقراطية في المجتمع الحديث بما لم يتوفر سابقًا له وسيحقق عدالة اجتماعية من خلال هذه المعرفة المتاحة للجميع فيقول: الإنترنت بإتاحتها المعلومات والمعرفة –أهم موارد التنمية– للجميع على حد سواء، ستوفر مناخًا أفضل لتحقيق العدالة الاجتماعية، وتمنح فرصًا متكافئة للتعليم والتعلم مما يضيق الهوة الفاصلة بين العالم النامي والعالم المتقدم، ويقلل الفوارق بين الفئات الاجتماعية المختلفة، وعلى النقيض من ذلك هناك من يؤكد أن الإنترنت يزيد من حدة الاستقطاب الاجتماعي بين من يملك ومن لا يملك، وسيؤدي إلى ظهور نخبة جديدة تجمع بين القوة المادية لرأس المال والقوة الرمزية المتمثلة في المعارف والمعلومات: إن المعلومات عبر الإنترنت في رأي هؤلاء لن تظل حزة طليقة مشاعة للجميع، وذلك بعد أن أدركت القوى الرأسمالية التقليدية المغزى الاقتصادي للموارد الرمزية، وهم مصممون على أن يحيلوا المعلومات والثقافة إلى سلع تُباع وتُشترى وفقًا لقانون العرض والطلب.

إن هناك من يزعم أن هذه التكنولوجيا المستحدثة ستحقق درجة غير مسبوقة من الشفافية -أحد الشروط الأساسية لممارسة الديمقراطية– فهي تمثل وسيلة عملية لإطلاق حرية الإنسان في أن يحصل في أي وقت وفي أي مكان على كل ما يحتاجه من معلومات، وأن يبعث في أي وقت وإلى أي مكان ما يتراءى له من أفكار وآراء..

على النقيض من ذلك هناك من يؤكد أنها تنطوي على تهديد حقيقي لخصوصية إنسان اليوم، وقد باتت بياناتها الشخصية متاحة لأجهزة الرقابة والسيطرة عرضة لاستغلالها في كشف المستور وما تختلج به الصدور وتشفى به العقول.

إن الحرّية المطلقة الموعودة ما هي إلا خداع، وقد بدأت الطبقية ذلك العدو اللدود

للديمقراطية تتسلل إلى شبكة الإنترنت التي تحتوي حاليًا على عدد من النوادي المعلوماتية خاص بالأعضاء فقط تقتصر عضويتها على نخبة متميزة من حملة بطاقات العضوية أو من يعرف كلمة السر —الشفرة- التي تتيح له النفاذ إلى بوابة المعلومات الراقية، فلا مكان هنا للحرافيش أو المتسكعين في دروب هذا الماموث المعلوماتي.[(١)٢٧] .

إن هذا التأثير الكبير والخطير لشبكة الإنترنت على المجتمع خلق علومًا جديدة متصلة بدور الإعلام والإنترنت كوسيلة إعلامية في التأثير في الأفراد والجماعات، من هذه العلوم ما يسمى «علم اجتماع الإعلام»، فالإنترنت كوسيلة اتصال وإعلام لم يقتصر على تطور قوة البث وقوة الاستقبال فقط، وإنما أدى إلى ترك آثار واسعة على البنى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية، ومن هنا تحول إلى قضية هيمنة، يقول أحد الباحثين في هذا العلم: إن التقنيات الاتصالية الجديدة هي بمثابة الزلزال الذي هز ومن ثم خلخل المرتكزات الأساسية للبنية الإعلامية القديمة بصورة شاملة، بدءًا من التقنيات المستخدمة ونمط العمليات الإعلامية والأساليب المستخدمة وانتهاء بوظائف الإعلام ذاته[(١)٢٨].

ويؤكد على أن التغير الذي طرأ على حجم عملية الاتصال والدور المناط بها يتصل مباشرة بعملية تدويل الإنتاج والبث والتصدير، وكلها ذات علاقة باستخدام أنماط جديدة لممارسة الهيمنة السياسية، لهذا إن وظائف الإعلام ووسائله تبدو مختلفة عما سبق، وترتكز بصورة أساسية على تهيئة الأجواء والقناعات وبلورة مشاعر مستهلكي المادة الإعلامية بأنهم ينتمون إلى بيئة سياسية دولية أو البيئات المعرضة لمثل هذه الحملات في مقاومة التسلط والدفاع عن حقوق الإنسان المقهور اجتماعيًا في تبني ثقافته، وسياسيًا في ضمان حريته، ووطنيًا في ضمان استقلاليته.

إن ثورة الاتصال التي أحدثتها الإنترنت غدت اليوم من أهم الوسائل التي تستعملها

[(١)٢٧] الديمقراطية الرقمية ص٤-٥

[(١)٢٨] علم اجتماع الإعلام ص١٢٥

القوى السياسية المستنيرة لتحرير الشعوب من الاستبداد والظلم السياسي والاقتصادي والاجتماعي حيث وفرت الإنترنت إمكانات كبيرة على كافة المستويات وخاصة السياسية والإعلامية، ويمكن أجمال بعضها بما يلي:

١. تسهيل الحصول على المعلومات وهي لا تزال طرية من مصادرها المباشرة، فبمجرد نقرة على شاشة الكمبيوتر ينتقل القارئ من موقع إلى موقع أينما أراد على وجه الأرض، ويقرأ أي موضوع يشاء بأي لغة يفهم دون مصادرة أو قيود.

٢. تسهيل إيصال المعلومات إلى الجمهور دون تحكم من الحكام المستبدين او رجال المال المحتكرين لملكية وسائل الإعلام، وتوفير المعلومات الصحيحة هو أول خطوات التغيير، وقد كان احتكار أهل السلطة والثروة للمعلومات في الماضي من أهم الوسائل التي يحتمون بها.

٣. التمكن من إيصال الرسالة الإعلامية بالشكل الذي يريده المرسل دون تدخل موجة من أباطرة الإعلام الذين اعتادوا التصرف في المعلومات التي تصلهم وصياغتها وإخراجها بالطريقة التي تخدمهم على حساب المرسل الأصلي ورسالته بل يقدمون الرسالة بصورة تخدم نقيض ما أراد مرسلها.

٤. رخص ثمن الاتصالات بل ومجانيتها في أغلب الأحوال مما يجعلها متاحة للجميع ولا مجال لاحتكارها من طرف الحكومات القمعية أو الشركات الاحتكارية، ومن فوائد رخص ثمن الاتصالات إشراك عامة الناس في المعلومات، وتلك هي الخطوة الأولى لاتخاذ الموقف السياسي الرشيد.

٥. ورغم أن الحكام الدكتاتوريين يميلون إلى التضييق على تكنولوجيا الاتصال الحديثة مثل الإنترنت خوفًا من انفلات الأمور من قبضاتهم، فقد بدأ الإعلام الإلكتروني يقضي على إعلام الورق –الصحف– وبدأ يضايق إعلام الصورة –

التلفزيون- وهو مرشح للسيادة في المستقبل بسبب الميزات العديدة التي يمتاز بها على الإعلام التقليدي.

أما ميزات الإعلام الإنترنتي على الإعلام التقليدي فيمكن إجمال بعضها فيما يلي:

١. إن الإعلام الإلكتروني يعطي القارئ فرصة اطلاع أكبر من الناحية الكمية، ففي جلسة واحدة يستطيع القارئ أن يطلع على عشرات المصادر الإعلامية من جميع أرجاء العالم ودون تكلفة مادية تذكر، وهو أمر غير ممكن عمليًا من حيث الوقت ومن حيث الكلفة في التعامل مع الإعلام التقليدي.

٢. إنه يعطي القارئ حرية الانتقاء والمقارنة من خلال الاطلاع السريع على العديد من المصادر المختلفة الرؤى والخلفيات واستخلاص النتيجة التي يراها أقرب إلى الحقيقة دون أن يظل أسيرًا لرؤية مخصوصة، ولا تخفى قيمة ذلك في تحرير إرادة المتلقي في تعاطيه مع الوسيلة الإعلامية.

٣. إنه يمكن من القراءة المتخصصة، فلم يعد من اللازم استنزاف الوقت والجهد في تصفح الصحف بحثًا عن موضوع معين أو انتظار برنامج مخصوص في إحدى القنوات التلفزيونية، بل أصبح الإنترنت بوسائل البحث في مادته يمكنك من الاطلاع على الموضوع الذي تريد في الوقت الذي تريد.

٤. إنه يوصل الرسالة الإعلامية إلى مدى عالمي، ويتجاوز القيود التقليدية التي تقيد التلفزيون والصحافة المطبوعة، فهذه تحدها حدود المكان فلا يتجاوز بعضها مساحة معينة من البسيطة كما تحدها حدود المكان فلا يستطيع الجميع الوصول إليها؛ لأنها غير مجانية بخلاف الإنترنت فلا تحده حدود المكان وهو مجاني أو شبه مجاني في العادة.

إن المتتبع لثورة الاتصال والإعلام في عصر المعلومات يدرك أن الإعلام أصبح محورياً لا بسبب التقنيات التي استخدمها فقط، وإنما بسبب طبيعة الرسالة الإعلامية عبر هذه التقنيات، يقول الدكتور نبيل علي تحت عنوان محورية الإعلام والاتصال: لقد ظن البعض خطأ أن إعلام عصر المعلومات ما هو إلا مجرد طغيان الوسيط الإلكتروني على باقي وسائط الاتصال الأخرى، لكنه في حقيقة الأمر أخطر من ذلك بكثير، فالأهم هو طبيعة الرسائل التي تتدفق خلال هذا الوسيط الاتصالي الجديد، وسرعة تدفقها وطرق توزيعها واستقبالها.

لقد نجمت عن ذلك تغيرات جوهرية في دور الإعلام جعلت منه محوراً أساسياً في منظومة المجتمع، فهو اليوم محور اقتصاد الكبار وشرط أساسي لتنمية الصغار. لقد ساد الإعلام ووسائله الإلكترونية الحديثة ساحة الثقافة حتى جاز للبعض أن يطلق عليها ثقافة الميديا، وثقافة التكنولوجيا، وثقافة الوسائط المتعددة[1].

لقد سيطرت الإنترنت على كل وسائل الإعلام وتضمنتها، وقد كان العامل التقني من العوامل الأساسية لثورة الإعلام والاتصال بجانب العامل الاقتصادي وعولمته والعامل السياسي المتمثل في الاستخدام المتزايد لوسائل الإعلام، يقول نبيل علي بأن وراء ثورة الإعلام والاتصال عوامل تقنية واقتصادية وسياسية، وأن العامل التقني المتمثل في التقدم الهائل في تكنولوجيا الكمبيوتر، عتاده وبرمجياته، وتكنولوجيا الاتصالات خاصة فيما يتعلق بالأقمار الصناعية وشبكات الألياف الضوئية، لقد اندمجت هذه العناصر التكنولوجية في توليفات اتصالية عدة إلى أن أفرزت شبكة الإنترنت التي تشكل حالياً –كما يقول علي– لكي تصبح وسيطاً إعلامياً يطوي بداخله جميع وسائط الاتصال الأخرى المطبوعة والمسموعة والمرئية، وكذلك الجماهيرية وشبه الجماهيرية والشخصية، لقد انعكس أثر هذه التطورات التكنولوجية على جميع قنوات الإعلام، صحافة وإذاعة وتلفاز، وانعكس ذلك –وهو الأخطر– على طبيعة العلاقات التي تربط بين منتج الرسالة الإعلامية وموزعها

[1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٢٤٤

ومتلقيها، لقد انكمش العالم مكاناً وزماناً، وسقطت الحواجز بين البعيد والقريب، وكادت تكنولوجيا الواقع أن تسقط الحاجز بين الواقعي والوهمي، وبين الحاضر والغائب، وبين الاتصال مع كائنات الواقع الفعلي، والكائنات الرمزية التي تقطن فضاء المعلومات.

ولا شك أن محورية الإعلام والاتصال هو الذي قاد إلى أن تأخذ شبكة الإنترنت سلطة خاصة تتجاوز سلطات الاتصال والإعلام الأخرى، فإذا كان الإعلام سلطة رابعة فإن الإنترنت اليوم تتجاوز قدراته مجموع قدرات وسلطات المسموع والمنظور.

لقد كانت سلطة الصحافة -السلطة الرابعة- باعتبارها وسيلة إعلامية من أوضح السلطات عبر الممارسات الإنسانية التي عايشتها، لقد وصلت سلطة الصحافة كما عبر عنها نابليون بونابرت الذي كانت تخيفه الصحافة بقوله -إن مقالة صحافية تساوي جيشاً من ٢٠٠ ألف رجل، وهؤلاء لا يراقبون الداخل ولا يخيفون الخارج أفضل من دزينتين من حثالات الصحفيين.

كذلك كان للراديو سلطة وللتلفزيون سلطة الصورة وصولاً إلى سلطة الحاسوب، لقد جمعت الإنترنت هذه السلطات كلها فيها مما أعطاها قدرة وسيطرة تامة وهو ما تحدث عنه أحد الكتاب تحت عنوان «سلطات الإنترنت» بعد أن استعرض السلطات الإعلامية السابقة: قد تكون الإنترنت أو شبكة الشبكات هي التي تساعد اليوم في ردم الهوة بين الإنسان والتقنيات، إذ خطا بواسطتها خطى سريعة تفوق بكثير الاستطالات القديمة التي جعلت رجليه وسمعه ونظره ولسانه وصوته تتمثل في العجلة والهاتف والشاشة، وما اختراع الحاسوب إلا استجابة لتقديس قدرة الإنسان الذي جعله على صورته محاولاً أن يجمع هذه الاستطالات إلى مخ صناعي وذاكرة صناعية وشبه أعصاب صناعية زودها بأطراف كهربائية وميكانيكية وعيون وآذان إلكترونية، وعلمها الحركة والكتابة والقراءة، ومنحها لغته، ووضع في برامجها عصارة فكره وتجاربه، واستأنس برفقتها في مصنعه ومتجره ومكتبه وقاعة درسه وغرف معيشته، وبهذا أصبحت ذاكرة الإنسان مستودعاً أو وعاء

وحواسه هوائيات، ولغته إشارات، ونبضاته وفكره مواد قابلة للتعليب من خلال أساليب الذكاء الاصطناعي، وأن استشراء المجاز في إسقاط الحواجز بين الإنسان والآلة على الرغم من الإقرار بصعوبة ارتقائها إلى مستواه، يدخل شبكة الشبكات إلى المستوى الذي تبدو فيه ممثلة لأقصى تجليات الاتصال الاصطناعي الذي هو في رأينا عدم الاتصال، تساعد الإنترنت في تثبيت مركزية الإعلام فتندمج الألياف الضوئية والكابلات الأرضية والبحرية وأشعة المايكرويف ودوائر الأقمار الصناعية إلى درجة توصل معها إلى التخوف من حدوث أزمة مرور للأقمار الصناعية التي تتزاحم في ارتفاعها الثابت بالنسبة إلى الأرض وبصورة تهدد بتداخلات موجات إرسالها[1] .

إن مراجعة بسيطة لسلطة الإعلام التقليدي اليوم وفي ظل العولمة يعطينا صورة عن سلطة الإنترنت التي أصبحت بديلاً لكل الوسائل الإعلامية وجامعًا ومضمنًا لها.

يقول أحد الكتاب عن سلطة الإعلام التقليدي أو ما يتبقى منها في ظل العولمة: «إذا كان الإعلام يشكل اليوم مادة أساسية في تطوير الحياة وتنمية المجتمعات بالاتجاه الذي يؤدي إلى زيادة المعارف وتوسيعها ونقلها وحل المشكلات الجوهرية لسكان العالم، فإنه أصبح في عصر العولمة وفي ظل التقدم العلمي والتقني سلطة قوية للتأثير في الرأي العام، وأداة خطيرة للدعاية والحرب النفسية بقصد الغزو والسيطرة وغسل العقول في عالم متغير يتميز بالقطبية الواحدة وسيطرة الاحتكارات الدولية على ميادين الحياة، وخاصة المجال الاقتصادي والإعلامي».

إن الاتصال الدولي لم يعد يعني نقل المعلومات والأخبار، وإنما تعداه إلى خلق فهم جديد للعملية الإعلامية التي تتحكم بها طرائق ومعارف ومناهج العلوم الحديثة وهو ما يفسر استثمار الغرب لتكنولوجيا الإعلام والاتصال في تحقيق أهداف إستراتيجية يُراد منها الهيمنة السياسية والفكرية، وتفتيت الدول وشعوبها ضمانًا لوجودها المستمر فكريًا وسياسيًا ونفسيًا وثقافيًا في هذه الدول، والأخطر في عالم اليوم هو أن ميدان الإعلام

وتكنولوجيا الاتصال يشهد ثورة كبيرة في أدواته وأساليبه ومضامينه بحيث لم يعد هناك مفهوم واضح لما يسمى السيادة الوطنية أو جغرافيا المكان.

ولم يعد العالم -قرية صغيرة- كما عبر أحد علماء الاتصال في الغرب، وإنما أصبح العالم -غرفة صغيرة- يعيش فيها مليارات البشر تحت سلطة الكلمة والصورة، ويتحكم فيها الأقوى والأغنى والأفضل عدة، وقد تسبب الوضع الدولي الراهن في خلق -الفجوة الإعلامية- ما بين الشمال والجنوب، وحرم الجنوب -العالم الثالث- الكثير من الامتيازات التي تحققها التكنولوجيا المتطورة في مجال الإعلام والاتصال، وجعلها في كثير من الأحيان غير قادرة على الحفاظ على استقلالها السياسي وأمنها الثقافي بسبب التفوق التكنولوجي للغرب وهيمنة المؤسسات الإعلامية الدولية على سير المعلومات وتدفق الأخبار"[1].

المعلومات والمعلوماتية قبل الإنترنت وبعده:

لا شك أن المعرفة والمعلومات هي قوة كبيرة بيد السلطة وبيد معارضي السلطة على السواء، فإذا وظفت هذه المعلومات عبر إعلام الدولة أعطاها قدرة تأثير كبيرة على المحكومين، وإذا وظفها المحكومون في إعلامهم عبر الإنترنت وغيره فسيكون لها قوة معارضة كبيرة.

لقد تحدث الرئيس الأمريكي كلنتون في عدد مارس - أبريل لسنة ١٩٩٦ لمجلة فرين افيرز قائلا: المعرفة هي أكثر من أي وقت مضى سلطة، فالدولة التي ستتزعم ثورة الإعلام هي التي ستكون قوية بين الدول، على المدى المنظور هذه الدولة هي الولايات المتحدة، هذه السلطة اللا مادية ستمكننا من التحكم في العلاقات الدولية بالجذب لا بالقوة، بالتالي فلا مجال لتحمل تكاليف عسكرية جديدة.

---

[1] الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية ص٢٨٢

وقد أكد الرئيس كارتر قبله أن أمريكا ليست دولة استعمارية ولا تريد أراضي أخرى، إنها تريد اقتراح نمط تفكير.

وقد أكد آل جور نائب الرئيس الأمريكي هذا المعنى حينما نادى بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء أغنياء العالم وفقراؤه ثم قال: دعونا نتجاوز الأيدلوجيا، لنتحرك معًا صوب هدف مشترك لبناء بنية أساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر وتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية"[1].

لقد صدرت عدة دعوات من كثيرين يذهبون إلى أن شبكة الإنترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة بإسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية، وأن تزايد استخدام الإنترنت كوسيط إعلامي جعلها في مقدمة القوى المسيطرة في عالم العولمة الجديد، ويظهر ذلك من خلال أنها فرضت نفسها إعلاميًا، فهي بجانب كونها شبكة الشبكات فهي بالقدر ذاته –وسيط الوسائط– الاتصالية بلا منازع، وتتجلى عظمة هذا الوسيط الإعلامي في قدرته على احتواء الوسائط الاخرى كمصادر للمحتوى بالنسبة له، وفي هذا الصدد يقول نبيل علي: وبينما كانت عظمة التلفزيون في احتوائه الراديو، تقوم عظمة الإنترنت على احتوائها الصحافة والإذاعة والتلفزيون والبحث عن المعلومات، ولا يستقيم اليوم حديث في شأن الإعلام والاتصال دون تناول القضايا العديدة التي تطرحها الإنترنت كوسيط إعلامي.

إن مراجعة دور المعلومات في تغيير المجتمعات قبل ظهور الإنترنت يعطينا صورة أوضح عن دورها بعد ثورة المعلومات والمعلوماتية، فمن البديهي القول إن المعلومات تغير كثيرًا في المجتمعات والدول إلى حد يمكن معه القول إنها تعيد صياغتها، فقد أدت الوفرة الهائلة في المعلومات وإنتاجها واستهلاكها وسهولة الاتصالات إلى تداخل المجتمعات وزيادة تأثيرها على بعضها البعض، وتجري الآن دراسات حول التصويت الإلكتروني ومسح الرأي

---

[1] الاتصال الدولي والعربي ص١١-١٢

العام عبر الإنترنت، فإذا أضيف إلى ذلك عمليات الحوار والاتصال عبر الإنترنت وشبكات الاتصال فإن الديمقراطية في العالم تدخل في مرحلة جديدة قائمة على الانتشار ومزيد من الرسوخ والتغلغل في حياة الناس وقراراتهم.

في عام ١٩٨١ عين في الحكومة البريطانية وزير لتقنية المعلومات، وفي ذلك العام قال اللورد دنيون الرئيس السابق للمجلس الاستشاري للمعلومات العلمية.. إن لثورة المعلومات نتائج في مجال العمل والحياة تقدم فرصاً أفضل وتهددنا بعواقب وخيمة إذا أخطأنا الاختيار.

في تأثير المعلومات في المجتمع كتب مايكل هيل [1] كتاباً جاء فيه بأن المعلومات خليط من المواد الخام التي يمكن تحويلها إلى منتجات جديدة تماماً كما يحول الحديد والقطن الخام إلى منتجات جديدة، وسوف تجعل المعلومات البعض أكثر ثراء، وتحسن الحياة بالنسبة لكثيرين كما أنها سوف تزيد من مشكلات الكثيرين وتجعل البعض أفقر حالاً.

وفي إشارة إلى النزاعات الصناعية كتب الأمين العام للأمم المتحدة كوفي عنان: لقد كانت واحدة من حالات سوء التقدير التي وقع فيها عدد عصرنا من المتعلمين تتلخص في أنهم تصوروا أن مجرد تخيل المشكلة والوصول إلى استنتاجات يحل المشكلة، إن المشكلات التي سوف يقودنا إليها محتوى نظم المعلومات تحتاج إلى البحث وتقديم النتائج كمعلومات يمكن أن نستعملها ويستعملها السياسيون والعاملون في حقل التعليم وكل أنواع المهنيين لابتداع الحلول المناسبة وتنفيذها.

يقول المؤلف: إن المعلومات فئة من المفاهيم تستوعبها عقولنا ونسجلها عن وعي، ومن شأنها تعديل حالتنا المعرفية، وعندما نتلقى المعلومات فإنها قد تكون تكراراً أو تأكيداً لمعلومات لدينا بالفعل، كما يمكن أن تكون إضافة على ما نعرفه بالفعل عن أحد الموضوعات بالإضافة إلى أنها يمكن أن تكون تصحيحاً أو تعديلاً لمعرفتنا القائمة بالفعل عن أحد الموضوعات أو فتحاً لمجال معرفة جديدة.

---

[1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٢٤

ويفرق المؤلف بين المعرفة والمعلومة، وأنهما ليسا مترادفتين، إذ إن المعرفة في جوهرها أمر شخصي، ومن عناصرها الأساسية الفهم والعلاقة بالقيم، وهي تتكون وتزداد بالفكر وباكتساب المعلومات وبأعمال العقل لتقييم نوعية هذه المعلومات الجديدة واستخدامها وعواقبها على ضوء المعرفة الموجودة لدى المرء.

ويتعرض المؤلف إلى أخلاقيات المعرفة فيؤكد أنه بالنسبة إلى المجتمع البشري تعتبر مراجعة المبادئ الأخلاقية مرارًا وتكرارًا أمرًا مهمًا، فالمعلومات واستخدامها موضوعات مهمة كمبحث مستقل من زاوية الأخلاقيات لجوانب أخرى من الحياة إذ تترتب عليها حقوق ومسئوليات كثيرة وقضايا اجتماعية واقتصادية تتمثل في حق السعي لتحصيل المعلومات وحق الدراسة والقيام بالبحث وحق المعرفة وحرية المعلومات وحرية الإعلام وحق تلقي المعلومات وحدود الرقابة وحق توصيل المعلومات للغير والواجبات والمسئوليات وأخلاقيات المهنة وحق المساواة والفجوة بين ثراء المعلومات وضعفها، والحق في عدم البوح بالمعلومات، والحق في الخصوصية وحماية البيانات وحقوق الملكية وحقوق التأليف والطبع.

وبالنسبة للنشر الإلكتروني فقد أشار المؤلف إلى أنه قد أدى إلى ظهور عدد من المشكلات الإضافية التي يتم حلها بالتدريج، فهناك نوعان من البيانات: فإذا حكم على قاعدة البيانات بأنها إبداع فكري سوف تتمتع بمقتضى قانون الاتحاد الأوربي واتفاقية المنظمة العالمية للملكية الفكرية الخاصة بحقوق النشر بالحماية العادية كعمل أدبي، أما إذا كانت قاعدة البيانات مجرد تجميع لكنه انطوى ابتداعه على بذل مجهود كبير في الحصول على المحتويات وفحصها وترتيبها فإنها تعطي حماية لمدة ١٥ عامًا من تاريخ ابتداعها ضد أخذ مقتطفات منها.

أما عن علاقة المعلومات بالسياسة والحكم فيرى المؤلف أن هناك أربعة مجالات رئيسية مشتركة بين الحكومة والمعلومات وهي الأمن، والتشريع والإدارة وخدمة المواطنين والجمهور وتوعيتهم، وتبادل المعلومات وبثها عبر الأقطار لأغراض الإعلام والتجارة أو في جهات وأغراض قانونية مشروعة، لكن الحكومات اليوم في عصر المعرفة تطور إدارة

المعلومات لتقديم وتطوير خدمات التعليم والصحة والضمان والتوظيف وإنجاز المعاملات، وقد أوضحت الحكومة البريطانية عام ١٩٩٤ أن دورها في تسهيل الاتصالات وتطويرها يقع في تأسيس الإطار التنظيمي وتشجيع المنافسة ودعم البحوث وتحديد التأثير على الأنشطة الاقتصادية والاجتماعية والرقابة على المواصفات والخدمات، وتجري الحكومات الغربية اليوم ربطًا للمكتبات والمدارس والجامعات والمؤسسات في شبكات تسهل تبادل الخدمات والمعلومات وتقلل التكرار والازدواجية.

لقد كانت هذه المعطيات للمعلومات قبل استخدام ثورة تكنولوجيا الاتصال والإنترنت بما يعنيه من سعة كبيرة للمعلومات والمعلوماتية.

إن هناك من تحدث عن السمات المركزية التي لا بد من استحضارها لفهم التحولات العميقة التي يعيشها قطاع الإعلام والمعلومات والاتصال منذ ثلاثة أو أربعة عقود من الزمن حيث يقول فيها"[1]:

السمة الأولى: وتتمثل في غزو المعلومات بكل ضروب حياة الأفراد والجماعات وبروز صناعة المعلومات باعتبارها المحرك القوي الجديد للاقتصاديات والمجتمعات، فجل الاقتصاديات والمجتمعات المعاصرة حتى تلك التي كانت منظومتها الفكرية تعتبر المعلومات نشاطًا غير منتج قد غيرت من نظرتها للأمور، وإلا فما معنى تخصيص كل من فدرالية روسيا والصين لملايين الدولارات لتجديد وبناء قاعدة إعلامية واتصالاتية في أفق القرن الحادي والعشرين، قرن العلم والمعرفة واقتصاد الإعلام كما يقال، وهناك فضلاً عن هذا مجموعة معطيات إحصائية تبين انفجار صناعة الإعلام والاتصال والمعلومات وغزوها لمجمل حياة الأفراد والجماعات.

المعطى الأول: مفاده أن سوق صناعة الإعلام والاتصال -إلكترونيات جاهزة،

"[1] أثر المعلومات في المجتمع- مايكل هيل- نشر مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية - عرض إبراهيم غرايبة على الإنترنت في موقع الجزيرة نت.

معلوميات، اتصالات، وسائل إعلام وترفيه، ستبلغ نهاية هذا القرن -القرن العشرين- حوالي ١٥٠٠٠مليار فرنك فرنسي، أي ما يناهز ١٠٪ إلى ١٢٪ من الاقتصاد العالمي ٢٩٠٠ منها للاتصالات ١٥٠٠ للسمعي-البصري، و٢٦٠٠ للمعلوميات، وتفيد الإحصائيات إلى جانب هذا أن هناك حوالي مليار و٢٦٠ مليون جهاز تلفاز في العالم، وهناك حوالي ٧٠٠مليون مشترك في الهاتف ٨٠ منها بالهاتف الخلوي، وهناك ٢٠٠مليون حاسوب شخصي ٣٠ منها مرتبطة بشبكة الإنترنت، وسيكون نهاية هذا القرن حوالي ٦٥٠ مليون إلى مليار مستخدم بشبكة الإنترنت يتصفحون مئات الألوف من مواقع الويب أو ما يسمى شبكة العنكبوت.

المعطى الثاني: فحواه أنه إذا كان المواطن الأمريكي مثلاً قد خصص سنة ١٩٨٠ حوالي ٢٠٪ من ميزانيته للمأكل و١٠٪ للإعلام والاتصال -تلفزة، هاتف،...إلخ، فإن هذه النسبة قد نزلت بعد ١٥ سنة من ٢٠٪ إلى ١٦٪، وارتفعت إلى ١٣٪ عوض ال١٠٪

المعطى الثالث: المبين لتسارع هذه التحولات يرتبط أساسًا بانفجار المعارف، إذ يقدر العلماء أن مجموع المعارف ابتداء من السنة الميلادية الصفر قد تضاعف أول مرة سنة ١٧٥٠ ثم سنة ١٩٠٠ ثم سنة ١٩٦٠ ليأخذ هذا التزايد بعد هذه السنة منحا أسيًا غير مسبوق في تاريخ البشرية ... ومعنى هذا أن العالم قد أنتج من المعلومات خلال ثلاثة عقود أخيرة ما لم ينتجه طيلة ٥٠٠٠ سنة الماضية، ومعناه أيضًا أن قارئًا قادرًا على قراءة ١٠٠٠ كلمة في الدقيقة لمدة ثماني ساعات يوميًا يحتاج إلى شهر ونصف لقراءة إنتاج يوم واحد في الوقت الذي يجد نفسه قد تأخر خمس سنوات ونصف عن مواكبة إنتاج المعلومات.

السمة الثانية: وتكمن في تزايد المعلومات في تكوين السلع والخدمات لدرجة أصبحت معها المعلومات تكلفة الإنتاج الأولى مقارنة باليد العاملة مثلاً أو المواد الأولية. مثالان اثنان يدللان على ذلك.

المثال الأول:

كل عشر سنوات تنخفض تكاليف الحواسيب بنسبة ٥٠٪ مع احتفاظها بنفس القوة -قانون جويس- وكل ثمانية عشر شهرًا تتضاعف قوة هذه الحواسيب بالسعر القار، بمعنى أن ما كان يكلف خمسة ملايين دولار في المعلوميات، لم يعد يكلف اليوم أكثر من ٥٠٠٠ أو ٥٠٠ أو ٥٠ وهكذا، ومعناه أيضًا أن البرمجيات أصبحت مهمة مقارنة بالأجهزة والخدمات واللوجستيات، والبرامج أهم من المواد الأولية، ومعناه كذلك أنه في اليابان مثلاً من أجل إنتاج نفس الكمية من السلع انخفضت مساهمة المواد الأولية بنسبة ٦٠٪ ما بين عامي ١٩٧٢و١٩٨٤ ومعناه فضلاً عن ذلك أن ما كنا نحتاجه من مواد أولية لإنتاج سلعة معينة قد انخفض بنسبة ٦٠٪ خلال عشر سنوات لإنتاج نفس السلعة.

المثال الثاني:

قرص محوري (س د روم) بإمكانه احتواء حوالي ٢٥٠٠٠٠ صفحة نص أو في ميدان الاتصالات، زوج من كوابل الألياف البصرية، رقيق رقة الشعيرة بإمكانه أن يمرر عدد مكالمات هاتفية يوازي ما تمكنه أطنان الكبلات النحاسية، على أن هذه الألياف تنتج في المختبرات بواسطة الرمال، ولا غرض للشركات المنتجة لها في البحث عن أسواق النحاس مثلاً أو غيرها، ومعنى هذا أن هناك توجهًا باتجاه لا مادية الاقتصاديات وزيادة الاعتماد على المادة الرمادية في إنتاج السلع والخدمات.

السمة الثالثة: وتتمثل أساسًا في ازدياد قيمة وحجم البحث والتطوير ضمن هذه الصناعات والخدمات المعلوماتية، فعلى الرغم من شكاوى التقشف المتزايدة بالدول الصناعية الكبرى فإن المنافسة لم تعد تتكرس بالأسواق، وإن كان ذلك صحيحًا في مظهرتها قدر ما أصبحت تتم في المختبرات ومراكز التطوير والتجديد، فعلى الرغم من أن مشروعًا من أصل عشرة مشاريع هي التي تخرج من مختبرات البحث والتطوير بقطاع الاتصالات فإن هذا الأخير لا يتوانى في تخصيص من ٤٪ إلى ٥٪ من مبيعاته لميزانيات

البحث والتطوير والتجديد، وهذا ما يفسر إلى حد بعيد سياسات التحالفات الإستراتيجية والضم بين كبار قطاع الإعلام والاتصال والمعلومات بوجه خاص.

السمة الرابعة: وتكمن في الطابع الشبكي الذي يميز القطاعات الثلاثة التي تكون قطاع الإعلام والاتصال (السمعي، البصري، المعلوميات، والقيمة المضافة التي تعطيها الشبكة لهذه القطاعات، إذ في عقلانية تصميم وطريقة تسيير وأنماط توظيف هذه الشبكات تكمن مصادر القيمة المضافة لا في وجود هذه الشبكات في انغلاقها او استقلاليتها، القيمة المضافة تأتي من الترابطات التي تميز الشبكات، فعبر تداخل المعلوميات بالاتصالات توفر هذه الأخيرة خدمات جديدة، وعبر اعتماد البرامج المتعددة الأقطاب يصبح بالإمكان الزيادة في اقتصاديات السلم وهكذا.

السمة الخامسة: يمكن ملامستها عبر زيادة نسبة اليد العاملة النشيطة بقطاعي الإعلام والاتصال ضمن السكان النشيطين الإجماليين.

– تقدر الدراسات أن نسبة المشتغلين بقطاع الأعمال والاتصال سنة ٢٠٠٠ ستتجاوز ال٦٥٪ مقابل ٥٠٪ إلى ٥٥٪ حاليًا سنة ١٩٩٨-مقابل ٢٪ فقط للزراعة والصناعات الاستخراجية و٢٢٪ للصناعات التحويلية و١٠٪ لخدمات أخرى، هذه السمة تدل بعمق لا عن طبيعة الاقتصاديات الحالية فحسب بل أيضًا عن طبيعة اقتصاديات القرن المقبل - الحادي والعشرين- وأيضًا عن طبيعة التكوين والاستثمار فضلاً عن إبرازها ملامح البطالة القادمة.

السمة السادسة: وتتمثل في مدى تأثير هذه التحولات الإعلامية والمعلوماتية والاتصالية على أنماط التنظيمات والتسييرات والتوظيفات المكرسة طيلة عهود ما قبل عصر المعلومات، فهناك الانتقال من الأنماط الهرمية السائدة في التنظيم إلى سيادة اللا مركزية وسيادة تعدد مراكز اتخاذ القرار مع زيادة قيمة العمل الوحداتي التشاركي، ثم هناك الانتقال من نظم الرقابة والضبط المركزية إلى أنماط رقابة ذاتية تكون المسئولية فيها من نصيب الجماعة مع سيادة قيمة النجاح لدى الجميع، وهناك اعتماد قيم المرونة

والحركية عوض الاعتماد على النظم الجامدة والهياكل الثابتة والمستقرة، وهناك أخيراً اعتماد المعلومات كمصدر استراتيجي في العملية الإنتاجية عوض اعتبارها بيانات وصفية جامدة وبيانات تاريخية محددة الأهداف محصورة في الزمن.

هذه هي السمات الكبرى التي نظنها مميزة لعصر التحولات الإعلامية الجارية خارجها حتى وإن كانت في تسارع يصعب الإمساك بميكانزماتها وأبعادها.

الإنترنت وشيء من السياسة:

ليست السياسة غريبة على الإنترنت ومعلوماتها، فقد كانت فكرتها الأولى تستند إلى توظيف عسكري أساساً، وهو قوة العنف السياسي، فمما يقال عن نشأة فكرة وجود شبكة الإنترنت أنه[1] في عام ١٩٦٠ قدمت الحكومة الأمريكية إلى شركة راندو كوربوريشن طلباً يتعلق ببناء وإنشاء نظام اتصال متطور من شأنه أن يقوم بضمان ربط القواعد العسكرية عبر العالم فيما بينها وقت السلم، وأيضاً في حالة هجوم نووي تشنه قوة معادية، في هذا النظام تقوم مجموعة الكبيوترات بالاتصال ببعضها بواسطة لغة مشتركة تسمى TCP-IP.

ثم بدأ علماء من جامعة كاليفورنيا في أكتوبر عام ١٩٦٩ تجربة علمية هدفها ربط جهاز كمبيوتر في مدينة لوس أنجلوس بكمبيوتر آخر في مدينة منلوبارك بخط هاتفي بحيث يستطيع الجهازان العمل معاً في شكل نظام اتصال مغلق، وبدءوا من عام ١٩٧٢ تم التفكير في تمويل مشروع جديد من أجل ربط مصالح وزارة الدفاع مع المتعاملين معه وحوالي عشرين جامعة تعمل على أبحاث ممولة من نفس الوزارة، وأطلق على هذا المشروع اسم أربا.

ولم يعد استخدام شبكة أربانيت مقتصراً على مصالح البنتاغون، بل استخدمت من قبل الجامعات الأمريكية بكثافة إلى حد أنها بدأت تعاني من ازدحام يفوق طاقتها، وصار من الضروري إنشاء شبكة جديدة، لهذا ظهرت شبكة جديدة في عام ١٩٨٣ سُمّيت

---

[1] في الثورة الإعلامية والمعلوماتية المعاصرة يحيى اليحياوي –عن الإنترنت.

باسم «ميل نت» لتخدم المواقع العسكرية فقط، وأصبحت بذلك شبكة أربانت تتولى أمر الاتصالات غير العسكرية مع بقائها موصولة مع «ميل نت» من خلال برنامج اسمه «بروتوكول إنترنت» الذي أصبح فيما بعد المعيار الأساسي في شبكات الإنترنت.

وبعد ظهور نظام التشغيل المسمى «يونيكس» الذي اشتمل على البرمجيات اللازمة للاتصال مع الشبكة وانتشار استخدامه في أجهزة المستفيدين أصبحت الشبكة مرة أخرى تعاني من الحمل الزائد، مما أدى إلى تحويل شبكة «أربانت» في عام ١٩٨٤ إلى مؤسسة العلوم الوطنية الأمريكية التي قامت بدورها وبالتحديد في عام ١٩٦٨ بعمل شبكة أخرى أسمتها «أنسف نت»، وقد عملت هذه الشبكة لغاية عام ١٩٩٠ الذي شهد فصل شبكة «أربانت» عن الخدمة مع بقاء شبكة «انسف نت» جزءًا مركزيًا من شبكة الإنترنت.

إذن فأساس فكرة الإنترنت كشبكة كانت لأهداف عسكرية، ثم تحولت إلى أبحاث علمية لخدمة الأهداف العسكرية، ثم هي شبكة معلومات دولية لكل شيء عنوانًا للعولمة في هذا العصر، عولمة الإعلام والاقتصاد والسياسة، فكيف نفهم شيئًا من وظائفها السياسية؟

في تساؤلات تأصيلية يطرح الدكتور نبيل علي في مقدمة كتابه عن الثقافة العربية وعصر المعلومات بعض هذه العلاقة بين السياسة والإنترنت فهو يتساءل: ما كل هذا الضجيج حول الإنترنت وطريق المعلومات الفائق السرعة INFORMATION SUPER HIWAY

وكيف أصبحت هذه الأمور ذات الطابع الفني قاسمًا مشتركًا في سياسات الحكومات وبرامج الأحزاب السياسية من الحزب الديمقراطي الأمريكي إلى حزب العمال البريطاني، من حكومة سنغافورة إلى حكومة ساحل العاج؟[(١)].

ويضيف - هل يقصد آل جور نائب الرئيس الأمريكي وصاحب مصطلح طريق المعلومات الفائق السرعة أن يكون هذا الطريق الجديد بمنزلة النظير العصري لسلفه طريق السيارات السريع؟ وكما كان السلف هو شريان نقل -بضاعة- الصناعات الأمريكية

[(١)] الصحافة الإلكترونية العربية –الواقع والآفاق د اجقو علي

التقليدية محليًا فسيكون اللاحق هو شريان نقل - بضاعة- صناعة الثقافة الأمريكية عالميًا... وهل لنا -استطرادًا لما سبق- أن نعي حرص (آل جور) على أن ينقل طموحه المحلي خارج حدود بلاده حيث نادى أخيرًا بإقامة بنية أساسية معلوماتية عالمية ينعم بها سواء بسواء أغنياء عالمنا وفقراؤه، ولنسترق السمع إلى تلك الصيحة السامية النبيلة التي تواترت مثيلاتها منذ ظهور الكمبيوتر، يقول آل جور: «دعونا نتجاوز الإيدلوجيا لنتحرك معًا صوب هدف مشترك لبناء بنية أساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية»، وكم كان فطنًا جون ستراتون عندما لفت نظرنا إلى «سندويتش» آل جور الوارد أعلاه حينما وضع أحلام التنمية البشرية من صحة وتعليم وحماية بيئة بين شطري هذا السندويتش وتعني بهما -الاقتصاد الحر والديمقراطية- مسفرًا بذلك عن أيدلوجيا النموذج الرأسمالي الذي يسعى القطب الأمريكي لتعميمه من خلال مخطط للعولمة، ويالك من شاطر يا آل جور وياله من شاطر ومشطور!! ولا يكتمل المخطط العولمي إلا بدعم من المنظمات العالمية لإضفاء لمسة الشرعية على ممارسات العولمة الأمريكية، وها هو الاتحاد العالمي للاتصالات (آي تي يو) يلبي النداء ويعلن عن إستراتيجيته لإقامة هذه البنية التحتية المعلوماتية العالمية في التوجهات الخمسة التالية:

- تنمية من خلال الاستثمارات الخاصة.
- منافسة وفقًا لقوانين السوق.
- قواعد وتنظيمات مرنة لتسهيل عمل مؤسسات الاتصالات وتنظيم المنافسة بينهم
- لا تفرقة في حق النفاذ إلى شبكات الاتصال.
- التوجه العالمي لخدمة الاتصالات.

وكما هو يسير الاتحاد العالمي للاتصالات على الدرب نفسه في تأكيده الصريح على قوانين السوق الحرة، وذلك في شأن بنية تحتية حيوية أصبحت من المقومات الأساسية

لتنمية شعوب العالم، ويكفي هذا دليلاً على أن المنظمات الدولية ستستخدم سلاحًا في يد القوي لفرض سيطرته وتأمين مصالحه في إطار تلك الظاهرة المسماة بـ «العولمة» التي تجوب جميع الديار تحيطها وصيفتاها: الشركات المتعدية الجنسية على جانب والمنظمات الدولية على الجانب الآخر.

ويتكرر تساؤل الدكتور نبيل علي بشكل أوضح عن الإنترنت كآلية سياسية حيث يقول: هل لنا أن نصغي - بالتالي- إلى ما يردده كثيرون من أن شبكة الإنترنت وما تنقله من معلومات عبر الحدود ستكون كفيلة بإسقاط النظم الدكتاتورية والاستبدادية؟! هل آن لحلم البشرية أن يتحقق؟ أم أن هذه النظم -كعهدنا بها- ستكون سباقة إلى استخدام سلاح الإنترنت لفرض الانصياع والانضباط على جماهيرها المقهورة؟[16](1)

وهو يتوقع في المجال العربي وفي إطار العولمة عبر وسائل الاتصال والإنترنت خاصة أن يحدث ما يلي:

- ستتقلص فرص العمل بفعل العولمة أمام أجيالنا سواء كانوا كبارًا أو صغارًا، وسيزداد نزيف عقولنا عن بعد عبر الإنترنت وهو ما يحدث حاليًا بمعدلات متزايدة خاصة بالنسبة إلى مهندسي الكمبيوتر ونظم المعلومات.
- ستخترق إسرائيل سوقنا الثقافية مستغلة في ذلك أساليب التجارة الإلكترونية عبر الإنترنت، وما أكثر أساليبها الملتوية.
- ستتمادى إسرائيل في تشويه صورة ثقافتنا العربية والإسلامية على الإنترنت مستغلة في ذلك تفوقها الحالي في تكنولوجيا المعلومات وشبكة تحالفاتها مع المراكز الأكاديمية والتنظيمات الثقافية والدينية عبر العالم[17](1).

---

[16](1) الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٢٢

[17](1) ن م ص٢٤

إن الوجه السياسي الواضح للإنترنت جاء بعبارة واضحة وصفية في تقرير -صيانة المحتوى المعلوماتي- تجربة موقع «الجزيرة نت» حيث جاءت الصياغة الوصفية التالية تحت عنوان «الوجه السياسي للإنترنت».. إن وجود الإنترنت من عدمه ومدى القيود المفروضة على استخدامه أصبح إحدى سمات التطور والتحرر الديمقراطي الذي يميز دولة ما عن أخرى، ولعل هذا الوجه السياسي لهذه الوسيلة المعلوماتية ذات الطبيعة غير المقيدة بصورة عامة والتي لم يقتصر استخدامها على الدول الغربية المتقدمة فقط وإنما امتد ليشمل دول العالم الثالث أو ما يطلقون عليه الدول النامية بما فيها الدول العربية التي جاءت هذه الوسيلة لتمثل متنفساً آخر لشرائح عريضة من فئات مجتمعاتها بنت عليها مواقع عدة تعبر عن شخصياتها وتوجهاتها وآرائها في شتى المجالات، وقد لاحظنا كيف أن بعض الدول العربية التي توصف نظمها بالدكتاتورية تحرص بشدة على عدم توفير هذه الوسيلة لمواطنيها وإن وفرتها فإنها تقيدها وتفلترها بما يخدم مصالحها ويقمع معارضيها ويحجب مواقعهم.

على أن هناك من الباحثين من يؤصل مسألة ارتباط السياسة كأيدلوجيا بوسائل الاتصال وحيثياتها، حيث يقول يحيى اليحياوي تحت عنوان «في أيدلوجيا الاتصال» ما يلي: كلما كان هناك اتصال فثمة حتماً أيدلوجيا إذا لم تكن جلية واضحة فضمنية مبطنة بالقطع، فالاتصال -تقنيات، مضامين- لا يستنبت في بيئة جرداء أو في فضاء عقيم، بقدر ما هو إفراز لسياق ثقافي واجتماعي معين بالضرورة في شكله كمكافئ الجوهر على تمثل محدد للذات وتصور معين للكون، وإذا كان من المسلّم به في تاريخ تقنيات الاتصال تحديداً أن الأداة تبقى في الغالب الأعم وإلى حد بعيد براء من الاستخدام الذي يترتب على استعمالها فإنه من الثابت أيضاً وفق ما تقدمه سوسيو لوجيا الاتصال أنها تبقى لدى وضعها على المحك حمولة رمزية تبني ما نسميه في هذا النص «أيدلوجيا الاتصال».

والأيدلوجيا التي نقصدها في هذا المقام ليست فقط لصيقة بالاتصال ملازمة له على مستوى المضامين، مضامين الرسالة التي تطبع علاقة الباث بالمتلقي، بل هي كامنة أيضًا في البعد "الأدواتي- الذي يطبع هذه العلاقة ويؤسس لمرتكزاتها الأساسية"[18] [1] .

إن الأستاذ يحيى يؤمن بأن الاتصال أيدلوجيًا محكومة بالأيدلوجيا الليبرالية التي تسودها وتغمرها بمعطياتها ويؤكد هذه الحقيقة في إضافته لما تقدم قوله:

ليس ثمة شك على ما نرى في أننا حقًا بإزاء طغيان للاتصال، تقنيات وبرامج، أدوات ومضامين بنى تحتية ومعارف، وإننا قطعًا في هذا الطغيان بإزاء أيدلوجيا تبغي توحيد الأفراد والجماعات ونفي التباين ضمنهم جملة وتفصيلاً، وإننا عن كل هذا وذاك بإزاء توجه لليبرالية الجديدة نحو فرض نموذج موحد في الثقافة والفكر يعتبر الاتصال حالاً واستقبالاً أداتها ووسيلتها، إذ بقدر ما تدعم الأيدلوجيا الليبرالية أيدلوجيا الاتصال وتحولها إلى عنصر من عناصر تكريسها بقدر ما تدمج هذه العناصر بفرض تجديدها وتجديد ينابيع التأقلم في صلبها .. وبالتالي فليس أيدلوجيا الاتصال إلا رافدًا من روافد الأيدلوجيات السائدة وفي مقدمتها الأيدلوجيا الليبرالية.

إذا لم يكن الأمر كذلك فبم نفسر إخضاع أدوات الاتصال والمضامين الممررة عبرها لمؤسسات ترفع السوق والليبرالية إلى مرتبة القداسة كما هو حال منظمة التجارة العالمية مثلاً ناهيك بالعديد من المنظمات الناسجة على منواله.

إن الأستاذ يحياوي يتفق في هذا مع الدكتور نبيل علي في توظيفات أدوات الاتصال لصالح الليبرالية والديمقراطية، وخاصة في التطبيق العملي لها، وهذا ما أكده اليحياوي في ممارسة تطبيقية حقيقية هي أحداث سبتمبر حيث كتب تحت عنوان «أي نظام إعلامي عالمي بعد 11سبتمبر يقول لو كان لنا أن نسلم جدلاً بعزم الولايات المتحدة على إقامة نظام عالمي جديد أو إحياء منظومته المتراجعة منذ انتهاء حرب الخليج الثانية، لسلمنا دونما اجتهاد كبير بإمكانية

---

[18] [1] صيانة المحتوى المعلوماتي إعداد محمد السيد محمود ص2

قيام نظام إعلامي عالمي يكون له بمثابة الركيزة والوعاء له، والواقع أنه لو كانت النية قائمة لدى الولايات المتحدة - وهي قائمة بالتأكيد منذ ما تعرضت له هيبتها وكبرياؤها من تجريح يوم الحادي عشر من سبتمبر- لو كانت النية قائمة لديها على إقامة نظام عالمي جديد، فإنه لن يمهد السبيل إلى ذلك إلا اعتماد نظام إعلامي يرسي لها البنية التحتية الضرورية ويؤسس لها الهيكل والشكل، ويضيف بعد استطراد لما فعلته الولايات المتحدة ضد فكرة المجتمع العالمي فيقول: لن يبقى لمواصفات المجتمع الإعلامي العالمي هذا من كبير أثر بعد ما تعرضت له أمريكا من أحداث وما استتبع ذلك من ممارسات:

فالقنوات التلفزيونية -الفضائية منها والأرضية -لم تعرض- ولن تعرض بعد هذا التاريخ من أخبار ---وتحليلات إلا ما أرادته الإدارة الأمريكية وارتضته، وبالتالي فارتهان الحرية الإعلامية في جانب المؤسسة العسكرية والتضييق على الحق في الإخبار الحر والمستقل.. أصبحت القاعدة والسمة المركزية في السلوك الرسمي الأمريكي لا الاستثناء، ناهيك عن الرقابة الذاتية التي لا تعدو في نهاية المطاف كونها استسلامًا من طرف المؤسسة الإعلامية والبريد الإلكتروني المواقع على شبكة الإنترنت كما المكالمات الهاتفية والمواقع المتوسطة إعلاميًا، أصبحت هدف مؤسسات الاستخبارات والتحقيقات والأمن العسكري، تمامًا كما اخترقت حقوق الأفراد والجماعات في التعبير الحر عن الصحافة المكتوبة والتفكير المستقل داخل المنظمات والمؤسسات الإعلامية.

نحن إذن -يقول اليحياوي- بإزاء تنكر صارخ من جانب الإدارة الأمريكية ومن جانب غيرها في باقي الدول الغربية لمبادئ لم تتجرأ الإدارة ولا تلك الدول يومًا على المساس بها أو الطعن في استقلاليتها..

وحينما يعالج يحياوي مسألة الإرهاب التي رهنت الإعلام كله لديها بما فيه الإنترنت، ينطلق من مقدمة العلاقة بين السياسة والإعلام يقول فيها: لم يكن رجال السياسة يومًا راضين إلا فيما ندر عن الإعلام ولا عن ممارسيه فهم يحتاطون منه أيما احتياط حينما

يكون قوياً وذا سلطة وجاه، وهم يستبيحونه أيما استباحة عندما يصبح مكمن ضعف وهوان، وهم بين الأمرين يداهنون درءاً لجبروته أو يحتاطون تجاهه خشية قيامه من هوانه.. بعد ذلك يبحث موقع الإنترنت في سياسة الإرهاب المستخدمة ضد الإعلام عموماً حيث يقول عنها: لا خيار للمنظومة الإعلامية في ذلك فهي بصحافتها المكتوبة والمسموعة والمرئية، وبشبكتها لتبادل المعلومات (أي الإنترنت) مجبرة لا مخيرة على الامتثال لرهانات تتجاوزها وتتجاوز الفاعلين فيها -المتطلعين إلى الاستقلالية بالأساس- وإلا فلا مناص من سقوطها في محظورات أخفها جنائي النتائج والتبعات ... لم تتخلف أعتى أدوات تكنولوجيا المعلومات -أعني شبكة الإنترنت- عن تغطية الحادث بالكلمة والصورة والصوت حتى ليخال للمرء وهو يبحر في تقديماتها أنها لا تزال تحتفظ بهامش الحرية والتحرر الذي طبعها منذ ولوجها الميدان العام أوائل ثمانينيات القرن الماضي .. ليس من المؤكد أن الشبكة قد استطاعت النأي بنقاوتها عن صراعات السياسة والأيدلوجيا، ولا عن ممارسات الحرب السيميائية التي أعلنتها الإدارة الأمريكية والتقطتها مواقع الشبكة بعدما -توسطت- لها بامتياز كبريات الصحف والمجلات والقنوات الإذاعية والتلفزيونية، فهي شأنها في ذلك شأن باقي وسائل الإعلام، قد سقطت بدورها في تغليب البعد الاتصالي بما هو نقطة التقاء فضائي التقنية والكلمة، على البعد الإعلامي باعتباره أداة إخبار وتبليغ محايدة مكرسة بامتياز ما يسميه إيغناسيو رامونجي بـ «طغيان الاتصال».

وشبكة الإنترنت كسواها من وسائل الإعلام الأخرى أضحت رهينة بيد الاستخبارات ومصالح الأمن ومكاتب التحقيقات تشوش على مواقعها، تغلق شركاتها دون استئذان قضائي تفتح صناديق بريدها دونما إذن أو تبرير شرعي، وتطارد الصفحات المصنفة مشبوهة دونما تحديد لطبيعة الاشتباه هذه .. وهكذا إن شبكة الإنترنت كما سواها من وسائل الإعلام -أصبحت من هنا وإلى حد بعيد فضاء لتنسيق السياسات الاستخبارية والأمنية ما دامت مادتها -أي المعلومات- هي نفسها التي يحتكم إليها مديرو الاستعلامات حتى وإن كانت المادة إياها مجرد إشاعات متداولة أو تبدو في شكلها غير ذات أهمية.

ثم إن شبكة الإنترنت أصبحت وكرًا لأحجام ضخمة من المعطيات والمعطيات المضادة من المستحيل هيكلتها أو ترتيبها أو تبيان جانب الحقيقة فيها من الخطأ وهي بذلك إنما تكرس المبدأ القائل: إن تكْرار المعطي إلى ما لا نهاية سيجعل منه حقيقة حتى وإن كان مجرد إشاعة أطلقها صحفيون لم يعد بإمكانهم المراهنة على تحقيق السبق أو بلوغ الريادة في الأداء إذ الكل معتم عليه الكل ضد الكل مع الكل في الخفاء أكثر من العلن.

لا شك أن هذا الاتفاق على أن الإنترنت شبكة يمكن استخدامها، وهي تستعمل حقًا في ترويج أي سياسة تتبناها جهة معينة وتضع لها مواقع على الشبكة، ومن هنا فإن مساهمة الإنترنت في النضال السياسي يمكن أن يكون مساويًا لمحاولات التحكم بهذه الشبكة من قبل المحتكرين الكبار والشركات المتعدية الجنسية إضافة إلى الحكومات، على أن ما تتيحه هذه الشبكة للنضال السياسي والشعبي يمكن إدراجه فيما يلي:

١. تسهيل سرعة الاستجابة للأحداث السياسية والرد السريع على التحديات في سرعة قياسية، فلم يعد الأمر يحتاج إلى سيارات تحمل أبواقًا وتجول في المدن لدعوة الناس إلى مسيرة، أو إنفاق مبالغ طائلة لترويج حدث سياسي في وسائل الإعلام التجارية، بل أصبح الأمر مجرد تحرير رسالة تعبئة واستنفار وإرسالها إلى العناوين الإلكترونية لآلاف الناس في لحظة واحدة أو نشرها على مواقع معينة في الشبكة الإلكترونية ليطلع عليها الآلاف فيستجيبون للنداء.

٢. تشويش الحكومات القمعية وخلخلة إستراتيجيتها من خلال الحشد المتوازي المتعدد الرءوس والمنابع، بحيث لا تستطيع القوى القمعية أن تحدد هدفها بدقة، أو تصوغ تكتيكًا فعّالاً للقضاء عليه، بل لا تستطيع أن تحدد التشويش الفكري والإستراتيجي في أذهان القوى القمعية يشل حركتها ويقضي على فاعلية ردها، ويختلف الأمر لو كان واضحًا للسلطة أن وراء الاحتجاجات حزبًا أو منظمة أو حركة مخصوصة، يسهل حشرها في زاوية ضيقة.

٣. تغير مفهوم التظاهر والاحتجاج بعد وجود الإنترنت، فلم يعد بالضرورة ذلك الحشد البشري المادي المثير للصخب، المؤدي إلى الشغب وربما إلى التخريب والقتل، وإنما أصبحت أمواج الرسائل الاحتجاجية أو التأييدية التي ترد عبر الإنترنت تعوض الاحتشاد المادي في مكان واحد إذ رأى أهل القضية أن يتفادوا المواجهة المباشرة مع القوى القمعية أو اجتناب الآثار السلبية والثمن الباهظ للاحتشاد المادي، وقد برهنت العرائض الإلكترونية التي يوقعها الآلاف أو ملايين الناس على أنها أداة سياسية فعّالة تغني أحيانًا عن المظاهرات الحاشدة.

٤. حول الإنترنت تظاهرات الاحتجاج والتأييد من نشاط محلي إلى ظاهرة عالمية حيث تتوارد الرسائل من جميع أنحاء العالم لتأييد موقف سياسي معين أو للاحتجاج على آخر، ففي عام ٢٠٠٠ وقع مائة ألف شخص من مختلف الأوطان والأديان خلال أيام معدودة مذكرة مرفوعة إلى مندوبية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان عبر الإنترنت تطالب بمحاكمة أرييل شارون بجرائم الحرب التي ارتكبها في ١٩٨٢ إبان الغزو الإسرائيلي لبيروت، وهذه الصيغة الجديدة للاحتجاج والتظاهر ثمرة من ثمرات الإنترنت، وتعبير عن الإمكانيات السياسية التي يوفرها، وقد دعاها بعض الباحثين «الديمقراطية الإلكترونية والمجتمع المدني العالمي».

٥. إن الخبرة والتسهيلات إلى وفرة الإنترنت في مجال التنظيم والاتصال والإعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير إلى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي كما كان الحال في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين حيث كانت قوى التغيير تحتاج إلى دعم دول معينة في مجال الاتصال والإعلام والتأمين -حمل جوازات سفر الدول المساندة، والحديث عبر وسائل إعلامها، واستخدام الحقائب الدبلوماسية التابعة لسفاراتها ...إلخ لكن الإنترنت جعلت التنظيمات السياسية في غنى عن كل ذلك فحررها من ثمن الدعم الخارجي الذي كثيرًا ما يتضارب مع أهداف حركات التغيير ورسالتها.

٦. لقد أفادت الإنترنت حركات التغيير الديمقراطي في العديد من دول العالم، ومن أشهر الأمثلة على ذلك ثورة الطلاب الصرب ضد مجرم الحرب (سلوبودان ميلوفيتش) الذي كان يقود بلادهم، فقد كان لطلاب جامعة بلغراد لعظيم الدور في إشعال الثورة ضد (ميلوسوفيتش)، وكان الإنترنت أعظم وسيلة لهم في الاتصال والإعلام والتعبئة حتى لقد دعوا ثورتهم «ثورة الإنترنت».

٧. لعل من الممارسات العربية لاستخدام الإنترنت في الصراع العربي الإسرائيلي ما فعله الفلسطينيون تحت عبارة «الجهاد الإلكتروني» أو «الانتفاضة عبر الإنترنت» حيث يشير الأستاذ جمال محمد غيطاس في كتابه «الديمقراطية الرقمية» إليها قائلا: في يناير ٢٠٠١ كان قد مضى ما يقرب من ١٢ أسبوعاً على اندلاع انتفاضة الأقصى، وفي هذا الشهر تزايدت وتيرة الأنشطة العربية والإسلامية عبر الإنترنت في التعبير عن القضية ومحاولة كسب الرأي العام العالمي إلى صفها وصف الفلسطينيين، وساعتها كان قلما نجد موقعًا عربيًا أو إسلاميًا لا يحمل صدر صفحته الرئيسية صورة الطفل محمد الدرة الذي استشهد برصاص الجنود الإسرائيليين وهو محتم بوالده، وفي المقابل نشرت المواقع الإسرائيلية صورًا لمعلمة يهودية في الخليل بالضفة الغربية قتلت في عملية فلسطينية مما يشعل هذا المواجهات، واعتمد الفلسطينيون -إلى جانب قدراتهم الذاتية- على مساعدة المواقع العربية والإسلامية التي تشكل مركز الثقل في المواجهة، وتطور الأمر شيئًا فشيئًا وانتقلت صور الشهيد محمد الدرة إلى موقع شبكة (إم إس إن بي) الإخبارية الأمريكية، واحتلت المركز الأول في التصويت الذي أجرته الشبكة حول أكثر الصور تأثيرًا وتعبيرًا عن بشاعة الحرب والممارسات الإسرائيلية.

وهنا تدخلت العديد من المواقع العربية الداعية للدخول على موقع شبكة (إم إس إن بي سي) والمشاركة في التصويت الذي تجريه الشبكة. ولفت الانتباه أيضًا أن الفلسطينيين

والعرب والمسلمين حاولوا تطوير احتجاجهم الرقمي على ما يجري في فلسطين بوسائل أكثر فعالية، فطوروا فيروساً أطلق عليه فيروس -ظلم- والذي صنف على أنه أول فيروس ذي طابع سياسي يظهر على نطاق واسع على الشبكة ويجسد إحدى وسائل الاحتجاج الرقمي الديمقراطي السلمي غير الضار على الإنترنت، وذلك لأن مصممي الفيروس تميزوا بقدر كبير من الحكمة والحصافة، وانتبهوا إلى ضرورة ممارسة هذا النوع من الاحتجاج الديمقراطي بطريقة لا تتصادم مع الطبيعة الخاصة للإنترنت، فصمموا الفيروس بحيث لا يهاجم وحدات التخزين أو يمحو المعلومات من على الحاسبات التي يصيبها أو يؤثر سلبيًا في نظم التشغيل كما تفعل الفيروسات الأخرى، ولكنه يكتفي فقط بتوجيه الحاسب الذي يصل إليه إلى مواقع على علاقة بالقضية الفلسطينية ثم يعرض رسالة تقول —لا تقلقوا هذا الفيروس غير مؤذٍ لن يضر نظامكم إن هدفه هو مساعدة الشعب الفلسطيني على العيش بسلام في أراضيه.

وحينما تابعت الشركات المتخصصة في أمن المعلومات أداء هذا الفيروس وجدت أنه يدخل نفسه بشكل آلي إلى خمسة وعشرين عنوانًا حكوميًا للبريد الإلكتروني فور فتحه، ويفتح خمسة نوافذ على شاشة الكمبيوتر تتصل بمواقع موالية للفلسطينيين، وترسل نفسها إلى أول خمسين اتصالاً في قائمة مستخدم هذا البريد الإلكتروني[19][1].

إن معطيات الديمقراطية الرقمية لا تقف عند حدود ممارسة التصويت الديمقراطي عبر الإنترنت ولا عند إجراء المسوح الميدانية عبر الإنترنت بل تجاوزتها إلى إعلان الاحتجاج والعصيان المدني الإلكتروني، الذي يقول عنه هنري ثورو المنظم له —كل الناس يتمسكون بحق الثورة، وهو حق رفض الولاء لحكومة ما بل ومقاومتها عندما يصبح استبدادها وطغيانها وعدم كفايتها أمورًا غير محتملة، وقد جاء دور العصيان المدني الإلكتروني كبديل عصري أو على الأقل مؤازر للاحتجاج البدني، كما أنه يعد حلاً مثاليًا

---

[19][1] التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية يحيى اليحياوي ص٢٩

للذين يودون لو شاركوا المتظاهرين ولكنهم يؤثرون السلامة على المشاركة في التظاهرات الفعلية في الشوارع.

إن العصيان المدني الإلكتروني يحاكي ما يحدث في الشارع دون إحداث خسائر مادية، مقارنة بما يحدث على أرض الواقع، فبينما يقوم المتظاهرون بسد المداخل والمخارج والممرات لمنع تدفق المسئولين، يعترض ناشطو العصيان المدني الإلكتروني التدفق المعلوماتي لمختلف الهيئات لشلها وتعطيلها وهو ما يحدث ضغطًا ماليًّا لا يمكن للتظاهر البشري الذي يجري في الشارع أن يحدثه، حيث إن تدفق المعلومات ورءوس الأموال من أهم عناصر الحياة في المجتمعات الرأسمالية.

عن آلية العصيان المدني الإلكتروني لا يحتاج أكثر من جلوس عدد كبير من الناشطين سياسيًّا وراء شاشات الحواسب والاتصال بالإنترنت للتظاهر أو لتكوين رأي عام ما، ولكن بصور ووسائل قد تكون أحيانًا أكثر فلاحًا من المواجهة الحقيقية مع السلطات مثل:

- القيم بإرسال آلاف الرسائل الاحتجاجية والمنددة ... إلخ إلى شتى الجهات المعنية بصورة ضاغطة مزعجة عن طريق البريد الإلكتروني، غير أنه يستخدم هنا لغرض سياسي لا لترويج سلعة أو الدعاية لها.

- الدخول إلى غرف الدردشة في الإنترنت للقيام بحوارات وتكوين رأي مناصر أو مناهض لقضية القضايا، فيما يعرف باسم «المحادثات السياسية»، كذلك تكوين جماعات ضغط سياسية داخل مجموعات المناقشة في الإنترنت.

- القيام بتعطيل موقع ما عن طريق دخول عدد كبير من المستخدمين على ذلك الموقع في وقت واحد، مما يهيئ ورود عدد هائل من الطلبات التي يجب أن يلبيها الحاسب الخادم الذي ينطلق من خلاله هذا الموقع، وإغراق الخادم تحت هذا الطوفان من الطلبات حيث يقوم الناشطون بالدعوة لذلك العمل المنظم قبلها

بفترة كافية حتى يتسنى لأكبر عدد من المشاركين الدخول في توقيت واحد دقيق بفتح عدد غير محدد من نوافذ التصفح وكتابة عنوان الموقع فيه، والضغط عليه في ساعة صفر معروفة سلفًا فيما يعرف بهجوم إيقاف الخدمة. وكل ذلك يؤدي إلى حرمان المستخدم العادي غير المنخرط في ذلك النشاط من الوصول إلى الموقع أو الخدمة التي يقدمها الموقع وهو عقاب للموقع من ورائه.

- الوصول للهدف نفسه السابق بإحدى الوسائل السهلة غير المكلفة من حيث الوقت، ولا تحتاج لأي خبرة ومنها أمر يستخدم لاختبار وجود موقع ما، غير أنه قد يستخدم من خلال مستخدم عادي ليكتب سطرًا واحدًا عبارة عن عنوان الموقع يتقدمه أمر ping ليقوم الجهاز بذلك الاختبار بشكل متكرر.

- إرسال الرسائل الإلكترونية وتداولها بالإضافة إلى عمل المواقع لنشر الأفكار والرؤى الخاصة في شكل مظاهرة لخلق رأي عام ضد قضية ما، أو في سبيل تعضيد قضية أخرى بالإضافة إلى إبراز عيوب الأولى ومخاطرها في مقابلة واضحة لمزايا وفوائد الثانية.

وهناك طرق أخرى للعصيان المدني الإلكتروني الذي لا زال في طور الطفولة سواء من ناحية النظرية أو التطبيق، فما حدث حتى الآن وما يحمله الغيب من أحداث يمكن أن تقوم بها مليشيات العصيان المدني الإلكتروني جميعها يدل على أن هناك تغييرًا قد يكون جذريًا في أساليب مناهضة القوانين والمنظمات والحكومات والمعاهدات، وأن المتمردين على الدكتاتورية التي تحكم بالحديد والنار وأحزاب الخضر وجماعات السلام الأخضر والمهتمين بشئون البيئة وأنصار الديمقراطية وحقوق الإنسان والمطالبين بحقوق العمال والمنددين بالعولمة إلى آخر هذه القائمة المعروفة، قد وجدوا ضالتهم التي ينشدونها في هذا النوع من العصيان المدني الإلكتروني"[1].

[1] الديمقراطية لرقمية ص١١٤.

وهكذا نجد أن الإنترنت يمكن استخدامها للسياسة المؤيدة أو المعارضة، وأن توظيفاتها السياسية لا تقف عند حد، وأن الذين يحاولون استخدامها كأداة عولمية لنماذج رأسمالية محددة يجب أن يحسبوا حساب هذه المعارضة بالأدوات الإلكترونية التي تروج للعولمة.

فالإنترنت أداة سياسية وإعلامية واقتصادية يمكن توظيفها لعولمة العالم كله، ولكنها مفتوحة للجميع وديمقراطيتها الرقمية لمن يستطيع أن يستخدمها ويوظفها، فالاحتكار هنا محدود، فليس ثمة احتكار مطلق ولا زالت المنظمات تستخدمها للإرهاب وضد الإرهاب على السواء.

الإنترنت والاقتصاد المعلوماتي:

حينما نعود إلى الأسئلة التي طرحها الدكتور نبيل علي في مدخل كتابه «الثقافة العربية وعصر المعلومات» نجد أن تساؤله عن معنى ما طرحه (ال جور) حينما قال: دعونا نتجاوز الأيدلوجيا لنتحرك معًا صوب هدف مشترك لبناء بنية أساسية معلوماتية عالمية لمصلحة جميع الدول من أجل خدمة اقتصادنا الحر، ولتحسين خدمات الصحة والتعليم وحماية البيئة والديمقراطية.. هذا التساؤل يعني تبني الاقتصاد الحر في المعنى الاقتصادي للمعلوماتية، كما يعني تبني الديمقراطية في المعنى السياسي الليبرالي لها، أي أن أيدلوجيا النموذج الرأسمالي هو الذي يسعى إليه (ال جور) في مطالبته لبناء قاعدة معلوماتية عالمية في عصر العولمة الجديد، هذا الذي تقوده الشركات المتعددة الجنسية إلى جانب المنظمات الدولية.

هنا نأتي إلى التساؤل الاقتصادي الكبير للدكتور علي: (ماذا يفعل فقراء هذا العالم وكلفة إنشاء هذه البنية التحتية تقدر بتريليونات الدولارات؟.

ويكرر الدكتور علي تساؤلاته بشكل آخر، ولكن هذه المرة عن العولمة الاقتصادية فيقول: ما كل هذا الجدل حول ظاهرة العولمة؟ ما يزيد على ١٥٠٠ مؤتمر وندوة؟ تلك الظاهرة وليدة ثورة المعلومات والاتصالات، هل هي دين الرأسمالية الجديد؟ نوع متطور من الحتمية الاقتصادية لملء فراغ الحتميات بعد أن خلا بزوال النازية والفاشية والشيوعية؟

ثم يزيد في التساؤل الآخر عن معنى الاندماجات في صناعة الإعلام والسينما حيث يقول: ما كل هذه الاندماجات بين عمالقة صناعة الإعلام وصناعة السينما ودور النشر وشركات برمجة الكمبيوتر والإنترنت؟ مثال رقم ١ شركة (إم سي إن) لاتصالات الألياف الضوئية مع مؤسسات روبرت مردوخ الإعلامية، مثال رقم ٢ شركة (وارنر) للاتصالات مع التايمز دار النشر الصحفية، ثم مع (سي إن إن) قطب الإعلام التلفزيوني، وأخيراً مؤسسة (أيه) أو (ال) كبرى الشركات الأمريكية لتقديم خدمات الإنترنت.

وما الذي دعا شركة (سوني) اليابانية إلى شراء شركة (سي بي إس) للتسجيلات الموسيقية واستديوهات كولومبيا للإنتاج السينمائي؟ وما هذه الأرقام الفلكية التي تتنامى إلى أسماعنا عن عوائد صناعة ألعاب الفديو - حوالي ٧٠ بليون دولاراً سنوياً- وعما ينفق فيها حالياً من استثمارات ضخمة تقدر بعشرات المليارات من الدولارات سنوياً، تساهم بها شركات أمريكية عملاقة أقامت سمعتها على تقديم الخدمات الجادة لمؤسسات الأعمال والأموال، شركة (أي تي اند تي) على سبيل المثال؛ هل وقار الكبار وقد ذهب يبحث عن مصروف الصغار ويزيد من نصيبه من مصروفات المنازل؟ أم أنه التقارب بين اللعب والعمل الذي يشهده مجتمع المعلومات؟"[1].

لا شك أن الجواب على هذه التساؤلات التي جاءت في مضمون كتاب الدكتور علي هي المدخل والمضمون الحقيقي للبعد الاقتصادي للمعلوماتية بما فيها الإنترنت التي تقودها جميعاً، فماذا أجاب الدكتور علي عن هذه التساؤلات؟

حينما بحث الدكتور علي عن علاقة منظومة تكنولوجيا المعلومات بالمنظومة الاقتصادية قال: تبرز أهمية المعلومات اقتصادياً في ضوء تعدد الأدوار الاقتصادية لها، فالمعلومات سلعة اقتصادية، وخدمة اقتصادية، وذلك علاوة على كون المعلومات مورداً حيوياً مسانداً لجميع الأنشطة الاقتصادية الأخرى، لقد أدت تكنولوجيا المعلومات وفيضها الزائد إلى

---

(1) الديمقراطية الرقمية ص١١٠-١١١

زيادة الإنتاج مما حدا البعض إلى أن يتساءل: هل أصبحت الرأسمالية الحديثة منتجة أكثر من اللازم؟ وكما يقول محمود عبد الفضيل: فإن التوسع الهائل في إمكانات الإنتاج سيصحبه تقلص فرص العمل وارتفاع معدلات البطالة بشكل دائم مما يؤدي إلى قصور في الطلب، ثم الركود والكساد الاقتصادي.. هذا بصفة عامة، أما أهم ملامح العلاقة المعلوماتية - الاقتصادية في رأي الكاتب فهي:

الاندماجات الاقتصادية الضخمة التي تتم حاليًا في قطاعي المعلومات والإعلام وما ينجم عن ذلك من خلل في توزيع فرص العمل والإنتاج والإبداع إلى حد الاحتكار.

- الأمور المتعلقة بالملكية الفكرية وتسعير خدمات الإنترنت خاصة فيما يتعلق بشق المحتوى، المادة الخام لصناعة المعلومات.

- التغيرات الجذرية المتوقعة في اقتصاد النشر الطباعي والسينما الترفيهية.

وكعهدنا بها لا تتوقف تكنولوجيا المعلومات عن كشف آفاق معرفية جديدة، وها هي تخرج إلينا بمفهوم اقتصادي جديد، ونقصد به اقتصاد التنبيه والتركيز attetionl economy والذي يهدف إلى ترشيد استخدام الإنسان لحواسه البصرية والسمعية، وقدرته على التركيز واستخدامه موارد ذاكرته القصيرة والمتوسطة المدى.

لقد ظهرت أهمية هذا التوجه إزاء - حمل المعلومات الزائد-.. لقد زادت سرعة المعلومات ومعدل تدفقها في حين ظلت حواسنا وقدراتنا الذهنية ثابتة كما هي وهو ما يتطلب استخدامًا أفضل لهذه الموارد حتى لا ينسحق الإنسان أمام إعصار المعلومات الجارف"[32][1].

لقد انعكست التوجهات الاقتصادية للمعلوماتية على الإنترنت حيث انتقل من شبكة أشبه بالمنتدى العلمي والثقافي إلى سوق التجارة الإلكترونية، بعدما كانت لدى مؤسسيها الأوائل قد وقفت موقفًا حازمًا ضد أي نشاط تجاري أو تسلل إعلاني أو إعلامي، إذ إن القوى الاقتصادية التقليدية وجدت فيها قدرة فائقة على ربط مصادر الإنتاج بمنابع

---

[32][1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٢٤-٢٦-٢٨

الطلب وكونها وسيلة فعّالة لنقل بضائع صناعة الثقافة عبر طرق معلوماتية فائقة السرعة، وهكذا -كما يعبر الدكتور علي- وطئت مؤسسات المال والتجارة والإعلام بأقدامها الثقيلة هذا الحرم الأكاديمي محيلة إياه إلى متجر إلكتروني وبوق إعلاني ومنافذ للتوزيع وساحة بحوث التسويق.

وهكذا تحولت الإنترنت إلى وسيلة إلكترونية للتجارة، وبدأت مليارات الدولارات تتدفق عبر هذا الوسيط مقابل البضائع ذات الطابع الثقافي أساسًا، وهكذا تكون أكبر وسيلة لثورة المعلومات وتقنياتها تتحول إلى تجارة سواء للمعلومات أو للتقنيات الخاصة بها، وهكذا جاءت الأرقام الفلكية التي تتداولها هذه التجارة من الدولارات بسرعة لم يحلم بها تاجر ولا صناعي ولا إعلامي، ومن هنا كان عصر عولمة الاقتصاد الذي جر وراءه عولمة الثقافة وحولها إلى سلعة دولية مستخدمًا تقنيات المعلوماتية ذاتها وشبكة الإنترنت الماموثية.

إن من الحقائق التي فرزها هذا التوجه الاقتصادي للمعلوماتية في عصر العولمة هو ما حدده يحيى اليحياوي في قوله: إن العلم بدأ ينتقل تدريجيًا ومنذ مدة من اقتصاد سوق تقليدي وملموس إلى اقتصاد شبكات ذي تيارات مستمرة ومتسارعة يبرر جزئيًا استعمالنا لمصطلحات الاقتصاد المعرفي أو الاقتصاد اللامادي أو الاقتصاد الافتراضي أو الاقتصاد الجديد ...إلخ وبالتالي لم يعد البحث العلمي مرتبطًا بإبداع وتصميم السلعة أو الخدمة بقدر ما أصبح مهتمًا بما ينتج عنها من ترابطات وتداخلات وتكاملات في ميدان تكنولوجيا الإعلام ووسائط الاتصال مثلاً- لم يعد البحث قطاعيًا أي منحصرًا داخل قطاع واحد، اتصالات أو إعلام سمعي -بصري أو معلوميات ... إلخ بل أصبح يهتم بمدى ما يتم داخل القطاعات الأخرى بهدف الاستفادة منها أو النسج على منواله"[1].

إن النظرة المباشرة إلى الجانب الاقتصادي للمعلوماتية لا يمكن أن يقود إلى الفهم الصحيح إلا من خلال العولمة وعصرها الجديد والأرقام التي يعكسها اقتصاد المعلوماتية

---

[1] الثقافة العربية وعصر المعلومات ص٨٨

في ظلها، فمن أبرز مفاهيم العولمة الاقتصادية هي أنها تقوم على اندماج أسواق العالم في حقوق التجارة والاستثمارات المباشرة وانتقال الأموال والقوى العاملة والثقافات ضمن إطار من رأسمالية حرية الأسواق وماليًا خضوع العالم لقوى السوق العالمية مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة، وإن العنصر الأساسي في هذه الظاهرة هي الشركات الرأسمالية الضخمة متخطية الحدود"[٢٤](١).

أما آلية العولمة تقنيًا، فإنها تستخدم ثورة تكنولوجيا الاتصالات الجديدة ومنها الإنترنت، وتظهر صورة هذه الآلية التقنية من خلال –تضاعف استخدام هذه التقنية عالميًا حتى جاوز الوقت الذي استهلك في الاتصالات ٦٠ مليار دقيقة عام ١٩٩٥ وتضاعف سوقها حتى قارب نصف مليار دولار سنويًا، ويزداد ١٠٪ سنويًا وكذلك من خلال تقليل تكلفة الاتصالات إلى أن تصبح شبه مجانية في غضون السنوات العشرة القادمة، وعن طريق الإنترنت الآن بإمكان أي شخص من منطقة الخليج الاتصال بأوربا وأمريكا بتكلفة لا تزيد عن ٤ سنتات للدقيقة الواحدة.

- في مجال الإنترنت وهي الشبكة التي حطمت القيود والحواجز وحققت وحدة معلوماتية سيكون لها المستقبل وتأثيرها من خلال سعتها ومحتوياتها وحرية استخدامها، ومن ذلك مستخدمو الإنترنت أكثر من ٥٠٠ مليون مستخدم، كما أن مواقع الإنترنت التجارية والحكومية والخاصة قد تزيد على ٥٠٠ مليون موقع وهي تزداد يوميًا بشكل سريع.

- طرحت بدائل جديدة للتجارة تسمى الآن «التجارة الإلكترونية»، ونشأت الأسواق الإلكترونية وتحققت وحدة السوق العالمي وضخت مليارات الدولارات مثل مدينة الإنترنت في دبي.

- زادت صفحات الإنترنت في نهاية عام ٢٠٠٠ على مليار ونصف صفحة والمستخدمون العرب اقل من ١٪ من مجموع المستخدمين.

---

[٢٤](١) التكنولوجيا والإعلام والديمقراطية ص٢٤

الفصل الثاني

المدونات الإلكترونية العربية

بين التعبير الحر والصحافة البديلة

مدخل إلى المدونات الإلكترونية

يعرف عالم اليوم تطورات سريعة في ميدان الاتصال انعكست بصورة كبيرة على ميدان الإعلام عموماً، وعالم الصحافة المكتوبة بصفة خاصة، فالنظام الرقمي جمع بين تكنولوجيا المعلومات وتكنولوجيا الاتصال، وبذلك ظهور سوق حقيقي للوسائط المتعددة، التي تسمح بإدماج الكثير من المعطيات من مصادر مختلفة نصوص- صور وأصوات، هادفة بذلك إلى تطوير الأشكال الجديدة والجذابة لمنتجات الوسائط المتعددة التفاعلية، ودفع المستخدم لاقتنائها في وقت كان استعماله يقتصر على وسائل الإعلام التقليدية وبصفة خاصة التلفزيون والإذاعة والصحافة، في ظل بحث المستخدم على فضاءات أفضل للتعبير والاتصال وهذا ينطبق أكثر على فئة الشباب أساساً، وهذا أيضاً بالفعل ما خلقته هذه الثورة من أنماط إعلامية جديدة، في مقدمتها الإعلام الإلكتروني على شبكة الإنترنت.

في هذا السياق يمكن الإشارة إلى أن تطور تكنولوجيات الاتصال الجديدة يساهم مساهمة فعالة في تكريس حرية الصحافة وحرية التعبير، اللتين ما زالتا تشكلان إشكالية بالنسبة للكثير من البلدان سيما في البلدان النامية، وهذا رغم صدور الكثير من المواثيق والقرارات الدولية، ولكنها كانت غير كافية لضمان حقوق الإنسان وتطبيقاتها في مجال الإعلام، الذي ارتبطت نشأته بتطورات تكنولوجية لوسائله ورسائله. وهذا بالفعل ما شهدته الألفية الثالثة من نمو متسارع في المعطيات المعرفية والتقنية، وخلق فضاءات جديدة للتعبير الحر. وبالتالي تغيرت أشكال تواصل الإنسان التقليدي، حيث إن هنالك علاقة جدلية بين المجتمع ووسائل الاتصال بمعنى أن هذه الأخيرة تؤثر في المجتمع، وهذا الأخير يؤثر في وسائل الاتصال.

فقد باتت حرية التعبير واحدة من لوازم الحديث عن حاضر ومستقبل العالم العربي؛ إذ لا يجهر طرف عربي واحد ذو شأن سياسي أو معنوي بعدائه للتعبير الحر. فقد يدعي

الرؤساء أن بلدانهم تنعم بحقل حر للقول والتعبير غير أن ادعاءاتهم سرعان ما تتعرض للانهيار خلال نقاش جدي تستخدم خلاله وسائل قياس أولية للتمييز بين التعبير الحر والتعبير المقيد. ومجتمع المعرفة مبني على إنتاج ونشر المعارف والمعلومات وتوزيعها بكل حرية لاستخدامها في جميع ميادين نشاط المجتمع، وقد أصبحت المعرفة الآن الوسيلة المثلى لتحقيق الأهداف العليا والقيم النبيلة للإنسانية، وهي الحرية والعدالة والمساواة وكرامة الإنسان، ولا يمكن لأي مجتمع أن يحقق هدف المعرفة بدون فتح مجالات الإبداع بكل أشكالها لأفراد مجتمعه.

في ظل هذه الظروف اكتسحت التكنولوجيا الحديثة عملية الإنتاج والتحرير، وظهرت بذلك مفاهيم جديدة بميلاد النشر الإلكتروني الذي قلب كل المعايير الإعلامية التقنية منها والعملية إذ تعتبر الإنترنت أكثر هذه الوسائط إثارة للجدل، حيث واكب ظهور انتشارها مظاهر شديدة التغير عصفت بالمبادئ التقليدية للإعلام. كل هذه العوامل جعلت الموجة الجديدة من الكُتّاب والصحفيين تحتضن تقنية المعلومات وتمارس مغامراتها في حرية لم يعهدها المثقف العربي، فكانت البداية بمواقع بسيطة شكلت قوة دافعة للعديد من الكتاب للخروج من القوالب التقليدية للصحافة والإعلام، من خلال توفير خدمات معلوماتية اتصالية أفضل وأسهل استخداماً وأقل تكلفة بفضل خدمات شبكة الإنترنت، من بريد إلكتروني ونشر إلكتروني ومواقع بحث إلكترونية شكلت ثورة في تاريخ الإعلام، بحكم أن الإعلام كانت أسواره عالية، وكان مخصصاً للنخبة والصحافيين ليقولوا ما يريدون قوله للجمهور، بينما هذا الإعلام الجديد المتحرر، والمسمى بـ «الإعلام البديل» يفتح أبوابه للجميع ليكتبوا أو يرسلوا ما يريدون في ديمقراطية إعلامية غير عادية. كما أن الكثير من القراء في يومنا هذا استطاعوا من خلال إدمانهم على الكتابة في مواقع المنتديات أن يحققوا تأثيراً كبيراً يزيد على تأثير الكثير من الصحافيين، وأحدث خدمة تم التوصل إليها هي المدونات الإلكترونية.

وهذا ما جعلها تسمى بـ «الصحافة الإلكترونية» أو «الإعلام البديل» أو «الصحافة البديلة» لدى الكثير من أصحاب الاختصاص، فيما أقر آخرون بأنها إعلام بديل للإعلام التقليدي وعلى وجه الخصوص للصحافة التقليدية. وهذا بسبب ما تتمتع به هذه الخدمة من حرية مطلقة على مستوى الشبكة العنكبوتية، في ظل فقدان المجتمع العربي الثقة في وسائله الإعلامية خاصة منها الصحافة المكتوبة من جهة وفي ظل تقييد الحريات الفردية من جهة أخرى.

وانطلاقًا مما ذكرناه سلفًا، سنحاول معالجة إشكالية حرية التعبير الفردية في المدونات العربية من جهة، حتى أصبحت هي الإعلام البديل لدى الكثير من المستخدمين. فهل يمكن القول أن حرية التعبير في الوطن العربي بدأت بالمدونات، وأن إصلاح الإعلام العربي الرسمي -وهو مطلب شعبي- يمكن أن تساهم في تفعيله المدونات؟ فهل المدونات الإلكترونية العربية تعبير حر أم صحافة بديلة؟

ماهية المدونات الإلكترونية:

لقد تعددت واختلفت تعاريف ومفاهيم ظاهرة المدونات، هناك من عرفها حسب اختصاصه، وآخر حسب مفهومه العام واطلاعاته أو حسب ما سمعه عنها. ولحد الآن لم نتوصل إلى تعريف توافقي لهذه الظاهرة، لأنها في حقيقة الأمر لم تجد بعد مستعمليها بمعنى الكلمة في الوطن العربي. وسنحاول التعرض فيما يلي إلى مجموعة من التعاريف المتفق عليها بين الباحثين والمهتمين بخدمة المدونات الإلكترونية.

- المعنى اللغوي للتدوين:

في المعجم الوسيط: دوّن (الديوان): أنشأه أو جمعه. ودوّن الكتب: جمعها ورتبها، وهي كلمة معربة؛[25]

---

[25] (1) الاتصال الدولي والعربي ص٨٥

« المدونة أصلها في المعجم من كلمة «دوّن» بفتح الدال وشد الواو، وهي في العصور القديمة كانت تنسب إلى «الديوان»، وهو الدفتر الذي يكتب فيه أسماء الجيش وأهل العطاء، وتعبر كلمة «دوّن» في سياق جملة ما، عن جمع وترتيب، كمثال «أيمن دوّن أسماء الأصدقاء في ورقة» ولهذا كانت منها كلمة مدونة أوBlog. [26]

وحقيقة كلمة Blog بمعنى مدونة أو bloggers التي تأتي بمعنى مدونين مدونون. أما ترجمتها إلى كلمة مدونة كان وصفيًا وليس حرفيًا؛ لأن كلمة blog هي اختصار لكلمة web log فحذفت الـwe وضمت الـ b مع الـ Log لتصبح Blog . وانتشرت الكلمة في البلاد العربية بلهجات مختلفة، فمثلاً في مصر تكتب وتنطق بلوج وفي دول المغرب العربي أيضًا على نفس النحو، أما في السعودية فتنطق بلوغ وهناك دول عربية أخرى تكتبها بلق.[٢٧]

– التعريف الاصطلاحي للمدونة.

«كلمة مدونة هي التعريب الأكثر رواجًا لكلمة web log بمعنى سجل الشبكة. وتمثل المدونة إحدى التطبيقات الحديثة التي ظهرت على شبكة الإنترنت، والتي تتيح الحصول على صورة مبسطة لصفحات الويب، تظهر عليها مقالات تسمى «تدوينات» يتم ترتيبها ترتيبًا زمنيًا تصاعديًا». لكننا نلاحظ أن هذا التعريف ناقص بالمقارنة مع ما تحمله هذه الخدمة من مواصفات.

تعني اصطلاحًا «سجلات الشبكة»، وهي حالة من التعبير الذاتي والترويح عن النفس ومحاولة للهروب من حصار الحياة اليومية السياسية والاجتماعية والاقتصادية. فالمدونات محاولة لتجاوز المحرمات بكل تصنيفاتها، ليصبح الممنوع مرغوبًا فيه، وتصبح الكتابة على واجهة المدونات عبارة عن بديل عن الاستقالة والسلبية والانتحار الذاتي، بحكم حالة

٢٦– هاني علي، نافذة بلا ستائر من كتاب المدونات نافذة الحب والحرية...
Source:http://hani.maktoobblog.com/307700 (accessed 02-04-2008)
27 -Source:http://www.swalif.net/softs/newreply.php?do (accessed 14-02-2008)2

الاحتقان الاجتماعي والسياسي الذي يعيشه العالم والمنطقة العربية.»[28] هو تعريف يكاد يكون شاملاً لولا التزامه بالمنطقة العربية فقط.

- التعريف الدلالي:

- عرفها «درويش اللبان» على أنها «صحافة الوب الجديدة أو صحافة الهواة» amateur reporting في شكل تحميل مواد على الوب weblogging وحول العالم، يسجل آلاف من الأفراد خبراتهم وآراءهم في المنتديات الإلكترونية Online Forums . وهو ما يصل إلى جماهير عريضة.

- - «المدونات أو الصفحات الشخصية هي تطبيق من تطبيقات الإنترنت، يعمل من خلال نظام المحتوى. وهو في أبسط صوره عبارة عن صفحة واب، تظهر عليها تدوينات مؤرخة ومرتبة ترتيبًا زمنيًا تصاعديًا، تصاحبها آلية لأرشفة التدوينات القديمة، ويكون لكل مدخل منها علوان دائم لا يتغير منذ لحظة نشره».

- «المدونات مذكرات شخصية، أو مساحة للتعبير السياسي أو الديني أو الاجتماعي. كما تستخدم بعض المدونات كتجمعات افتراضية تجمع بين هواة لهواية معينة، أو مهنة أو حتى مشروع أكاديمي أو بحث علمي».

- «هي الواجهة الأشمل للتعبير عن النفس سواء للأفضل أو أيضًا للأسوأ، وهذا ما يجعلها سلاحًا ذا حدين كغيرها من وسائل الإعلام التي تروج إما فكرًا مبتسرًا أو ظلاميًا».

- «هي صحافة مغايرة تتميز بدرجة أعلى من الحرية والتنوع، وهي صحافة رقمية تميزها القدرة على متابعة الأخبار أول بأول، فالحدث يتم تغطيته ونشر أخباره وقت حدوثه. لكن ربما تكون قدرة القراء على المشاركة في نقض وصنع الخبر، بالتعليق

---

٢٨ – جمال الزرن، دراسة بعنوان سلطة التدوين، مجلة الشئون العربية على النت، ٣١ يوليو ٢٠٠٧، العدد ١٣٠.

عليه والمناقشة العلنية بين القراء أهم ما يميز هذه الصحافة البديلة. والمدونات عبارة عن مساحة شخصية تتيح لصاحب الصفحة النشر بسلاسة شديدة، يكتب المدونون خواطرهم وأخبارهم وآراءهم. يغطي كل منهم الأحداث التي شهدها أو شارك فيها، ويناقش ويرد المدونون على ما نشر في مواقع أخرى».[٢٩][١]

- «هي نوع اجتماعي، عبارة عن «مفكرات» إلكترونية على شبكة الإنترنت تروي فيها فتيات وسيدات وشبان ورجال تجاربهم الشخصية الاجتماعية الحقيقية، بحرية ويدوّن فيها الجمهور وزملاء المدونين من أصحاب المدونات الأخرى غالبًا تعليقاتهم، التي تبث بشكل مباشر ولحظة بلحظة على هذه المواقع الخاصة التي يسهل الاطلاع عليها. وبلغة عامية ساخرة جذابة للغاية».[٣٠][٢]

- «المدونات هي واحدة من المستحدثات الاتصالية الأخيرة التي تسرع تقاسم المعلومات وتشكيل مجتمع محلي افتراضي. وينبغي النظر إلى المدونات كمفهوم بني على جذور فلسفية عميقة وخفية. جذور يبدو أنها تساهم لا شعوريًا في استحداث المدونات الجارية. والمدونات الأفضل هي تلك التي طورت أساليب الكتابة والاتصال التي تتسم بالنزاهة والحوار والتفاعلية التي تؤسس الوفاء والثقة المتبادلة. والمدونات ليست الطريقة الأبسط والأسرع لإدارة الاتصال مع جماعة عريضة وموزعة على نطاق واسع وحسب، وإنما هي بسيطة وسريعة حقًا. وهذا يطبق على المدونات التي تستعمل النص والصوت والفيديو. فتقاسم بذلك المعلومات ورجع صدى».[٣١][٣]

[٢٩][١] عبد الله حتي، الشباب العربي يعارض حكامه بالإنترنت جريدة المحقق، العدد ٨٦ من١٣ إلى ٠٩ نوفمبر ٢٠٠٧، ص ٢٣.

30 -Manal and alla a s bit bucket free...-Source: http://www.manalaa.net (accessed

[٣١][٣] – محمد جمال عرفة، حواء وآدم، مدونات اجتماعية، إسلام أون لاين...

Source: http://www.islamonline.net/servlet/Satellite?cid =1120165728552&pagenam (accessed06-08-2007)

- «المدونة وسيلة جديدة وهامة في الاتصال وتحرير الكلمة، بالنظر إلى الحرية الكبيرة التي تُمنح لآلاف الأشخاص للحديث عنه كل ما يحز في نفوسهم دون قيد أو شرط».[32](1)

- «هي موقع شخصي حر متعدد الاهتمامات والمجالات، يعبر فيه المدون عن أي موضوع وفي أي مجال برأي حر، ويروي فيه يومياته الخاصة للجمهور الذي يقاسمه نفس الاهتمامات».[33](1)

ومما ذكر نستنتج أن المدونات الإلكترونية موقعًا إلكترونيًّا للكتابة، يتألف من رزنامة من الأحداث والسيرة الذاتية والرأي بأشكال مختلفة، باختلاف دوافع المدونين السياسية منها أو الذاتية، هذا الفضاء الحر الذي ظهر في التسعينيات من القرن الماضي، كإعلام بديل يحمل في طياته بوادر منافسة للإعلام التقليدي المهيمن، خاصة في ظل ما تشهده الصحافة المكتوبة من رقابة وضغوطات من جهة، وبحث الكثير من الأفراد عن متنفس لاستعماله كفضاء يشبع رغباتهم المكبوتة من جهة أخرى، علاوة على ذلك فهي خدمة توفر أشكالاً جديدة للممارسة الإعلامية. مما جعل الكثير من الصحفيين والسياسيين من أبرز مستخدميها، وهكذا أصبحت المدونات تشكل إعلامًا بديلاً لدى الكثير من مستخدميها أو كما يسميها البعض «الصحافة الشعبية».

فالمدونات شكل جديد من التواصل وآلية من آليات التعبير التي تمنح لصاحبها حرية يستطيع من خلالها التعبير بكل حرية وبدون تلك القيود المفروضة من جانب أي شكل من أشكال الرقابة، التي تعمل على قمع الحريات وحجب الأصوات المعارضة. هذه الخدمة التي شكلت في السنوات الأخيرة ظاهرة قوية وفاعلة سواء على المستويين الإعلامي أو السياسي وذلك للأثر الذي أحدثه المدونون لتكون هذه الظاهرة محل جدل حول الأثر الذي يمكن أن يلعبه التدوين، خاصة وأن تأثير وشهرة هذه المدونات قد فاقت التوقعات،

32- Blog Thinking: Radically Simplifying Web Publishing & Communication
Source: http://www.blog_study.blogspot.com (accessed le: 05-04-2008)

33 (1) - منير ركاب، ثورة المدونات الإلكترونية تجتاح الجزائر، جريدة إعلام تك، العدد26، من 8 إلى15 فبراير 2007، ص05.

وباتت تمثل صداعًا في رأس العديد من الحكومات العربية التي تخشى بشدة أن يتملك المواطنين وسائل تتيح لهم فضح الممارسات غير القانونية واللا ديمقراطية التي تنتهجها هذه الحكومات لا سيما بعد النشاط البارز للمدونين الذين كانوا كمن أشار لطريق جديد يمكن أن يسلكه أي فرد من المجتمع حتى ولو دفع هؤلاء المدونون ثمنًا لنشاطهم مثل ما حدث وما زال يحدث مع الكثير منهم.

مراحل وعوامل نشأة المدونات الإلكترونية وأنواعها:

في قراءة تاريخية مختصرة لنشأة المدونات يمكن القول أنها ظاهرة تطورت عبر ثلاث مراحل حسب دراسة قدمها الباحث «جمال الزرن» لمجلة الشئون العربية على النت وهذه المراحل هي كالآتي:[34](1)

المرحلة الأولى: حيث انطلقت المدونات في منتصف تسعينيات القرن الروحي مع المدون الأمريكي «جورج بار غريف» عام ١٩٩٤ مع موقع «دراحج ريبورت». وهو من كان وراء نشر فضيحة «مونيكا لفن سكي» السكرتيرة الخاصة للرئيس الأمريكي السابق «بيل كلنتون» سنة ١٩٩٤م.

المرحلة الثانية: أو الميلاد الحقيقي للمدونات خاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر، ففي هذه المرحلة دخل الصحفيون إلى معترك التدوين. وبدأت المدونات تكتسب شيئًا فشيئًا قدرتها بعد هجوم شنه عليه المدونون، إثر تصريحات أطلقها Trent lott على التأثير، كما ظهر أن الغزو على العراق سنة ٢٠٠٣ كان سببًا آخر في انتشار المدونات، في حين أطلق عليها البعض اسم «مدونات الحرب المنصرية». ومنذ ذلك الحين انتشر التدوين وأصبح وسيلة اتصال شعبية ومؤثرة، فقد ظهرت مدونات مؤيدة للحرب من أشهرها «آنستا بوندت».

أما عام ٢٠٠٣ فقد أصبحت فيه المدونات وسيلة للعديد من الأشخاص المناوئين

34- Francis Balle: lexique d'information communication, Dalloz, 2006, p40

للحرب في الغرب، للتعبير عن مواقفهم السياسية. ومنهم مشاهير السياسة الأمريكية من أمثال «هوارد دين». وغطتها مجلات شهيرة كمجلة «فوربس» في مقالات لها. كما كان استخدام معهد «آدم سميث» البريطاني لهذه الوسيلة دوره في تأصيلها.

المرحلة الثالثة: هي مرحلة النضج ومؤشراتها بدأت في النصف الثاني من العام ٢٠٠٤م، حين تحول التدوين إلى ظاهرة عالمية عرفت انفجارًا كبيرًا ابتداء من سنة ٢٠٠٥م. فقد بدأت تظهر مجموعة جديدة مميزة على شبكة الإنترنت، تختلف عن بقية المواقع الكلاسيكية ومواقع الدردشة والبوابات والمواقع الشخصية. بها وصلات مشتركة استطاعت أن تفرض نفسها لتتكاثر بسرعة ملفتة ليصل عددها في نوفمبر من سنة ٢٠٠٠م إلى ١,٢ مليون مدونة، حسب إحصائيات الموقع الخاص بالمدونات. وقد استنتج هذا المحرك أن نسبة نمو هذه المواقع تفوق بكثير بقية أصناف مواقع الإنترنت، وتشير إحصائيات ٢٠٠٦م إلى وجود أكثر من ٥٠ مليون مدونة في العالم.

وقد أشارت دراسات السوق –وفقًا لموقع Zdnet الألماني– «أن عدد هذه المدونات الشخصية التي يتم إنشاؤها يتزايد بشكل سريع حول العالم، حيث تشير آخر إحصائية أن هناك الآن ما يقرب من ٢٧ مليون مدونة شخصية حول العالم، أغلبها أشبه باليوميات الشخصية التي تجذب قليلاً من القراء».

عوامل نشأة المدونات الإلكترونية:

أ- عولمة الإعلام: وهذا بتراجع مقولة الاتصال الجماهيري والتي كانت مقدمة للصناعات الإعلامية، غدت مقولة الاتصال الجماهيري –رغم نبلها– مقوله في القهر والتضليل واغتصاب العقول، أما الصناعات الثقافية فهي الاحتكار والتنميط الذي تفرضه الشركات متعددة الجنسيات التي تستهدف الربح. فنجد بذلك شركة واحدة تملك عدة مؤسسات إعلامية، وهذا ما يحدث مع الإنترنت. فقد أصبح المستعمل منا لا

يفرق بين البرامج المتشابهة والسبب هو تشابه سياسات التحرير، ففي سنة ١٩٩٩ كانت توجد ٥٠ شركة تتقاسم ٦٠% من قطاع الإنترنت، أما في سنة ٢٠٠١ فقد أصبحت ١٤ شركة فقط. مثل هذا التمركز وهذه القطبية، تفقد المؤسسة الإعلامية والاتصالية على حد السواء القدرة على توفير مادة إعلامية متنوعة، وذلك بسبب غياب التعددية في الملكية، ويعتقد صاحب مدونة «جحا كوم» أن المدونة اختراع رائع، يستطيع الفرد من خلالها أن يتفاعل من دون وسيط مع الأحداث ومع الآخرين، وبذلك ستكون المدونة أداة التواصل الإنساني الحر الذي سيكنس تدريجياً وسائل الاتصال الجماهيري التقليدية، التي صودر معظمها من قبل القوى السياسية الشمولية وقوات التحالف بكل أنواعها.

ب- تراجع الثقة في الصحافة التقليدية: يعتبر فقدان الثقة في وسائل الإعلام التقليدية نتيجة حتمية لظاهرة عولمة الإعلام وبروز أقطاب إعلامية دولية كبرى تديرها شركات عملاقة، تحكمها رهانات مالية وسياسية يصعب كشف تمثلاتها. في الأصل تعتبر المدونات رد فعل قد يكون في نفس الوقت عفوي وواع عن تقلص حضور المواطن في قضايا الشأن العام، وتأكيد لحالة من التشكيك في مصداقية الصحافة، وهي بذلك تعكس ظرفًا حرجًا من عدم الثقة بين وسائل الإعلام التقليدية والجيل الجديد من مستخدمي الإنترنت والإعلام الإلكتروني. واستطاعت المدونات أن تنافس المعلومة الرسمية التقليدية التي تبثها الصحف والإذاعات والمحطات الفضائية، فالكتابة والنشر بالاعتماد على المدونة أسهل على المستوى السيكولوجي من الأشكال الأخرى من التعبير (الصحيفة، الإذاعة...) بحكم أن الكاتب لا يخشى من الأحكام المسبقة، خاصة عندما يكون الهدف هو التواصل مع الآخر. فالمدونات تعتبر الوسيلة الأسهل والأسرع للتواصل بين نبض الشارع والإعلان والساسة. فمنذ عصور لم تتح للبشرية وسيلة بهذه السهولة تمكن أي شخص من إبداء الرأي ونقل الأحداث كما يراها هو، بدون أي تأثير خارجي وبدون خضوعها لمقص الرقيب.

لقد أصبح المواطن لا يثق في الإعلام عامة وفي الصحافة خاصة، فهي تسوق للحملات الانتخابية وتسعى للربح على حساب المصلحة العامة، وأمام حالة الشك والنقد للصحافة التقليدية، تريد صحافة المدونات أن تحرج المسئول وأن تنشر ما لا تنشره الصحافة الكلاسيكية، التي تخضع لرهانات وأجندة البورصة والتكتلات. فصحافة المدونات لا تحتاج لتكلفة مالية، ولا مصلحة ذاتية لها، ولا مناصب تسعى للدفاع عنها ولا رأس مال لها تخشى عليه أن ينهار في سوق الأسهم. إنها ببساطة صحافة الفرد الذي يتحدث بوصفه مواطنًا لم يجد من يسمع مشاكله، ويعرضها على وسائل الإعلام التقليدية: تلفزيون، إذاعة، صحافة ورقية.

ج- دور الشباب: تنتشر ظاهرة التدوين في أوساط الشباب والتي كانت الفئة الدافعة لشيوع هذا الشكل من التواصل من داخل شبكة الإنترنت، بل تكاد تكون ممارسة التدوين حكرًا عليه، وقد يكون وراء هذا الانخراط العفوي في فعل التدوين صلة بفقد الشباب الثقة في وسائل الإعلام التقليدية. ويمكن القول: إن ظاهرة المدونات ساهمت في تحديد وتشكيل ديمغرافيا الإنترنت، وخاصة الإجابة على ذلك السؤال القديم المحير: من هي الشريحة الأكثر حضورًا في شبكة الإنترنت كفضاء افتراض يصعب تقييمه ومتابعته؟

لقد أظهرت المدونات الإلكترونية على شبكة الإنترنت فئة الشباب، وهي تكتب ما يدور في حياتها اليومية من مواقف وآراء وقصص تريد أن يشاركها الناس تفاصيلها. والمدونة تعبير جديد عن ديمقراطية الكتابة، التي كانت ولا زالت إلى الآن حكرًا على كهول وأصحاب الشهادات العليا بوصفها نشاطًا نخبويًا، كما أنها أصبحت علامة على ديمقراطية الكتابة بعد أن تحققت ديمقراطية القراءة وخاصة في الغرب، فالشعوب الغربية قياسًا لشعوب العالم الثالث شعوب تقرأ، وبديهي أن تؤدي سلوكيات القراءة إلى سلوكيات جديدة في الكتابة ما إن وفرت الإنترنت الفرصة لذلك، فشباب المدونات ومن خلال انخراطهم في

هذا الشكل من التعبير عن قضايا الشأن العام والخاص يريدون إيصال رسالة تقول: عفواً، لا نملك بديلاً للتعبير عن رأينا إلا المدونات فهي الحل الأول والأخير المتاح.

د- الخلفية التسويقية: لا يمكن تجاهل الخلفية التسويقية والتجارية التي يقف وراءها موفرو خدمة التدوين في شبكة الإنترنت وشركات الاتصال، فالمدونات رغم مجانية توطينها تحولت إلى مدخل لترسيخ ثقافة الإبحار على شبكة الإنترنت والاعتماد عليها في البحث على المعلومة والخبر في مجالات أخرى مختلفة. كما تمكن المدونات موفري خدمة التدوين من خدمات الإعلان الموجه للمدونين، وذلك بحكم تكاثرهم وتعدد اهتماماتهم. فاستثمارات القرن الجديد انصبت في معظمها نحو الاستثمار في تقنية المعلومات، وهو ما يستدعي مزيداً من التنوع والخلق والإبداع في خدمات شبكة الإنترنت حتى تكون مربحة. فالمدونات لا يمكن عزلها عن خلفية تسويقية، فهي أحد مجالات اقتصاد الشبكة الجديد. وبذلك أصبح التدوين على المستوى التسويقي التجاري مدخلاً في التعلم وتربية الجيل الجديد على استعمال ما تفرزه هذه الشبكة من أفلام وصور وموسيقى وأخبار واستهلاكها، فكلما زاد المدونون كثر عدد المستغلين للشبكة، وهو ما يعني إقبال المعلنين والمستثمرين على مزيد من الاستثمار في هذا القطاع الحيوي.

هـ- النكبات: ومن بين العوامل غير المباشرة التي سارعت في تفعيل انتشار ظاهرة المدونات يمكن ذكر الحرب على العراق التي جذبت اهتمام المدونين وخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية، عندما بدأ الجندي الأمريكي «جاسون» في تدوين مذكراته أثناء الحرب، ووضعه لعينة من الصور الرقمية المعبرة عن مآسي الحرب في مذكراته الإلكترونية، وكان هذا الجندي قد استطاع أن ينقل معاناتهم وآمالهم، ونجح في تقديم ما لم يلفت إليه الإعلام الأمريكي وهي وجهة نظر المدنيين العراقيين ومعاناتهم.

فقد تأسست قبيل اندلاع الحرب مدونات، تدعم من سافر إلى الجمعيات والمنظمات المعارضة للحرب والمدافعين عن حقوق الإنسان. خاصة منهم أولئك الذين استعملوا في الحرب كدروع بشرية، فكانت يومياتهم وتعليقاتهم الحية حول ما يستجد في العراق تجد طريقها لكل العالم، وأصبحوا يتلقون الردود للتدوين واتجهوا ينشرون على هذه المواقع أخبار الحرب بشكل مستقل عن وسائل الإعلام التقليدية حول العالم. وخلال الأسبوع الأول للحرب على العراق كانت مواقع المدونات أفضل المواقع التي قدمت تغطية مثيرة للحرب، مقارنة بجهات ومواقع إعلامية أخرى. وقد قدم بعضها تاريخًا يوميًا للحرب ووقائعها بالاعتماد على معلومات من شهود عيان ويوميات لأشخاص عايشوا الأحداث.

كما برز الامتياز للمدونات أيضًا خلال كارثة «تسونا مي» في جنوب شرق آسيا، حيث سبق كتاب المدونات أطوار هذه الكارثة، وغطوا بالتفصيل وبالصور الدمار الذي خلفته، حتى إن العديد من القنوات التلفزيونية قامت بنقل تفاصيل الحدث عن هذه المدونات. كما نجحت هذه المدونات في حث وتحفيز الناس على التبرع، حتى إن هذا الحماس والمنافسة دفع الحكومة البريطانية إلى الرفع من قيمة تبرعاتها على ما كانت الدولة تعتزم تقديمه، نفس السبق حققته المدونات خلال إعصار «كاترينا» المدمر الذي ضرب الولايات المتحدة الأمريكية. هكذا أصبحت المدونات وبشكل ملفت إبداعًا وتجسيدًا إنسانيًا غير مسبوق، عن كيف يمكن توظيف تكنولوجيا الاتصال الحديثة كأداة يمكنها أن تساعد الرأي العام وبشكل فعّال ومثير في التعبير عن مشاعره حول الحرب والكوارث وعدة قضايا إنسانية.

بكل تلك الأسباب المباشرة وغير المباشرة أصبحت صفحات المدونة أقرب إلى الجريدة أو الصحيفة الإلكترونية، أو إلى ما يمكن أن نطلق عليه بيوميات «أون لاين»، فهي عبارة عن ظاهرة جديدة تساهم في تحديد هوية الإنترنت. إنها ظاهرة تشبه شكلاً من أشكال النميمة أو الإشاعة الصحيحة، إذ يهيمن كل ما هو سري ومكبوت، ومنفلت وحميمي ومناهض للإجماع العام ومهمش على ما ينشر في المدونات. فللمدونة تأثير أيضًا على

مستعمليها ويعود ذلك خاصة إلى ما يتميز به الإنترنت من سرعة وتحررية في الاستجابة إلى ما ينتظره الجمهور، وبشكل مختلف عن وسائل الاتصال التقليدية.

أنواع المدونات الإلكترونية:

المدونات لا تقف عند نوع معين، بل لها أشكال وأنواع وصيغ مختلفة وعديدة. فمن ناحية المضمون نجد فيها الاقتصادية والإخبارية والرياضية والدينية والترفيهية والسياسية والمحلية والتقنية. ونجد أن أشهر نوعين منهم هما السياسية والرياضية، وتأتي في المرتبة الثالثة التقنية. لهذا عدد ضخم من المدونات العالمية تتناول قضايا سياسية، وأغلبها آراء لكاتبيها وليست نشرات إخبارية. البعض ينقل من مصادر مثل «الجزيرة نت» أو «العربية» أو حتى الـ «بي بي سي» وغيرها، وهناك مدونات أخرى بين البينين ليس لها وجهة معينة، تتحدث عن كل شيء."[1]، وقد تدخل إحدى المدونات لتجد خبرًا جديدًا عن أحداث العراق، لكنك إذا نظرت إلى الإدراج الذي نشره قبل هذا الخبر ستجده يتحدث عن سفره إلى المصيف مرورًا بحكايته عن اصطياد السمك في هذه الرحلة، وإدراج آخر نقله من مصدر آخر يتحدث عن البرمجة العصبية، والأمثلة من هذا النوع لا تنتهي، والرأي في هذا النوع من المدونات يأتي لعدم تخصص صاحب المدونة، وعدم تركيزه على جزء واحد سواء من جوانب الحياة أو الأمور التقنية، لهذا اختار المدون الذي من هذا النوع ملء وحشو مدونته بما يراه مناسبًا لنفسه على الأقلام من ناحية الشكل فيوجد عدة أنواع مختلفة من المدونات الإلكترونية، ويمكنك زيارة المواقع الإلكترونية التالية لتجد المئات من المدونات الإلكترونية:

١- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على الروابط التشعبية Link Blogs: تعتبر المدونات الإلكترونية التي تحتوي على الموصلات التشعبية (web Link blogs) أول أنواع المدونات الإلكترونية التي تم نشرها على شبكة الإنترنت، ومن هنا جاء اسم المدونة الإلكترونية (web logs)، ويحتوي هذا النوع من المدونات على العديد من الروابط

[1] - جمال الزرن، مرجع سابق.

لموقع الإنترنت، التي يرى صاحب المدونة أنها تستحق الزيارة إضافة إلى وصف مختصر للموقع المشار إليه بالرابط.

٢- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على المذكرات اليومية (On diary blogs) تتناول هذه المدونات الحياة اليومية لمالكها: ماذا فعل وماذا دار في ذلك اليوم، ولا تحتوي هذه المدونات بالضرورة على الروابط للمواقع الإلكترونية الأخرى.

٣- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على مقالات (Article blogs): يمكن أن تحتوي هذا النوع من المدونات على العرض والتعليقات للأخبار والأحداث والتقارير. وهي عادة ما تكشف على قدر أقل من الحياة اليومية لكاتبها من المدونات الإلكترونية التي تحتوي على مذكرات.

٤- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على الصور (Photo blogs): يحتوي هذا النوع من المدونات على الصور، مثل «صورة اليوم» وغيرها.

٥- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على مقاطع البث الإذاعي: (Pod casts blogs): يمكن اعتبار مقاطع البث الإذاعي (Pod casts) على أنها برنامج إذاعية قصيرة مسجلة بواسطة صاحب المدونة، وبإمكان المستمع تحميلها عندما يريد الاستماع إليها علمًا بأن المصطلح (Pod casts) مأخوذ من أجهزة IPOD، وهي عبارة عن مشغلات الملفات الصوتية بصيغة MP3، التي بإمكانها تشغيل الملفات Pod casts.

٦- المدونات الإلكترونية التي تحتوي على مقاطع البث المرئي (Vidiocasts Blogs): مقاطع البث المرئي (Vidiocasts)، هي أحدث اتجاه في أوساط المدونات الإلكترونية وهي مماثلة لـ مقاطع البث الإذاعي (Pod casts)، غير أنها تعد بواسطة الفيديو.

٧- المدونات الإلكترونية المنوعة: تعتبر المدونات الإلكترونية مزيجًا من أنواع المدونات المذكورة أعلاه.

٨- المدونات الإلكترونية الجماعية: يتم بكتابة هذا النوع من المدونات بواسطة مجموعة من الأشخاص.[٣٦(١)]

خصائص المدونات الإلكترونية:

بعد أن استعرضنا المميزات التقنية المختلفة، نحاول التعرض إلى المميزات التي تسهل الاتصال فيما بين المستخدمين للمدونات، والتي سميناها مميزات اتصالية تم التوصل إليها من خلال استنتاجاتنا لما تم الاطلاع عليه خلال دراستنا:

- المدونات هي وسيلة هائلة للتواصل بين فريق العمل وأفراد الشركة الواحدة، فهي تسمح لأفراد الفريق بإضافة الروابط والملفات والتعليقات، وتمكن المدونة من تبادل الأخبار العائلية مع أفراد العائل، كما تساعد المجموعات الصغيرة على التواصل للمتابعة بصفة أبسط وأسهل من البريد الإلكتروني أو حتى من المنتديات.

- تساعد المدونة في بقاء الجميع على اطلاع حول الموضوع، كما تساعد على نشر ثقافة المجموعة وإتاحة الفرصة للجميع لإبداء رأيهم في أمر ما.

- إنها سهلة الاستخدام سواء لصاحب المدونة أو للزوار، فصاحب المدونة يستطيع أن يقوم بإنشاء مدونته في دقائق، وبعد ذلك لا تحتاج عملية الكتابة لأي جهد أو عناء، كما لا يحتاج الموقع إلى أي تسيير إداري تقريباً. فكل شيء ينظم من خلال برنامج المدونة، أما الزوار فهم يرون أن معظم المدونات تتشابه من حيث ترتيب المحتويات وتقسيمها، وبالتالي يسهل عليهم تصفح هذه المدونات، كما أن التعليق على المواضيع ليس عملية صعبة، وفي الغالب لا يحتاج الزائر إلى أن يقوم بالتسجيل لكي يعلق على أي موضوع.

- توفر المدونات مساحة شخصية لصاحب المدونة، فيستطيع أن يكتب آراءه وأفكاره

[٣٦(١)] – أيمن جوجل، المدونات وحرية التعبير، هل أصبحت بديلا عن الصحافة المطبوعة، مركز الويكي... http://www.mganan.com/s-0-0-resources-wiki-thread-1913 Source:

بعيداً عن مقص الرقيب. وقد يعترض الزائر على آراء المدونة، وبالتالي يمكنه عدم العودة ثانية إلى المدونة. أيضاً يمكنه أن يتحاور مع صاحب الموقع لكنه لا يستطيع أن يفرض وجهة نظر معينة على صاحب المدونة.

- وجود كل أعمال صاحب المدونة في مكان واحد، فبدلاً من أن يوزع كتاباته وأعماله على مواقع عدة يجمعها في مكان واحد.

أ- إيجابيات التدوين:

من خلال مراجعة العديد من المدونات الإلكترونية استطعنا الوقوف عند بعض الإيجابيات وكذا السلبيات، ويمكن سردها على النحو التالي:

- التدوين وسيلة عامة للنشر أدت إلى زيادة دور الويب باعتبارها وسيلة للتعبير والتواصل أكثر من أي وقت مضى.
- وسيلة للنشر والدعاية والترويج للمشروعات والحملات المختلفة.
- وسيلة بسيطة ومجانية، فيها الكثير من الإبداع والتمييز والتفرد.
- وسيلة مهمة لتجاوز حاجز التقوقع والرقابة في نشر المعلومة، وبالتالي، فهناك نوع من دمقرطة المعلومات على الصعيد العالمي.
- أداة فعّالة في التعبير عن الهموم الشخصية والعامة ووسيلة تعمل على كشف المسكوت عنه.
- تجسيد حرية الرأي والتعبير بشكل يجعل الكلمات أقرب للجمهور، والأخبار والأفكار التي تنشر أدق وأصدق في الكثير من الأحيان من الوكالات الإخبارية وأشهر الجرائد.
- المدونات تعبر عن صوت رجل الشارع أو الشاب العادي بصراحة شديدة، ويمكن من خلالها استنباط نبض فئة الشباب، الذي يتعامل مع شبكة الإنترنت والموصوف بالمتحول إلى جاز التعبير، خاصة في الدول العربية.

- المدونة سريعة الانتشار بين الشباب، ويمكن من خلالها تقديم خدمات جديدة للمجتمع لأنها تتحدث بلغة الشباب التي يعرفها . فإلى جانب أنها مجانية فهي مترابطة حيث تحتوي كل مدونة على وصلات إلى مدونات أخرى.

ب- سلبيات التدوين:

- الحرية الكاملة التي يتذرع بها البعض في التدوين هي في بعض الأحيان على حساب القيم والأخلاق، إلا أن هذا يبقى مرهونًا بعقلية المدون والقارئ مثله مثل كافة تطبيقات شبكة الويب.

- أصبحت المدونات تمثل صداعًا بالنسبة للعديد من الحكومات العربية، التي تخشى بشدة أن يمتلك المواطنون وسائل تتيح لهم فضح الممارسات غير القانونية واللا ديمقراطية التي تميز سياسات تلك الحكومات.

- يعبر الشباب عن آرائهم دون محاذير أو قيود، لدرجة استخدام بعضهم لتعبيرات هي أقرب للسباب والتجريح ضد بعضهم البعض، أو ضد بعض المسئولين في الحكومات.

- هناك بعض المدونات العنصرية التي تزرع الكراهية والعنف، كما أن الكثير من المدونات العربية مليئة بالآراء والمواضيع التي لا تقدم شيئًا سوى الشتائم، على اعتبار أنها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الرأي الوطني، بدون موضوعية وبدون احترام قيم وقواعد الكتابة.

- قلة الكتابة الذاتية مما جعل بعض المدونات مفرغة من هدفها الأساسي.

- المدونات ليست كلها مصدرًا للمعلومة، كما أنها يمكن أن تضعف من قوة وسائل الإعلام الحرفية، باعتبار أن المدونة دائمًا تعطي شعورًا بالثقة في معلوماتها لأنها مغلفة بالذاتية، وقارءوها يستطيع التعقيب على محتوياتها. المدونة أيضًا يمكن أن

تتسبب في ضعف أسلوب الكتابة واندثار أخلاقيات الكلمة، إذا لم يحترم كاتب المدونة مسئولية ما ينشره. فالمدونة إذا لم تحترم القواعد العالمية للتعبير بالصور أو الكتابة فإنها معرضة في أي وقت للإلغاء.

دوافع وأسباب المدونات الإلكترونية العربية:

من خلال مراجعة الكثير من المدونات الإلكترونية العربية توصلنا إلى تكوين فكرة عامة عن أهم دوافع وأسباب انتشار هذه الظاهرة. فدوافع التدوين بالمنطقة العربية نفترض أن تتنوع بتنوع ظروف البلدان العربية والمتغيرات الديمغرافية كالسن والنوع والمرتبة الاجتماعية والمهنة، إلخ... كما لاحظنا أنها تتنوع حسب ما هو سياسي أو اجتماعي أو ثقافي أو فني، على سبيل المثال: هناك مدونات دافعها النقد والتعليق على الأحداث، ودوافع ذاتية كمشاعر الحب، والمذكرات الشخصية. وعليه، إذا ما حاولنا تصنيف الأسباب الكامنة وراء المدونات الإلكترونية العربية، وهذا حسب دراسة للباحث «جمال الزرن» تم نشرها في مجلة الشئون العربية، ويمكن تلخيصها فيما يلي:

أ- حرية التعبير: يعتبر التضييق المتواصل على حرية التعبير من طرف الحكومات العربية وبعض الجماعات غير الرسمية سببًا أساسيًّا لانتشار ظاهرة التدوين. إذ يعتبر الفاعلون في فضاء التدوين فئة اجتماعية ذات مستوى تعليمي معتبر، ويظهر ذلك جليًّا في أن أغلبهم غير راضٍ عن المادة الإخبارية المعروضة. وخاصة تلك التي توفرها مؤسسات الإعلام الحكومية، فهم يطالبون بسقف أعلى من الحرية في التعبير عن آرائهم، ويساهمون في تجذير مبدأ حرية التعبير عن الرأي، وثقافة النقد السياسي والاجتماعي عبر الاتصال الإلكتروني.

ففي ظل عجز الإعلام التقليدي في تحقيق ما تصبو إليه هذه الفئة في الدول العربية. ومن خلال ما توفره شبكة الإنترنت من مرونة، فإن هؤلاء المواطنين (المدونين الإلكترونيين)

قادرون على تجاوز عقبة الإجراءات الحكومية الصارمة التي تمارس لتقييد حرية التعبير عمومًا وحرية الصحافة بصفة خاصة. وعليه فإن المدونات الإلكترونية العربية تميل إلى التعبير عن المسكوت عنه، وتنشغل بما يدور في هوامش المجتمعات العربية، وخاصة تلك القضايا التي لا يسمح بالتعبير عنها في الفضاء العمومي ولا تتناقلها وسائل الإعلام التقليدية، وبالتالي لا تصل إلى الرأي العام. فهي تحاول إظهار الواقع على حقيقته بلغة يطغى في الغالب عليها الطابع النقدي والجرأة. فالحكومات العربية التي تعتمد خطابًا سياسيًا مغلقًا بشعار الدفاع عن حرية الرأي والتعبير سرعان ما تلجأ إلى فرض القيود على حرية الصحافة والتعبير، بحجة مراعاة التقاليد والآداب العامة والقيم الدينية والحفاظ على أمن الدولة.

في هذا السياق يرى أحد المدونين الإلكترونيين العرب من المغرب، صاحب مدونة «بلا فرنسية»: أن المدونة بالنسبة له هي: «أداة لحرية الرأي ودمقرطة الإعلام... فلست بحاجة إلى تصريح ولا تمويل وشهادة جامعية لأقول رأيي في أي موضوع أشاء».[37(1)] وفي نفس الاتجاه يعتقد البعض «أن المدونات الإلكترونية العربية هي الطفرة التحررية الإعلامية العربية الثانية بعد طفرة الفضائيات والمنتديات المفتوحة، التي ساهمت بشكل فعّال في تحريك سقف الحرية في أداء الإعلام العربي، وإخراجه شيئًا فشيئًا من جبروت وتقاليد الإعلام الحكومي المعلب».

ب- سهولة النشر الإلكتروني: تعد صعوبة النشر بالطرق الكلاسيكية أحد أهم أسباب التدوين، فالمدونات تعتبر عند المدونين إعلانًا عن نهاية صحافة الطباعة والنشر بمفهومها الكلاسيكي الورقي، الذي ما زالت تقننها قوانين المطبوعات ذات الروح الرقابية كما هو الحال في جل الدول العربية. ومن هنا تظهر أهمية المدونة كالوسيلة الأسرع والأسهل والأكثر أمنًا لنشر المواضيع، خصوصًا تلك التي تمنع من النشر في

[37(1)] – صحافة ويكيبديا على النت، شبكة المدونات قسم فضاء التدوين..
Source:http://arwikipedia.org/w/index.php?title=%D8%AD (accessed 04-06-2007)

الوسائل التقليدية بسبب العادات والتقاليد، أو بسبب القوانين والأنظمة التي تمنع نشر كل ما لا يعجبها، والتي تمثل كشفًا للمستور في الممارسات الخاطئة المتوارثة أو المكتسبة، فمع المدونات لا وجود للرقيب الحكومي ولا حاجة للتصريح والإذن المسبق.

ج- قضايا الشأن العام: تكاد تكون المدونات عبارة عن صورة سوسيولوجية حية، تعكس الواقع الدولي والعربي في كل قطر، فهي فضاء رافض ومناهض يتجه إليه المهمشون سياسيًا، وهي ليست بالضرورة فضاءً اتصاليًا يقبل ثقافة الإجماع. فهي تأخذ من قضايا الشأن العام مجالاً، ومن تفاصيل الحياة اليومية ملاذًا لها.

ولقد ساعدت المدونات في إظهار مسألة الشأن العام على السطح الافتراضي لارتباطها بالحركات السياسية الداعمة للديمقراطية في العالم العربي من أجل توفير سقف أعلى من التفاعل الاجتماعي والسياسي على شبكة الإنترنت. وخاصة الدعوة إلى الشفافية والديمقراطية الشعبية والتداول على السلطة ومحاربة الفساد والإقصاء. وبذلك خلقت المدونات أسلوبًا جديدًا في التفاعل مع الشأن العام وممارسة العمل السياسي، وهي طريقة تعتمد على ما توفره شبكة الإنترنت عامة، والمدونات خاصة من رقابة ونقد لأداء السلطة التنفيذية والحكومة. فشعارها لا إدارة للصالح العام بعيدًا عن مبدأ الديمقراطية وحرية التعبير.

د- إظهار القيم الفردية: إن طبيعة الكبت والعنف والقهر الاجتماعي والسياسي والثقافي الذي يعيشه الشباب العربي على وجه الخصوص، والفراغ القيمي الذي يعانون منه مع وجود استثناءات، مكن التدوين من إظهار عدة قيم، كونها تسجيل للسلوك اليومي الفردي وما يحمله من حقائق مؤلمة وأحزان وخيبات وأفراح وانتصارات ذاتية، وتعتبر المدونات العربية منهلاً خصبًا لاتجاهات غير مألوفة في المجتمعات العربية، منها ما هو سياسي واجتماعي وثقافي وعرقي وغيرها من المواضيع. بالإضافة إلى كون الإنترنت فضاء للتواصل والأخبار والتجارة والعلوم وغيرها من المعارف والخدمات، وهي في نفس الوقت فضاء اتصالي لدعم حرية الفرد وذاتيته، وبذلك فقد أصبح

بإمكان الفرد أن يتحول إلى مؤسسة اتصالية مستقلة عن المؤسسات التقليدية الرسمية المتعارف عليها (صحافة، تلفزيون، إذاعة،...).

من جهة ثانية، تجدر الإشارة إلى أن أغلب المدونات الإلكترونية العربية ظهرت مؤخراً، ومع ذلك فإن تأثيرها وشهرتها فاق كل التوقعات، والملاحظ هو أن المدونات العربية مرت عبر محطات هامة ساهمت في شهرة وتوسيع رقعة المدونين ومن بين أهمها:

- سلسلة من المقالات للصحفي جهاد الخزن في جريدة الحياة اللندنية الواسعة الانتشار عن التدوين والإنترنت في العالم عموماً مع التركيز على العالم العربي في بداية عام ٢٠٠٦.

- إشارة الكاتب الصحفي «محمد حسنين هيكل» خلال لقائه بقناة «الجزيرة» إلى متابعته واهتمامه بمدونة «بهية» من مصر.

- القبض على المدون المصري كريم عامر واعتقاله بشكل غير قانوني لمدة ١٢ يوماً، من قبل الأمن المصري والحملة التي صاحبت القبض في نهاية أكتوبر ٢٠٠٥.

- حصول مدونة علاء ومنال على جائزة أفضل مدونة من منظمة (مراسلون بلا حدود)، وقيام قناة الجزيرة بتقديم برنامج عن المدونات ونشرها لخبر فوز المدونة بالجائزة.

- مساهمة العديد من المدونين المصريين في حركة المطالبة بالإصلاح في مصر، سواء عبر نشاطهم الميداني، مثل اعتصامهم بميدان التحرير بالقاهرة لمناصرة القضاة المصريين ضد هيمنة الدولة، وغيرها من التظاهرات.

- القبض على عدد من المدونين المصريين أثناء حركة التضامن مع القضاة المصريين، وتعذيب أحدهم بشكل وحشي وهو المدون محمد الشرقاوي خلال شهر مايو ٢٠٠٦.

- انتشار اللغة العربية العامية واستخدام تعبيرات غير معتادة بين الكتاب والصحفيين، ولكنها منتشرة بين الشباب في حواراتهم الخاصة، مما شجع الكثير من الشباب على

إنشاء مدوناتهم، نتيجة لشعورهم بأن المدونات ليست أكثر من تعبيرهم عن أنفسهم وأفكارهم بلغتهم الخاصة المعتادة، بعيداً عن آداب الكتابة التي ترسخت في الواقع عرفيًا، دون أن يوضح أحدهم من جعل استخدام العامية والتعبيرات الشائعة في الشارع ضد هذه الآداب.

- تقارير قناة الجزيرة في برنامج كواليس حول عالم المدونات ومستقبل التدوين في الوطن العربي، وفي رأي أحد الكتاب أنه ما دامت الجزيرة قد خصصت لهذا الموضوع تقريرًا خاصًا وأبدت اهتمامها به ووصفها لها بالإعلام الجماهيري، فهذا يعني أن المدونات قد صارت بالفعل تؤثر في المحيط العربي بعد أن أثرت في المحيط الغربي.

كما كانت هناك نقاشات دارت حول المدونين العرب ساهمت بشكل كبير في طرح الأسئلة عن هذه الأداة الجديدة، والتي سلطت الضوء على هذه الظاهرة، مما جعل الكثير من الجمهور العربي سيما الشباب منهم ليبادروا بإنشاء مدوناتهم الخاصة.

ويشير كتاب آخرون إلى أنها كانت بسبب حروب الولايات المتحدة على أفغانستان والعراق، أو على ما يسمونه الإرهاب؛ لأن في هذه الأوقات بدأت تظهر مدونات من داخل العراق تحكي المأساة من الداخل بشهود عيان وليست أخبارًا صحفية لمراسلين ليسوا في مكان الحدث. لهذا اكتسبت تلك المدونات مصداقية قوية أدت إلى جذب عدد كبير من الزوار. علمًا أنه كان من بينهم صحفيون أيضًا لغرض البحث عن الخبر اليقين بعيدًا عن تصريحات الجيش الأميركي، وقد اعتبر المراقبون أن المدونات التي يحررها المواطنون العراقيون ويكتبون فيها إدراجاتهم تقوم بمثابة المراسل أو دور المراسل الحربي كما وصفهم البعض.

وفي عام ٢٠٠٤ أصبحت المدونة ظاهرة عامة، بانضمام العديد من مستخدمي الإنترنت إلي صفوف المدونين وقرّائها، كما تناولتها الدوريات الصحفية. وأصبحت المدونة نوعًا من أنواع الإبداع الأدبي المتعارف عليه، تنظم له دور النشر والصحف في إصداراتها

الرقمية المسابقات لاختيار أفضلها، من حيث الأسلوب والتصميم واختيار الموضوعات، مثل المسابقة التي نظمتها صحيفة «ذي جارديان» البريطانية. وتوجد أيضًا العديد من المدونات العربية الخالصة التي نالت شهرة واسعة بسبب خوضها في أمور السياسة.

ويبقى من بين الأدلة المهمة على تأثير المدونات في المجال السياسي هو لجوء الرئيس الإيراني «محمود أحمد نجاد» إلى إنشاء مدونة لمهاجمة أمريكا، وقد أستغل أول تدوينة له والمؤرخة ب ٠٨أوت ٢٠٠٦ لوصف البيئة التي نشأ فيها، ووضع استطلاعًا يسأل فيه زوار المدونة إن كانوا يعتقدون أن الولايات المتحدة وإسرائيل تريدان بدء حرب عالمية جديدة، وقد التزم «نجاد» بتخصيص ١٥ دقيقة مرتين كل أسبوع للتواصل مع زوار مدونته.

محتوى المدونات الإلكترونية العربية المكتوبة:

تركز معظم المدونات العربية على السياسة والأدب والشعر. وتوجد مدونات عامة وأخرى متخصصة، مثل تلك التي تهتم بعلوم الإدارة والهندسة الصناعية أو في التكنولوجيا، أو تلك التي تتحدث عن التجارب الحياتية الشخصية أو تربية الأبناء. وتوجد مواقع تجمع المدونات العربية، مثل موقع تدوين أو مجموعات بريدية للمدونين العرب وغيرها.

ومن الملفت للانتباه، مثلاً، أن المدونات المصرية والعربية التي بدأت تنتشر بشكل موسع حيث بلغت في مصر وحدها قرابة خمسة آلاف مدونة في غضون ثلاثة أعوام، ويرجح أنها ستتضاعف باضطراد. وتجدر الإشارة إلى أن هذه المدونات انتشرت بسبب ما نشر في بعض المدونات ذات الطابع السياسي لنشطاء سياسيين، أو شباب فتحوا مدونات لنشر ما تخفيه وسائل الإعلام الرسمية، وتبادل الأفكار والآراء حول الإصلاح والحريات. إلا أننا نلاحظ أن المدونات الاجتماعية تحتل النسبة الأكبر من هذه المدونات.

ولكن مع انتشار المدونات السياسية وظهور فوائدها في الكتابة بحرية وبدون قيود أو خشية معرفة من وراءها في أغلب الأحيان، بدأت تظهر (المدونات الاجتماعية) التي

تحررها غالبًا نساء متزوجات أو عوانس أو مطلقات، يناقشن فيها قضايا اجتماعية خطيرة مثل: الزواج والطلاق وشئون الأسرة والزواج العرفي والسري وأسباب الخيانة الزوجية وغيرها، والعلاقة بين الزوج والزوجة والحب ومشاكل الأسرة، بأساليب طريفة وهزلية وجدية في آن واحد.

مميزات المدونات الإلكترونية العربية المكتوبة:

رغم حداثة الظاهرة نسبيًا، المدونات العربية، وقلة الأدبيات حولها، إلا أن هناك بعض المحاولات التي اجتهدت في وضع بعض الخصائص التي تميز المدونات العربية. ومن بين هذه المحاولات نذكر ما ذهبت إليه «نسرين التازي» والتي عددتها في النقاط التالية:

- تعمل المدونات العربية على رد الاعتبار للغة العربية.
- يتميز الحوار فيها بمناخ صريح وحضاري.
- تحمل المدونات العربية مواضيع حميمية يتقاسم فيها المدونون تجاربهم اليومية.
- تعطي لنا المدونات العربية مؤشرًا عن مدى التجاوب مع الاختلاف الثقافي الأجنبي.
- ليست اللغة المستخدمة لغة فصيحة بالضرورة، وإنما قد تكتب في شكل مزيج بين العربية وغير العربية.
- تبدو كإعلام بديل، من خلال السبق في تقديم بعض المعلومات التي قد لا يقدمها الإعلام الرسمي وغير الرسمي.
- تبدو أكثر أنماط النشر الإلكتروني التصاقًا بالواقع الحقيقي، حتى وإن بدأت من الواقع الرقمي.
- تعد الآراء والأفكار التي يتم التعبير عنها بقدر كبير من الحرية والصراحة والجرأة ملمحًا بارزًا، وهي أحيانًا تشبه المذكرات الخاصة التي تكتب بيد صاحبها سرًا.

الاستعارة والهوية الافتراضية في المدونات العربية:

هوية المدونة العربية:

إن الحديث عن هوية التدوين هو البحث فيما يميز المدونات العربية، وهو بيان لجغرافيا المدونات وبالتحديد الخصائص المشتركة التي تميزها وتمكنها من اتخاذ هوية ذاتية، وبشكل مستقل عن بقية وسائل الإعلام وعن كل ما تفرزه شبكة الإنترنت. فما زال المشهد العام للمدونات يشوبه الضبابية والتداخل على مستوى الدوافع أو الأهداف، وهي إشكالية تعود إلى حداثة الظاهرة وغياب الاهتمام بها من جهة والاستيعاب الصحيح لميزات التدوين من جهة أخرى. فقد نشأت المدونات العربية وسط مخاض جيوسياسي واجتماعي عسير متقلب، به علامات ظاهرة لأزمة ثقافية وسياسية هزت الكيان العربي، تعود على الأقل إلى خمس سنوات خلت، وخاصة مع اندلاع الحرب على العراق سنة ٢٠٠٣ وقبلها أحداث الحادي عشر من سبتمبر، والتي أظهرت صورة جديدة ومتوجشة في أساليب عرض الهوية والثقافة العربية الإسلامية وإلصاقها بمقولة الإرهاب. فقد أصبح العربي الإرهابي حديث الإعلام الغربي، وأصبحت الدول العربية عاجزة لا تقوى إلا على التبرير وتلميع صورة مواطنيها بأشكال بها الكثير من التنازلات. كما أن لكل دولة عربية ظروفها الخاصة التي دفعت بجيل المدونين إلى خوض غمار هذه التجربة، والتميز عن بقية ما يُصاغ وينشر في مختلف الأقطار العربية.

فالمقصود بهوية المدونات العربية هو البحث في حالات التقاطع بين أكثر من مدونة رغم صعوبة الوقوف عند الخصائص غير المرئية لتلك المدونات. لكن رغم ما للمدونات العربية من تجديد وهوية تفاعلية فإنها تعاني خاصة من غياب التجديد الدوري، فأقصى أرشيف لا يتجاوز السنتين، وهذا يعود ربما إلى حداثة الظاهرة وغياب التفرغ لعملية التحيين، هذا بالإضافة إلى موروث ثقافة النقد ونسبية الحريات وتشوهات الواقع السياسي والثقافي

للمجتمعات العربية. في الأصل لا تختلف خصائص المدونات العربية عن بعض خصائص المدونات على المستوى الدولي، لكنها وبحكم بعض الخصوصيات السياسية والثقافية فإنها تتميز بحضور الهموم القطرية والرغبة في تحويل التدوين إلى مؤسسة، واعتبار التدوين محضنة للممارسة الديمقراطية، وتأكيد ثقافة الحوار وظهور إشكالية لغة الكتابة للمدونة، خاصة وأن نجاح المدونة متوقف على مدى قربها من موضوعها وجمهورها.

الاستعارة والهوية الافتراضية:

يمكن القول: إن أسماء وعناوين المدونات العربية ليست غريبة عن الفضاء الذي تنشط فيه، فهي تعبر وتعكس فكر وشخصية أصحابها، فقليلاً ما يعثر المتصفح عن مدونة تحمل اسم صاحبها وخاصة لدى الفتيات، وذلك لعوامل ثقافية تعود إلى ثقل العادات والتقاليد الموروثة. فالسواد الأعظم لأسماء المدونات هي صفة لحالة يعيشها المدون تختزل في كلمة أو كلمتين، وتلخص موقف أو مسيرة ذلك الشخص مثل «الفرعون الكبير»، «حوليات صاحب الأشجار»، «أحلامي المبعثرة»، «ظلال الموت»، ومدونات أخرى لا عد لها.

وبذلك تساعد الهوية الافتراضية لهؤلاء الشباب في النشاط والكتابة بكل حرية على شبكة الإنترنت، فاستعمالهم لأسماء مستعارة لا يعرضهم للكشف؛ إذ نعثر على أسماء مثل: سندباد، ابن هاشم، مسافر، علم الحرية، الراية، سفير الساحة، أهل المريخ، بين الجنون والتهور، يوميات مدرس في الأرياف، اليوم الصعب، المضروب،..

مقارنة بين المدونات الإلكترونية العربية والأجنبية:

تشير العديد من الإحصائيات إلى وجود آلاف من المدونات العرب، ومع ذلك يعكس الواقع العربي فجوة في التعاطي المؤسساتي مع هذه التقنية مقارنة بالمجتمعات الأخرى، ولا يقل اتساعها ولا أهميتها عن باقي فجواتنا الحضارية. ففي الغرب تنبه الكثير من السياسيين المحترفين لأهمية هذه التقنية مثل «ألان جوبيه» الذي يعد أشهر مدون فرنسي،

وفي الشرق يعتبر نائب الرئيس الإيراني السابق «محمد علي أبطحي» من أبرز مدوني إيران التي تعتبر هذه الظاهرة أحد أسباب انتشار الإنترنت بها وليس العكس.

في الواقع لا تختلف خصائص المدونات العربية عن بعض خصائص المدونات على المستوى الدولي، لكنها وبحكم بعض الخصوصيات السياسية والثقافية، فإنها تتميز بحضور الهموم الوطنية والرغبة في تحويل التدوين إلى مؤسسة، واعتبار التدوين محضنة للممارسة الديمقراطية وتأكيد ثقافة الحوار. فمعظم المدونات الأجنبية تحتوي على تجارب ذاتية لكتابها يتخللها بعض من الآراء في جميع مناحي الحياة. وتوجد أيضًا مدونات عنصرية التي لا تزرع غير الكراهية والعنف، أما المدونات الناطقة بالعربية فهي مليئة بتلك التي تعرض الآراء والمواضيع ولكنها لا تقدم شيئًا سوى الشتائم، ويمكن اعتبارها الوسيلة الوحيدة للتعبير عن الراي دون خوف أو قيود أو حواجز. وحسب اطلاعنا فإن هذا النوع من المدونات يطغى على الساحة التدوينية، لكن هذا لا يعني أنها تخلو من المدونات المفيدة. فالمدونات العربية وعلى قلة عددها بالمقارنة مع المدونات الغربية، تنتهج في أغلبيتها نهجًا سياسيًا، وانتشرت انتشارًا ملحوظًا في المناطق التي تتقلص فيها مساحة حرية الرأي، ونالت درجة عالية من الأهمية لكونها تشكل بديلاً لوسائل الإعلام الخاضعة للرقابة، ومتنفسًا لممارسة النقد أمام أولئك الذين يرغبون في التعبير عن مشاكلهم الشخصية ومشاعرهم المكبوتة.

بالفعل، يوجد وعي وقابلية عربية للممارسة الإلكترونية، لكن على نحو يغلب عليه الطابع المعيشي، بدون وجود إطار ثقافي يحكم هذه الممارسة ويوجهها. في حين استفادت المجتمعات الغربية من تقنيات المدونات الإلكترونية تحديدًا في منظومتها الإعلامية والاقتصادية وحتى السياسية، بل وخصصت الأول من شهر مارس يومًا عالميًا للتدوين. في حين المجتمع الثقافي العربي يبدو ذا تأثير هامشي في هذا الصدد مع إغراقه في الجانب الترفيهي.وعدم العناية بتقدير الهم الجماعي، وهو ما يطرح استفسارات حول مستقبل الإعلام والحريات والمعلوماتية

في العالم العربي بأسره، طالما تبسط الإنترنت سيطرتها الصريحة عبر تقنياتها المختلفة على هذه المفاهيم الحضارية وسواها في أرجاء العالم بأسره.

تحديات التدوين في البلدان العربية:

إن تعدد وسائل الإعلام واختلافها، وتعدد الأفكار الواصلة إلينا والأحاديث الرسمية عن طريق الاتصال، والتطور المتزامن للوقائع والأفكار، وقد فاجأه وصول الوسائط المتعددة، أوجد مرة أخرى مشكلة العلاقات مع الدولة والمواطنين وجميع وسائل التعبير المختلفة؛ لذا أصبح إلزامًا على كل واحد إعادة النظر في تطبيق حرية التعبير. وفي الوقت نفسه فإن تطور الأحداث والآراء يطرح السؤال عن المبادئ التي تعتبرها الدولة من حقها لتقوم بعمل ما، أو بالأحرى المراقبة على وسائل الإعلام. وهذه المبادئ لم تكن قط متناقضة في أي عصر آخر غير هذا العصر. فمن جهة، فالديمقراطيات الليبرالية تخضع لميكانيكية التسويات المتبادلة للعرض والطلب، إنها توصيات في تحليل آخر تعطي الشرعية لنظام المبادرة والمنافسة التي تخضع لها وسائل الإعلام، كبيرة كانت أو صغيرة. ومن جهة ثانية فإن الديمقراطيات نفسها على مدى السنوات تستدعي ودائمًا بصورة أكثر وضوحًا المسئولية الاجتماعية لوسائل الإعلام، وفي الوقت نفسه تخول الجميع حق الاستفادة من الإعلام ومن الثقافة. ففكرة سيطرة الإعلام على المجتمع، صحيحة كانت أم خاطئة، فإن الحجة المزدوجة تلزم الدول بإصدار بعض القوانين باسم الصالح العام[٣٨(١)].

وبذلك فنحن إن عشنا تحت ظل الديمقراطية كما يصرح به زعماؤنا، فلنعلم أنها حرية نسبية لا أكثر وفق ما يناسب سياستهم، هذا الإشكال هو ما جعل الكثير من الشباب العربي وحتى السياسيين والإعلاميين أن يبحثوا عن مجال أوسع للمعنى الحقيقي لحرية الفكر والرأي، وهذا ما وجدوه في خدمة المدونات، ناسين بذلك عواقب تصرفاتهم والمشاكل التي سوف تنجم عن مدوناتهم. من جهة أخرى يخطو المدونون الشبّان في الوطن العربي أولى

[٣٨(١)] – سهاد عكيلة، مقابلة مع رئيس اتحاد المدونين العرب، مجلة منبر الداعيات...
Source:http://aklaam.net/forum/showthread.php?t=13884(accessed 16-06-2007)

خطواتهم في هذا الميدان الحديث والمتنفس الجديد، الذي يمثل بالنسبة إليهم بوابة للعبور إلى العالم الخارجي وإيصال أصواتهم وآرائهم إلى نظرائهم في بلدان عربية وغربية. فعالم التدوين يتخذ بعداً آخر لم تعهده الرقابة السياسية والدينية من قبل، فالحجب لم يمنع هؤلاء المدونين الشبّان من رجم الدين وركل الساسة والسياسة بلا رقيب ولا وصيّ.

عموماً المدونات العربية كالشباب العربي تعاني من مشاكل عديدة، هذه المشاكل منها ما هو خارجي كتدخل السلطات بحذف بعض مواضيع المدونات، والحجب الكلي للبعض كما يحدث في السعودية، وحتى أحياناً بالزج بصاحب المدونة في السجن كما يحدث في مصر. مؤخراً في المغرب حيث شهد يوم ٣ سبتمبر٢٠٠٨ أول محاكمة في حق أحد المدونين بتهمة شتم الملك، وقد قضي بحبس المتهم لمدة سنتين. لكن هذا الأسلوب يكاد يكون لا يخدم قضية المدونات العربية، خصوصاً تلك التي تنقل المعانات العربية التي تختلف في الزمان والمكان وتتوحد في القوة والجبروت، فتنص بها شاشة الحاسوب في جميع أنحاء العالم. وإذا تطرقنا لمخاطر التدوين ومعانات المدونين فهي لا حصر لها لكن تتفاوت من بلد لآخر.

وهناك مدونات عديدة أساءت استخدام التعبير، وأخرى كانت تتحدث في حدود المعقول وسرد الواقع، وهذا ما أدى في كثير من الأحيان إلى حدوث مشاكل أمنية مع صاحب المدونة شخصياً. فمثلاً هناك مدونة لطالب في الأزهر قُبض عليه بسبب ازدرائه للأديان وقوله في أحد إدراجاته: «لا إله إلا الإنسان». فحرية التعبير ليست في هذا الاتجاه، لكن هناك مدونات أخرى جسدت بعض الحقائق في إدراجاتها مثل قضية التعذيب واعتصام الصحفيين في مصر في العديد من القضايا الواقعية، التي لا تخدش الحياء، ويقبلها المنطق والعقل. أيضاً قضية «شي تاو»، المدون الذي نشر الرسالة التي بعثتها الحكومة الصينية إلى الصحفيين، تحذرهم فيها من نشر تفاصيل عن حادثة «تنيامان»، التي ارتكبت تجاوزات ضد طلبة قاموا بمظاهرة طلباً للحرية. وكان موقع «Yahoo » السبب في إلقاء القبض على «شي تاو» بعدما أرسل الموقع بيانات عنه للحكومة الصينية،

وذلك بغرض توطيد علاقتها مع الحكومة الصينية وتوسيع أسواقها هناك. وقد لاقت هذه الخطوة من زوار الموقع تشاؤم العديد منهم، مما أدى إلى مقاطعتهم للموقع وحتى الامتناع عن الانتفاع بخدمة البريد الإلكتروني لديه.

هذا وقد أصدرت «الشبكة العربية للمعلومات حقوق الإنسان» تقريرها الثاني عن حرية الإنترنت في العالم العربي، حيث تم الإعلان عنه في ندوة بمقر نقابة الصحفيين في القاهرة يوم ١٠ ديسمبر٢٠٠٦. التحقيق الذي يحمل عنوان «خصم عنيد الإنترنت والحكومات العربية» يتضمن معلومات عن السياسات العدوانية التي تتبعها ثماني عشرة دولة عربية في تعاملها مع الإنترنت.[٣٩(١)] وقد أكد نفس التقرير استمرار صدارة تونس للدول العربية المعادية لحرية استخدام الإنترنت، كاشفًا النقاب عن أساليب القمع والتعتيم والحجب، التي تستعملها السلطات التونسية في حربها ضد حرية التعبير على الشبكة، على الرغم من خدعة السطح البراق الذي تختفي وراءها تونس، كتطبيقها لمبادئ الليبرالية والاقتصاد الحر، والمكانة التي تعطيها تشريعاتها للمرأة. وقد شهدت تونس كغيرها من الدول العربية بروز ظاهرة التدوين، ولكن يد الدولة طالت هذه الظاهرة لدرجة جعلت «مجمع المدونات التونسية» -وهو موقع يضم عناوين ومحتويات هذه المدونات- يرفض ضم المدونات المعارضة لـ «الرئيس بن علي» وهذا الأمر دفع المدون «ابن غريبة» إلى طلب أول لجوء سياسي إلكتروني في التاريخ حيث قبلت انضمامه مدونة «منال وعلاء» المصرية، وقد شارك هذا المدون في إطلاق أول موقع إلكتروني للتظاهر على الإنترنت، وذلك أثناء انعقاد القمة المعلوماتية في تونس وهو موقع «يزي» وهي كلمة تونسية دارجة تعني: يكفي، ويقضي هذا الموقع بمشاركة كل من يرغب في التظاهر بوضع صورة له، ويحمل لافتة تدعو «ابن علي» للتنحي، ويمكن للمتظاهر أن يخفي عينيه أو وجهه، أو أن يضع صورة واضحة له كما فعلت بعض رموز المعارضة التونسية، وقد حقق الموقع رقمًا قياسيًا حيث تم حجبه داخل تونس بعد إطلاقه بـ ١٨ ساعة فقط.

[٣٩(١)] - فرنسيس بال، جيرار ايميري، وسائط الإعلام الجديدة، عويدات للنشر والطباعة، ط.١، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٣٢-١٣٣.

أما الجزائر فقد لقبها المدونون بجنة المدونات العربية، ولم تشهد حالات للاختراق أو المضايقات سوى مرة واحدة، وكانت في الأخير سوء فهم. وهي القضية التي تتعلق بالمدون والصحفي «عبد السلام بارودي»، صاحب مدونة «بلاد تلمسان». أول قضية أمام العدالة في هذا الشأن في الجزائر، بدأت بعدما نشر مقال في ٢٠ فيفري ٢٠٠٧ بعنوان: «السيستاني يظهر في تلمسان» حاول من خلالها أن يلفت فيه الانتباه إلى الدور السلبي لمدير الشئون الدينية بولاية تلمسان، إذ حاول من خلال المقال الذي كان ساخرًا أن يكون له وقعًا إيجابيًا، بعدما قاطع الموظفون من وزارة الشئون الدينية البرامج التي تنظمها إذاعة تلمسان، وامتنع مدير الشئون الدينية بالولاية من المشاركة في منتدى الإذاعة حول صندوق الزكاة في شهر رمضان ٢٠٠٦، فيما تأسف بارودي لرفض الرد أو توضيح الشئون الدينية من طرف ذات المدير الذي توجه مباشرة إلى العدالة ليرفع دعوى قضائية ضد المدون. واعتبر هذا الأخير أن متابعته في القضاء تتم بسبب مقال رأي لم يقصد به الإساءة لمدير الشئون الدينية لولاية تلمسان، بل أراد تنبيهه إلى فداحة خطئه، وأن هذا السبب جعله يتراجع عن إحضار الشهود في هذه المحاكمة، خاصة أنه تلقى تضامنًا من مناضلي حقوق الإنسان في مصر وتونس وسوريا والجزائر والمغرب وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وعدد كبير من المدونين. ويشدد المدون عبد السلام بارودي على أن القضية تعتبر موقفًا فرديًا لا يعكس توجهًا سياسيًا في الجزائر، حيث يعتقد أنه لا يوجد قمع إلكتروني في الجزائر، وأن المدونين الجزائريين من أكثر المدونين حرية في الوطن العربي.

من جهته يرى «عبد الحق هقي» أن حالة «عبد السلام بارودي» حالة فريدة؛ لأنها لا تصنف في إطار الاضطهاد أو المضايقة بالمفهوم الأمني السائد في الدول العربية، خصوصًا مصر وتونس، وإنما هي قضية رأي مرفوعة أمام العدالة، والدولة ليست طرفًا مباشرًا فيها، حتى وإن كان المدعي مسئولاً محليًا لأنه رفع الدعوى باسمه لا بمنصبه، رغم أن المقال الذي نشره المدون تناول المدير في شأن وظيفي لا شخصي، حيث سلط الضوء

على منع مدير الشئون الدينية الأئمة في تلمسان من حضور لقاءات الإذاعة المحلية، لأنها رفضت استضافته في برنامج ديني بحجة عدم كفاءته للإفتاء في المسائل الدينية.

من جهة أخرى، فإن مصر تعتبر نموذجًا للمدونين العرب النشطاء، فمنذ انفجار أزمة القضاة في مصر هب العديد من أصحاب المدونات الشخصية المصرية إلى إعلان تضامنهم «إلكترونيًا» مع القضاة المعتصمين، وهو التضامن الذي صعّد في درجة المشاركة الفعلية مع جموع المتظاهرين السلميين المؤيدين لـ «استقلال القضاء». وشهدت المدونات سجلات وحملات تأييد إلكترونية كبيرة للقضاة، إلا أن وقوعهم في قبضة الأمن لم يحدث إلا بعد نزولهم الفعلي إلى الأرض. وبلغ عدد المدوّنين الذين ألقي عليهم القبض منذ اندلاع التظاهرات المؤيدة للقضاة والمعارضة للدولة ستة، أشهرهم المدون «علاء أحمد سيف الإسلام» الذي يدون وزوجته منال في manalaa.net. وهي المدونة التي حازت على جائزة في مسابقة المدونات التي نظمتها منظمة «صحافيون بلا حدود» و«دويتش فيللة» الألمانية في أكتوبر ٢٠٠٧.

لكن أصداء القبض على المدونين، تختلف تمامًا عن القبض على مواطنين عاديين، بمعنى أن أجواء المدونات وروح الرفاق التي هي سمة الغالبية العظمى من أصحاب المدونات الشخصية، على اختلاف، بل وعلى رغم تناقض ميولهم وأهوائهم. الصدى الأول غير المتوقع تمامًا، كان إضافة أنجزها علاء من داخل الزنزانة، بعد فترة وجيزة من القبض عليه، وعلى ما يبدو، فقد أنجزت من خلال هاتفه المحمول، ربما قبل أن يتنبه المسئولون إلى ذلك. كتب علاء في مدونته إلى زوجته: «اليوم أيقنت، أنا حقًّا مسجون، لست متأكدًا من مشاعري، كنت أعتقد بأنني بخير، ولكن الطريقة التي ينظر بها إليّ زملاء الزنزانة تشير إلى أنني لست بخير، يقولون لي: إن هذه الزنزانة هي لـ «الجرائم النفسية»، الجميع يواجه تهمة ضرب أفضى إلى موت. أكتب هذه الكلمات حتى لا يفهم زملائي من المساجين ما أكتب، وإن كنت غير متأكد من أن الكلمات ستصل إلى المدونة».

هذه الكلمات جذبت ما يزيد على ١١٠٠ قراءة في أيام قليلة، معظمها يؤيد علاء في أزمته، وإن كان البعض يتشفى فيه بسبب آرائه وانتماءاته العلمانية والليبرالية التي لا يتحملها أصحاب الاتجاهات الدينية. المدونون الذين لم يلق القبض عليهم بعد، منهم من بات يعرف بحكم حنكته التقنية أن مدونته «تحت المراقبة»، فمثلاً أحدهم - ويسمي نفسه sand monkey كتب أن مدونته يزورها العاملون في «مركز المعلومات ودعم اتخاذ القرار» في مجلس الوزراء المصري، وذلك من خلال رصده لتقنية خاصة يستعملونها، وهو ما جعله يكتب لهم ساخرًا: «أهلاً بأفراد المركز، كيف حالكم اليوم؟ أرجو أن تنعموا بإقامة سعيدة».

لكن يبدو أن قطاعًا من المدونين مصمم على المضي قُدمًا، بل وابتكار كل ما هو جديد ومختلف للتفوق في حرب «توم وجيري» الدائرة بين الأمن والمدونين حاليًا. فتحميل الفيديو المصور بالهواتف المحمولة من مواقع التظاهرات على المدونات وطرحها أمام العالم لحظة حدوثها سلاح لا يمكن الاستهانة به، ولا تنفع معه «التكذيبات الرسمية» و«موجات النفي الإعلامية الحكومية» التي تعقب الحدث، ومن ثم فإنه يمكن اعتبار موجة احتجاز المدونين البداية «الرسمية» بمعنى الاعتراف الرسمي بأهمية المدونين المعارضين، وإن كان الاعتراف في حد ذاته «غير رسمي» أي غير موثق أو «مدون»، فالمدونات باتت في حكم الموبقات التي تعكر الأمن والاستقرار.[1]

هل المدونات صحافة إلكترونية أم إعلام بديل؟

إن التطورات التكنولوجية المذهلة والمتسارعة أدت إلى ظهور منافس قوي للصحافة التقليدية والمتمثل في المدونات كوسيلة فعّالة لجذب القراء، سواء ما تعلق بالأخبار الرياضية أو العقار أو عالم الجريمة أو الهجرة أو السياسة الوطنية والمحلية. فعلى سبيل المثال توفر إحدى المدونات نافذة تخص كواليس التحرير لجريدة «دالاس مورنينغ نيوز»، كركن خاص

---

[1] جمال عيد، تونس في التقرير الثاني عن حرية الإنترنت في العالم العربي، جويلية ٢٠٠٧.

في الجريدة من خلال ما تأتي به هذه المدونة، حيث تمكنهم من اكتشاف الطريقة التي يتم من خلالها مناقشة المواضيع. وأما جريدة «فونتورا كونتري ستار» في كاليفورنيا فتوطن مدونة يكتب فيها عسكري من المدينة خدم في العراق.

وأما جريدة «هوستون كروني كل» فتطلب من مدونيها كتابة ما يأملون في إيصاله إلى بقية العالم. ويظهر أنه لا مفر من وقوع صراع بين الجريدة التي تملك اسمًا وسمعة تدافع عنهما والمدونة التي أضحت وسيلة إعلام جديدة، تتطور بسرعة فائقة لأنها خرجت عن القواعد التقليدية للإعلام[41]. وتتفاعل بعض هيئات التحرير بحذر شديد مع المدونات، غير أن هيئات أخرى فتحت الباب لها، ويقول «جين كير تلي» أستاذ أخلاقيات المهنة وحقوق وسائل الإعلام في جامعة «مينيسوتا»: « تختلف المدونة كثيرًا عن الريبورتاج، ذلك أن المحررين في الصحف تلقوا تكوينًا موضوعيًا، وأما المدونون فليسوا دائمًا موضوعيين ويسعون إلى أن تحدث آراؤهم رجع صدى قوي... ويختلف التدوين تمامًا عن الصحافة، ومن غير الطبيعي على الإطلاق أن تدعو صحيفة أحدًا لكتابة مدوناته وتطلب منه ألا يعبر عن آرائه وقناعاته الشخصية».

وبذلك، تشكل تلقائية وسرعة المدونات تحديًا آخر تفرضه الصحافة الإلكترونية اليوم على الصحافة التقليدية، التي اتجهت إلى اعتماد سلسلة من المبادئ لتطبيقها على المدونات، فصحيفة «سان فرانسيسكو كرونيكل» قد عينت رئيس تحرير مكلفًا بالمدونات، بهدف كتابة ونشر المدونات وضمان مطابقة المضمون لشروط الجريدة. وحسب «روبرت كوكس» رئيس جمعية مدونات وسائل الإعلام، فإن أهمية المدونات تكمن في توغلها في المجالات التي تتردد الصحافة التقليدية في التطرق لها، أما الخطر الذي يجابه الصحف اليوم بسبب عدم تناولها لعدد من المواضيع، فيكمن في فقدانها المستمر للقراء، غير أن «ستيفن سميث» عن «سبوكرس مان ريفيو» فيقول: «المدونة وسيلة إعلام، على الصحافة

---

41 – أحمد بلا فرنسيه، مدونون مصريون في السجون بسبب بلادهم...
Source: http://www.blafrancia.blogspot.com/2006/05/blog-post_26.html (Consulté le: 18-05-2008).

أن تتبناها وليس الخوف منها» ليضيف بأن «عالم المدونات ليس أخطر من الصحافة المطبوعة فيما يتعلق بأخلاقيات المهنة».[12]

المدونات العربية بين محضنة الديمقراطية وثقافة الرأي الآخر

تثير ظاهرة المدونات سؤالاً على قدر كبير من الأهمية ومفاده: هل تؤثر ظاهرة المدونة في المجتمع؟ وهل يوجد تفاعل بين مختلف مؤسسات المجتمع وتضمينات الظاهرة التي تتنامى بشكل مضطرد؟ إن الإجابة على مثل هذا التساؤل تحتاج، بطبيعة الحال، إلى البحث والدراسة. ولكن يمكن استشراف بعض المؤشرات والتوجهات التي تدل على أهمية الظاهرة وما تتركه من آثار على مختلف الأصعدة.

في هذا السياق، وعلى سبيل المثال، يمكن للمدونات أن يكون لها تأثير فعال وقوي على اتجاهات الرأي العام وذلك بحكم مساحة الحرية المتاحة على شبكة الإنترنت، وسهولة التعبير والوصول إلى أي موضوع في الأرشيف وفي أي وقت، هذا بالإضافة إلى أن شريحة متصفحي الإنترنت أصبحت في تزايد مقارنة بقرّاء الصحف. كما أن تأثير المدونات يعود إلى ما توفره المدونة من فرص للحوار والاطلاع الحر على المعلومة من مصادر مختلفة، فهي مدرسة ومحضنة للديمقراطية في المجتمع العربي الحديث، وهي كذلك وسيلة قيمة لتربية الجيل الجديد -ذاتيًا- على ماهية فكرة الرأي والرأي الآخر، وذلك بحكم تمييز المدونات بأشكال مستحدثة في التعبير عن الرأي. فمثل هذه الفوارق وهذه الإضافات ليست مسألة شكلية، بل فكرية متوقفة على الطفرة الكمية التي تعيشها المدونات والتي ستغير من حجم مشاركة وتفاعل المواطن مع قضايا الشأن العام عربيًا. وقد يجعل هذا الانفجار في كمية نوعية أفكار المدونات المعروضة والتي تأتي عادة خلافية جدلية سببًا في تغيير نظرة الناس لماهية الرأي والرأي الآخر المخالف.

---

[12] (1) – جمال حسين، الصحافة الإلكترونية في مواجهة الجرائد الإلكترونية...
Source:http://www.alquabas.com.kn/final/newspaperwebsite/newspapes public (accessed 15/112007)

في الواقع يمكن القول: إن تفاعل الحوارات العربية الفكري كثيرًا ما يعتمد على الفكرة الهجومية للنقاش والجدل ويقصي الفكرة المعتدلة التي تهدف إلى البناء والتأليف من أجل التجاوز الإيجابي والتسامحي. فعقدة إقصاء وإلغاء الآخر وتهميش النقاش والاعتداء على الحياة الخاصة والتجريح مثلما هو الحال في المنتديات ومواقع الدردشة، والذي يكاد يكون القوت اليومي للجدل الاجتماعي في المجتمعات العربية، هو ما تكون حدّته أقل في المدونات كفضاءات حوارية.

هذه زاوية أخرى يمكن أن تقدم لنا جوابًا عن مكامن الاختلاف بين المنتديات والمدونات، فالمدونات تعتبر رد فعل على فئة من مستخدمي الإنترنت الذين هيمنوا على أغلب مواقع الدردشة والمنتديات. إذن فالمدونات وغيرها من أشكال التعبير الإلكتروني هي علامة على ظهور فئة شبابية تؤمن بالرأي المعتدل، وهي بذلك تقدم مؤشرًا على نمو اتجاه ليبرالي لا يجد لنفسه فضاءات إعلامية اتصالية عامة (الصحافة، التلفزيون، الإذاعة، ...) بحكم هيمنة الفكر الرسمي التقليدي المحافظ عليها، مما دفعها إلى اللجوء إلى الإنترنت عبر المدونة لتبليغ صوتها. فقد مكن هذا التنوع المدونة من الانتشار السريع وأعطاها شعبية أكبر واحترامًا أكثر من متصفحي الإنترنت والمشككين في مزايا الإعلام التفاعلي، ويعود ذلك إلى أحقية صاحب المدونة في أن يعبر عما يريد بدون مقدمات وأحكام قيمية. توجد إذن فوارق بين ثقافة القائمين على المنتديات، والذين يتصفون بالتقليديين والمحافظين، ويوصف شباب المدونات في الغرب بجيل ما بعد الحداثة، أما المدونون العرب فهم أصحاب ثقافة واسعة، ويستمدون مخزونهم من أصول الثقافة الغربية التحررية وينزعون إلى فكر حداثي.

المدونات العربية كإعلام بديل:

إن انتشار الظاهرة (المدونات) عالميًا وعربيًا بات لافتًا للنظر، فقد أضحت المدونات وأصحابها حديث الأوساط الثقافية والإعلامية والسياسية كذلك، فوصفت بالإعلام البديل، أو بالإعلام الجماهيري، 'وبصحافة الإنترنت، أو الصحافة الإلكترونية. وذهب

البعض حتى وصفها بأنها القوة العظمى القادمة في مجال الإعلام الإلكتروني، فالمدونون لم يكتفوا بمجرد تسجيل مذكراتهم الشخصية، بل تخصص بعضهم في رصد الواقع الاجتماعي. واتجه آخرون إلى التعليق على المشهد السياسي بأسلوب عفوي ساخر أحيانًا ورصين ومنهجي أحيانًا أخرى، ومع دخول شهر مايو من كل سنة، وبمناسبة الاحتفال باليوم العالمي لحرية الصحافة تتزايد اهتمامات الحقوقيين والإعلاميين بالقضيّة الإعلاميّة وحريّة التعبير. فتصبح عمليّة فضح الانتهاكات المسجّلة في حق الإعلاميين وأصحاب الأقلام الحرة، المادة الرئيسيّة لهذا الاحتفال.

وفي هذا الإطار يحاول الكثير من المدونين المساهمة في هذا الاحتفال، ولكن بطريقة مغايرة، بمعنى آخر محاولة التركيز على ضحيّة حرية الرأي والتعبير، ولكن كفاعل منتصر لا كفاعل منهزم، أي كفاعل إيجابي انفلتت أفكاره ومواقفه من سلطة الرقابة والمتابعة. وذلك من خلال مقولة الإعلام البديل، فعلى حد تعبير عالم الاجتماع الفرنسي «ميشال كرزيه» في كتابه (الفاعل والنسق): مهما بلغت درجت الضغوطات والإكراهات المفروضة على الفاعلين، فإنّ لهذا الفاعل قدرة على الانفلات من تلك الضغوطات، عبر هامش الحرية التي يخلقها هذا الفاعل أو من خلال مقولة «مجال اللايقين» (كمقولة أساسيّة في سوسيولوجية كروزيه)، وأيضًا من خلال إدراكه لقوانين اللعبة وإتقان فنها. وما الإعلام البديل إلا فضاء من بين الفضاءات التي يمكن للفاعلين الاجتماعيين تحقيق جزء من الحريات المسلوبة منهم عبرها، وطريقة ناجحة في الانفلات من عين الرقيب.[٤٢][(١)]

تعريف الإعلام البديل:

الإعلام البديل ليس إعلامًا مستحدثًا، بل هو إعلام متطوّر ومتجذّر في تجربة الشعوب والأمم. ويتميّز بجملة من الخصائص التي من بينها: القدرة على التكيّف مع تطوّر وسائل الاتصال، وتطوّر أدوات الرقابة والضغوطات الاجتماعيّة والسياسيّة. فالمتمعّن في الحياة اليوميّة للشعوب والجماعات يلاحظ تزامنه مع ظهور الإعلام الرسمي. وأيضًا القدرة على

٤٢- جمال حسين، مرجع سابق.

التشكّل، فكثيراً ما يظهر الإعلام البديل في الساحة الإعلاميّة في أشكال مختلفة وذلك حسب المرحلة التاريخيّة التي يمر بها المجتمع ونوعيّة الفاعلين الذين يستعملون الإعلام البديل.[2]

- المدونات العربية كإعلام بديل:

اختلفت الآراء حول هذا الموضوع ما بين مؤيد ومعارض؛ لذا سنحاول الوصول إلى أرضية توفيقية تجمع فيما بين الآراء المتناقضة في حدود ما هو معقول.

لقد أفاد تقرير في الولايات المتحدة الأمريكية أنه بينما يعتبر العديد من الناس الصفحات الشخصية أو المدونات على الإنترنت صورة من صور الصحافة البديلة، فإن أغلب الأمريكيين الذين لديهم مدونات يعتبرونها هواية وليست وسيلة لتحقيق هدف ما. وقال التقرير الذي أجرته مؤسسة «بيو إنترنت أمريكان لايف بروجكت»: إن نحو ٧٧٪ من المدونين يقولون إنهم يكتبون أو يدونون للتعبير عن أنفسهم بصورة إبداعية دون سعي وراء كسب مادي أو شهرة.

في المقابل فإن هناك من يعتبر أن ظاهرة المدونات قد أصبحت لافتة للنظر، وحظيت باهتمام الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية إلى حد أن البعض أصبح يتنبأ لها بأنها ستصبح في المستقبل القريب بمثابة إعلام بديل، وقد تشكل منافساً خطيراً لوسائل الإعلام التقليدية، وذلك بسبب قدرتها على لفت الأنظار إليها بسرعة والتفاعل من خلالها مع مختلف القضايا. كما أنها لا تتطلب رأس مال ضخم ولا إلى تصريح السلطات وهي عموماً لا تسعى إلى الربح؛ إذ يقول أحد أصحاب المدونات «المدونات لا يمكن أن تحقق الربح الاقتصادي، ولكن هناك من سيخسر بسببها، إنه الإعلام التقليدي»[1]

[1] سامي نصر، تحديات الإعلام البديل...
Source:http://www.kalimatunisie.com/article.php?id=545 (Consulté le12/01/2008)

[2] - عمار بكار، فرص نجاح إعلام بديل من القارئ محدودة، جريدة العرب الاقتصادية، العدد ٢٣٢: ...
Source:http://www.mysearch.com/jsp/cfg_redir2.jsp?ido (accessed 18-05-2008)

ويقول أحد المهتمين بظاهرة التدوين الألماني: «لو أن كل مدونة من المدونات ٢٠٠.٠٠٠ الموجودة في ألمانيا اجتذبت فقط عشرة قراء لخسرت وسائل الإعلام التقليدية جزءًا كبيرًا من جمهورها»، لذلك تسعى بعض دور النشر إلى اختيار أسلوب تحرير صحفي يقترب من أسلوب المدونات كثيرًا. فيما يرى الباحث «صفوت العالم» أستاذ الإعلام بجامعة «عين شمس»، أن المدونين حققوا انفرادًا؛ لأنهم لا يلتزمون بالوقت، وبالتالي يسبقون الصحف والإذاعات. غير أنه لا يرى أن المدونات بإمكانها منافسة الصحف بشكل دائم، لأنها غير ملتزمة بقواعد تجمعها أو بإصدار يومي يوجب على القراء متابعتها.

وقد يكون السبب الحقيقي لبدء مؤسسات الأخبار في تقصي ظاهرة التدوين هو التأثير المحتمل لشبكة المدونات، وقد يكون ذلك أيضًا السبب وراء التعامل مع التدوين كصحافة. وقد لا يفكر المدونون من منطلق التحكم والتأثير، لكن الإعلام التجاري يفعل ذلك، فالإعلام يسعى قبل كل شيء لكسب قطاع عريض من المتلقين، حيث تعتمد مكاسب الإعلانات وهي شريان الحياة لأي وسيلة نشر أو إذاعة محترفة على حجم جمهور وسيلة النشر هذه، ومن وجهة نظر تجارية فالمحتوى المنشور موجود فقط لجذب العيون للإعلانات، سواء كانت الوسيلة المستخدمة هي المطبوعات أو التلفزيون.

في هذا المضمار اعتاد مستخدمو الإنترنت استغلال المنتديات والمجموعات البريدية لتبادل الأخبار والنقاش والتعبير عن النفس، ويمكن تصور امتداد وتطور صور التواصل تلك وصولاً إلى تمكن كل مستخدمي الشبكة من المشاركة في بناء كيانات صحافية جديدة. فالتقنيات المستخدمة لا تختلف كثيرًا عن المنتديات والبريد الإلكتروني والتكلفة قليلة أو منعدمة.

من جهة أخرى ظاهرة المدونات نالت اهتمام وسائل الإعلام التقليدية، من خلال برامج قناة الجزيرة، وكذلك احتلالها لصفحات بعض الصحف العربية كصحيفة «الشرق الأوسط» وحتى الصحف الوطنية، ففي مصر مثلاً أثبت المدونون من خلال أول حفل لهم والذي أقاموه بنقابة الصحفيين المصريين تحت شعار «غني يا بهية» أنهم قوة إعلامية

حقيقية منظمة، بشكل يمكنها من منافسة الصحافة الرسمية المطبوعة وحتى المرئية، أيضاً إذاعة «البي بي سي» البريطانية اهتمت بجانب المدونات وأنشأت في موقعها الإلكتروني على الإنترنت قسماً خاصاً للمدونات.

هذا يكون إشارة على مدى العلاقة الوثيقة التي بدت تظهر ملامحها بين الصحافة الإلكترونية والصحافة المطبوعة، وأن كلاً منهم مُكمل لصناعة الخبر بحيث اتهم بعض المدونين المصريين الصحف الرسمية والمستقلة بسرقة أعمالهم ونشرها على صفحات الجرائد، بدون الإشارة إلى اسم صاحبها والاكتفاء بذكر أنها نقلت من مصدر على الإنترنت.

إذن، ليس من الضروري التوقف عند صحافة بديلة تعطي القارئ دوراً أكثر فعالية، يمكننا تكوين صحافة شعبية ينعدم فيها الفرق بين القارئ والكاتب ويتوارى دور الناشر، ولقد بدأت بالفعل هذه الصحافة في التبلور، ففي الولايات المتحدة تعتبر الصفحات والجرائد الشخصية المسماة بالمدونات (weblogs/blogs) من ضمن القوى المشاركة في تشكيل الرأي العام، وفي إيران صارت السبعون ألف مدونة أو أكثر المساحة الوحيدة المتاحة للتعبير بلا رقابة (وإن كان التدخل الأمني قد طال المدونين)، وأثبتت الصحافة الشعبية قدرتها الحقيقية على التأثير الإيجابي بعد مشاركة المدونين في تغطية حادث «تسونامي» وفي تنسيق جهود الإغاثة.

التقييدات الرسمية والمدونات العربية الإلكترونية:

تختلف أسباب الإقبال على التدوين عبر النت من مدون إلى آخر، فمن ضيق مساحات إبداء الرأي والتعبير إلى الرغبة في التطاول على «المحرّمات» مروراً بالتشفي من الرقابة التي لطالما سيطرت وهيمنت. فقد أصبحت المدونات طريقة سهلة ومضمونة للتحايل على الرقيب، سواء كان الرقيب سياسياً أو أمنياً أو اجتماعياً، كما أن انتشار المدونات في الدول العربية التي لا تسمح بإنشاء صحف أو وسائل إعلام خاصة يمثل تحدٍّ للسلطات في هذه البلدان لصعوبة مراقبتها من الناحية العملية.

تجدر الإشارة إلى أن المدونات العربية تعاني من محاولات التضييق والتشويش والحجب، وهي أساليب سائدة في المنع والتضييق على حرية التعبير وإبداء الرأي عبر شبكة الإنترنت. وهذا ما يعكس في المقام الأول مدى الجهل والغباء الذي لا يزال مستحكمًا في عقول بعض المسئولين في الوطن العربي، في الوقت الذي يتجه فيه العالم إلى إفساح المجال أمام كافة التعبيرات الحرة في زمن التدفق الهائل للمعلومات. فالمنع والحجب الممارس من قبل هذه العقليات السائدة أدى بالفعل إلى نتائج عكسية، فبمجرد علم رواد ومتصفحي الإنترنت بنبأ حجب مواقع أو منع مادة من النشر أو اعتراض معلومة عن الوصول إلى القارئ تنطلق على الأثر حركة إلكترونية دائبة لتلك المادة الممنوعة أو المحجوبة على أوسع نطاق، وبالتالي يكون المنع عملاً دعائيًا وترويجيًا لتلك المواد. كما أنه يمكن للعديد من رواد الإنترنت نسخ المواد الممنوعة وإعادة إرسالها عبر البريد الإلكتروني والمنتديات المختلفة، فالإنترنت زاخرة بالعديد من برامج كسر الحجب التي تمكن من دخول المواقع المحظورة. كما أن نشاط المدونين العرب في المجال السياسي نتج عنه حبس الكثير منهم واعتقالهم كما يحدث في مصر، أو حجب المدونات كما يحدث في السعودية والإمارات وتونس.

وتعتبر مصر من أكثر دول العربية تضييقًا على المدونين الذين كان لهم دور كبير في المظاهرات التي نظمتها المعارضة خلال شهر مايو ٢٠٠٥ ضد الرئيس «حسني مبارك» الذي ترشح للانتخابات الرئاسية. حيث أصبحت المدونات مصدرًا هامًا لتغطية هذه المظاهرات، بعد أن أصبح جليًا أنه لا يمكن الاعتماد على وسائل الإعلام التقليدية التي تخضع لمراقبة الدولة. ثم انتقلت هذه المدونات لتلعب دورًا أهم من تغطية الأحداث، حيث أصبحت منبرًا لمناقشة الاستراتيجيات التي تتبعها المعارضة ومدى فاعليتها في مواجهة النظام، وبذلك وضعت المدونات نهاية لمرحلة التعليق على الأحداث وانتقلت إلى مرحلة التنظيم والعمل السياسي.

وتعتبر مدونة «علاء عبد الفتاح» التي تحمل اسم «مدونة منال وعلاء» من أشهر المدونات المصرية وأكثرها تأثيرًا على الرأي العام، ومثال ذلك أنها كانت السباقة لنشر صور الضابط «وليد الدسوقي» العامل بجهاز أمن الدولة والمتورط في عمليات التعذيب وانتهاك لحقوق الإنسان. وقد قام صاحب المدونة بتصويره عن طريق جهاز للهاتف النقال خلال إحدى مظاهرات المعارضة التي كان يراقبها. وكانت هذه الصورة الوحيدة للضابط التي يتم نشرها في وسائل الإعلام. كما تعرض المدون «كريم عامر» للاعتقال لمدة ١٢ يومًا في شهر أكتوبر ٢٠٠٥ من قبل الأمن المصري، بسبب المقالات التي نشرها في مدونته كما تم في مايو ٢٠٠٦ إلقاء القبض على عدد من المدونين المصريين أثناء تنظيمهم حركة التضامن مع القضاء المصري.

وهناك عدد من الدول العربية تلجأ إلى حجب المدونات بدل اعتقال أصحابها، ففي تونس مثلاً قامت السلطات بحجب مدونة تحمل اسم «مواطن تونسي» ست مرات، بسبب الانتقادات اللاذعة التي يوجهها صاحب المدونة لنظام رئيس «زين العابدين بن علي». ورغم ذلك كان المدون في كل مرة يعيد إنشاء هذه المدونة، إضافة إلى ذلك فقد شهدت كل من المملكة العربية السعودية والإمارات العربية المتحدة حالات عديدة لحجب المدونات. وفي البحرين تعرضت مدونة «محمود اليوسف» وهي أشهر وأقدم مدونة بحرينية وأفضلها في العالم العربي، للحجب رغم أنها تتمتع باحترام الجميع بالنظر للأفكار التي تطرحها. والتي تدعو إلى مواطنة ولا تستند للدين تحت عنوان « لا سني ولا شيعي فقط بحريني». وقد تم حجب هذه المدونة بأمر من وزير الإعلام البحريني شخصياً.

ومن هذا المشكل أصبح إلزامًا على المجتمع الدولي وضع برامج لحجب المواقع التي تقوم بنشر مواد سيئة تنافي القيم والعادات والتقاليد. فعلى صعيد الرقابة العامة التي تفرضها بعض الحكومات والدول خاصة في الوطن العربي، تقوم بفرض رقابة على بعض المدونات والمواقع، إلا أن الواقع العملي أثبت بأن هذه الرقابة غير عملية لعدة أسباب منها

أنه في كل يوم تظهر مواقع جديدة، ويمكن نقل محتوياتها بسهولة إلى أماكن أخرى كما أن المشترك بالإنترنت يستطيع الدخول إلى هذا الموقع المراقب عن طريق صديق له مشترك في أي دولة مجاورة له، لا يوجد فيها رقابة على هذا الموقع.

فقد أخفقت العديد من المحاولات ضبط ومراقبة محتويات الرسائل والوثائق المتبادلة، خاصة منها المدونات بحجة الكفاح ضد الإرهاب والجريمة المنظمة. فيما يرى المستفيدون من خدمات الإنترنت أنها حرية سيئة ما دام أنها تحرر بث المعلومات لدرجة غير قابلة للتخيل. أما خبراء الاتصال فهم يرون أن هذه الرقابة شبه مستحيلة زد على ذلك أن التكاليف المادية والبشرية باهظة. ويرى البعض «أن الحل يمكن في إخضاع التعامل بالإنترنت إلى القوانين العادية المعتمدة في كل بلد فيما يخص المعلومات والإعلام.

ففي تونس مثلاً ومنذ سنة تقريبًا حجبت مدونة أحد الشباب لتخصصها في الكتابات الجنسية ونشر الصور الخليعة وتطاوله على رموز مختلف الديانات السماوية، إذ يقول «أبو لهب» صاحب المدونة لصحيفة «إيلاف» الإلكترونية: إن المجتمع يرفض الحديث في كل ما يتعلق بالجنس والدين بعبارة «حرام عليك»، و«ستحشر في جهنم» و«لأنني مقتنع بترّهات السلطويين» و«الرّكع السّجود»، فقد أردت أن أجعل من مدونتي الشخصية سلاحًا بسيطًا أحارب به استبدادهم ووصايتهم على عقول الشباب التائق إلى التحرر من أكاذيبهم وسخافاتهم».

وبذلك فالعديد من المدونين العرب يرون أن حرمانهم من حقوقهم في التعبير عن آرائهم بكل حرية في المنابر الشبابية والصحافة الوطنية، بسبب انتمائهم إلى حزب سياسي أو آخر أو بسبب معارضتهم لسلوك أو تيار، أو نشاطهم في إحدى المنظمات الحقوقية المعروفة هو ما جعلهم يبحثون عن طرق أخرى لا تخضع لرقابة السلطة، مثل الصحافة الإلكترونية أو الكتابة في عالم التدوين.

جراء كل هذا، حاولت السلطة خلق إعلام بديل للإعلام البديل حتى تحافظ على موقعها، فمثلاً بالنسبة للإشاعات أصبحت السلطة تنتج إشاعات ونكت مضادة لما يشاع داخل المجتمع، وكثيرًا ما تسخّر وسائل الإعلام الرسميّة لهذا الغرض. كما حاولت بدورها توظيف الإنترنت وخلق صحف ومواقع إلكترونيّة لتقوم بوظيفة الرد على كل ما ينشر في الإعلام البديل. ولكنها رغم المجهودات التي تقوم بها لم تتحرّر من الطابع الدفاعي وظلّت حبيسة قوانين اللعبة التي فرضتها الفئات المهمّشة، وبالتالي حقّقت هذه الفئات أهم انتصار لها في هذا المجال، وقد لعبت بعض المنظمات الدوليّة والإقليميّة والوطنية دورًا كبيرًا في تحقيق هذا النجاح عبر الدورات التدريبية لضحايا حرية الرأي والتعبير، وكيفية استعمال آخر التقنيات المستحدثة في عالم الإنترنت. ومن هذه المنظمات نذكر: منظمة الصف الأمامي «Front Line» ومنظمة الصف الأوّل «Front First» والشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان، ومنظمة بلا حدود.

المدونات والسياسة:

تعاني الممارسة السياسية في الوطن العربي من تقلص الاهتمام بالقضايا السياسية، وذلك بسبب عدم الوفاء بالوعود السياسية التي تلقى على واجهة وسائل الإعلام الرسمية. فإذا ما توقفنا عند النموذج المصري فإن المدونات استطاعت لفت الانتباه الناس إلى القضايا السياسية وخاصة بين سنوات ٢٠٠٤ و٢٠٠٥، وهي فترة شهدت حراكًا سياسيًّا قل نظيره في تاريخ مصر المعاصر، فمن الاستفتاء على الدستور إلى تفجيرات طابا والانتخابات الرئاسية والبرلمانية وأزمة القضاء والإيقافات والمظاهرات. لقد كانت المدونات شاهد عيان على كل ما يحدث، ولعل أبرزها مدونات الوعي المصري، بهية، منال وعلاء. وتبدو مدونة منال وعلاء واحدة من أشهر المدونات السياسية في مصر يكتبها شخصان يبدو أنهما متزوجان وناشطان، وتسعى هذه المدونة إلى توفير تغطية يومية مستمرة في مجال حقوق الإنسان والحريات والمجتمع المدني للأحداث ذات الصلة بنشاط المجتمع المدني،

ويعتقد علاء ومنال اللذان دائمًا يتحدثان كشخص واحد أن الإعلام البديل عليه أن يتميز أيضًا بالاستمرارية، ويكشف المستور والالتزام بالصالح العام وهو يعني أن هذا الموقع ليس ببعيد عن توجه أيديولوجي يساري في هيئة رقمية.

كما كان للمدونات في لبنان حضور متميز أثناء الحرب بين حزب الله وإسرائيل في الصيف ٢٠٠٦ وأثناء الانتخابات البرلمانية في البحرين في نوفمبر ٢٠٠٦، وتتخصص بعض المدونات في نشر أخبار وصور نشاط الجمعيات المجتمع المدني، وتقوم بتغطية المظاهرات وتوفير المتابعة اليومية للأحداث السياسية الهامة في العديد من الأقطار العربية، والتي يمكن القول إنها أصبحت تشكل إعلامًا رقميًا حقيقيًا وتفاعليًا، ينطلق من الناس ويعود إليهم بعيدًا عن أعين الرقيب كما هو الحال مع مدونة «الوعي المصري» لوائل عباس.

فالمجتمع المدني والذي عليه أن يكون مستقلاً عن تأثيرات وتدخل الدولة والسلطة التنفيذية يعاني في أغلب الدول العربية من محاولات الائتلاف والتهميش، وهو ما يدفع بأغلب المنتمين إلى المجتمع المدني إلى توظيف شبكة الإنترنت لتأكيد حضورها وبيان استقلاليتها عن خطاب السلطة. وبذلك يمكن القول: إن المدونات أعادت الصحافة العربية إلى المجتمع المدني وإلى المواطن وبيئته بشكل يكاد يكون عفويًا وغير منتظم وهو ما عجزت على بلوغه المعارضات والأحزاب والحكومات والنخب. وهكذا ومن خلال النشر الإلكتروني والصحافة استطاعت المدونات العربية أن تواكب هذه الظاهرة الإلكترونية التفاعلية لتصل إلى درجة مقدمة من التفاعل المدني بين فئات المجتمع الواحد.

هل المدونات العربية الإلكترونية تعبير حر أم صحافة بديلة؟

في ظل التحدي الذي فرضته الإنترنت كوسيط إعلامي اتصالي متعدد المزايا، لا يضاهيه في ذلك وسيط آخر وجد الناشرون العرب أنفسهم في وضع لا يسمح لهم بتجاهل هذا النوع الإعلامي الجديد، مما جعلهم يضمونها لصحفهم وينشئون مواقع لإعلامهم،

غير أنه ومثلما أكدت دراسة علمية متخصصة يلاحظ بأن حضور الصحافة العربية على شبكة الإنترنت رغم كبره، لا يماثل مع النمو الهائل للمطبوعات الإلكترونية عالميًا خاصة فيما يتعلق بتناسب هذه الأرقام مع أعداد الصحف العربية وعدد سكان الوطن العربي. فقد كان لهذه المواقع إسهامات مهمة في استخدام الإنترنت كوسيلة صحفية، باعتبارها وسيلة تكنولوجية مفتوحة المجال نحو العالمية للحريات عبر كل المجتمعات الظاهرة، رغم أنه من المبكر جدًا الحكم عليها ومدى تأثيرها على مستقبل الصحافة، بالنظر إلى أن صحافة الورق لا تزال إلى اليوم سيدة الموقف، وذلك لا ينسينا ما نراه في جيل الشباب من افتتان بالمواقع الإلكترونية متابعة لها واستفادة مما تضخه من معلومات بسرعة ومهنية عالية رغم حداثتها.

فعلى الرغم من حداثة ظهور المدونات العربية بشكل عام إلا أنها قد أصبحت أداة فعالة أجاد المدونون العرب استخدامها، سواء في التعبير عن همومهم وهموم مجتمعاتهم بما فيها همومهم الشخصية أو العامة، أو في استعمالها كوسيلة إعلامية حرة تتفق مع نظيرتها التقليدية في أمور عديدة، وتتنافر معها في أكثرها، خاصة وأن الصحافة العربية المطبوعة لا تزال تخسر معركتها أمام الوسائل الإعلامية الجديدة (الفضائيات، الإنترنت)، مع تجاهل حجم الفرص المتاحة في حقل الصحافة الإلكترونية لأسباب مؤسساتية وثقافية، في ظل الخلط الحادث لدى الجمهور بين الصحف الإلكترونية والمنتديات والمواقع الشخصية والمواقع الإخبارية، وكذلك الخلط بين النسخ الإلكترونية والصحف الإلكترونية.

وهذا ما طرح إشكالاً لدى الكثير من المستخدمين ما بين مؤيد لفكرة أن المدونات العربية صحافة بديلة ومعارضة. فقد أفاد تقرير في الولايات المتحدة الأمريكية أنه بينما يعتبر العديد من الناس الصفحات الشخصية أو المدونات على الإنترنت صورة من صور الصحافة البديلة، فإن أغلب الأمريكيين الذين لديهم مدونات يعتبرونها هواية وليست وسيلة لتحقيق هدف ما. وقال التقرير الذي أجرته مؤسسة «بيو إنترنت أمريكان لايف

بروجكت» أن نحو ٧٧٪ من المدونين يقولون إنهم يكتبون أو يدونون للتعبير عن أنفسهم بصورة إبداعية دون سعي وراء كسب مادي أو شهرة. فقد أصبحت المدونة نوعًا من أنواع الإبداع الأدبي والصحفي المتعارف عليه، تنظم لها دور النشر والصحف من خلال إصداراتها ونسخها الإلكترونية المسابقات لاختيار أفضلها من حيث أسلوب الكتابة، والتصميم الجرافيكي، واختيار الموضوعات وتبويبها، ويمكن هنا ذكر المسابقة التي نظمتها صحيفة «الجارديان» البريطانية وتعرف بجائزة «Bobs Awa rd»، كما توجد أيضًا جائزة أفضل مدونة عالمية تعرف باسم أفضل مدونة إذاعية وأفضل مدونة مشتركة، وبعدها نجد أفضل مدونة انجليزية وفرنسية وإيرانية وصينية وقد فازت بجائزة أفضل مدونة عربية مدونة عنوانها «جار القمر».

عربيًا يمكن القول أن حضور المدونة في المشهد الإعلامي أصبح غير قابل للتجاهل، وخير دليل على ذلك هو تنظيم مسابقة خاصة بأحسن مدونة عربية، أعطي لها اسم «بابا»، أشرف عليه موقع Blog Award Best Arab. كما تم تأسيس رابطة «مدونون بلا حدود»، وكان وراء هذا المشروع «قناة الجزيرة الفضائية» إذ تهتم الرابطة العربية للمدونين بالتدوين عامة، والتدوين في العالم العربي بشكل خاص، ويستهدف هذا التجمع رفع مستوى التدوين على نحو يشجع المدونين على الخوض في هذه التجربة أكثر.

فهذا التأصيل والتأسيس لهذه الظاهرة الإعلامية الجديدة والتي يمكن أن تتحول إلى شيء مستقل وممتد في الزمن أو بالأحرى إلى مؤسسة فاعلة في المجتمع يعترف بها أهل الشأن الكبير وخاصة وسائل الإعلام التقليدية. ويمكن في هذا السياق ذكر شهادة الكاتب والصحفي «محمد حسنين هيكل» عندما قال عن المدونات: «أنا أجد شخصًا يكتب باسم مستعار هو بهية، ولست أدري من هي لكني أطلب من مكتبي أن يسلموني مقالات بهية كلما صدرت لأني أتابعها باعتبار وباحترام أكثر من أي صحافي في أي جريدة».

كما هناك من يعتبر أن ظاهرة المدونات قد أصبحت لافتة للنظر، وحظيت باهتمام الأوساط السياسية والثقافية والإعلامية إلى حد أن البعض أصبح يتنبأ لها بأنها ستصبح في المستقبل القريب بمثابة إعلام بديل. وقد تشكل منافساً خطيراً لوسائل الإعلام التقليدية، وذلك بسبب قدرتها على لفت الأنظار إليها بسرعة والتفاعل من خلالها مع مختلف القضايا. كما أنها لا تتطلب رأس مال ضخم ولا إلى تصريح السلطات، وهي عموماً لا تسعى إلى الربح؛ إذ يقول أحد أصحاب المدونات: «المدونات لا يمكن أن تحقق الربح الاقتصادي ولكن هناك من سيخسر بسببها، إنه الإعلام التقليدي»[46](1).

ويقول أحد المهتمين بظاهرة التدوين الألماني: «لو أن كل مدونة من المدونات الموجودة في ألمانيا اجتذبت فقط عشرة قراء لخسرت وسائل الإعلام التقليدية جزءاً كبيراً من جمهورها»، لذلك تسعى بعض دور النشر إلى اختيار أسلوب تحرير صحفي يقترب من أسلوب المدونات كثيراً. فيما يرى الباحث «صفوت العالم» أستاذ الإعلام بجامعة «عين شمس»، أن المدونين حققوا انفراداً لأنهم لا يلتزمون بالوقت وبالتالي يسبقون الصحف والإذاعات. غير أنه لا يرى أن المدونات بإمكانها منافسة الصحف بشكل دائم؛ لأنها غير ملتزمة بقواعد تجمعها أو بإصدار يومي يوجب على القراء متابعتها.

فقد يكون السبب الحقيقي لبدء مؤسسات الأخبار في تقصي ظاهرة التدوين هو التأثير المحتمل لشبكة المدونات، وقد يكون ذلك أيضاً السبب وراء التعامل مع التدوين كصحافة. وقد لا يفكر المدونون من منطلق التحكم والتأثير، لكن الإعلام التجاري يفعل ذلك، فالإعلام يسعى قبل كل شيء لكسب قطاع عريض من المتلقين، حيث تعتمد مكاسب الإعلانات وهي شريان الحياة لأي وسيلة نشر أو إذاعة محترفة على حجم جمهور وسيلة النشر هذه، ومن وجهة نظر تجارية فالمحتوى المنشور موجود فقط لجذب العيون للإعلانات، سواء كانت الوسيلة المستخدمة هي المطبوعات أو التلفزيون.

---

[46](1) – فيونا كامبل، هل يقوم الإنترنت بدور ايجابي، أم أنه ضل الطريق؟ العربية...
Source:http://www.arabic.rnw.nl/amsterdamforum. (accessed 22-03-2008)

في هذا المضمار اعتاد مستخدمو الإنترنت استغلال المنتديات والمجموعات البريدية لتبادل الأخبار والنقاش والتعبير عن النفس، ويمكن تصور امتداد وتطور صور التواصل تلك وصولاً إلى تمكن كل مستخدمي الشبكة من المشاركة في بناء كيانات صحافية جديدة. فالتقنيات المستخدمة لا تختلف كثيراً عن المنتديات والبريد الإلكتروني والتكلفة قليلة أو منعدمة.

من جهة أخرى ظاهرة المدونات نالت اهتمام وسائل الإعلام التقليدية من خلال برامج قناة الجزيرة، وكذلك احتلالها لصفحات بعض الصحف العربية كصحيفة «الشرق الأوسط» وحتى الصحف الوطنية، ففي مصر مثلاً أثبت المدونون من خلال أول حفل لهم والذي أقاموه بنقابة الصحفيين المصريين، تحت شعار «غني يا بهية» أنهم قوة إعلامية حقيقية منظمة، بشكل يمكنها من منافسة الصحافة الرسمية المطبوعة وحتى المرئية، أيضاً إذاعة «البي بي سي» البريطانية اهتمت بجانب المدونات، وأنشأت في موقعها الإلكتروني على الإنترنت قسماً خاصاً للمدونات. وهذا يكون إشارة على مدى العلاقة الوثيقة التي بدت تظهر ملامحها بين المدونات والصحافة المطبوعة، وأن كلاً منهم مكمل لصناعة الخبر بحيث اتهم بعض المدونين المصريين الصحف الرسمية والمستقلة بسرقة أعمالهم ونشرها على صفحات الجرائد بدون الإشارة إلى اسم صاحبها والاكتفاء بذكر أنها نقلت من مصدر على الإنترنت.

إذن، ليس من الضروري التوقف عند صحافة بديلة تعطي القارئ دوراً أكثر فعالية، يمكننا تكوين صحافة شعبية ينعدم فيها الفرق بين القارئ والكاتب ويتوارى دور الناشر، ففي الولايات المتحدة تعتبر الصفحات والجرائد الشخصية المسماة بالمدونات (weblogs/blogs) من ضمن القوى المشاركة في تشكيل الرأي العام، وفي إيران صارت السبعون ألف مدونة أو أكثر المساحة الوحيدة المتاحة للتعبير بلا رقابة (وإن كان التدخل الأمني قد طال المدونين)، وأثبتت الصحافة الشعبية قدرتها الحقيقية على التأثير الايجابي بعد مشاركة المدونين في تغطية حادث «تسونامي» وفي تنسيق جهود الإغاثة.

المدونات العربية واستشراف المستقبل:

في ظل القمع الحكومي العربي لحرية التعبير في المنظمة العربية يرى «كبرت هيكينس» مدير لجنة حماية المدونين أن آلية القمع موجودة في بلدان الشرق الأوسط، إلا أننا سنشهد في المستقبل القريب استخدامًا لهذه الآليات القمعية لمعاقبة المدونين. فالحملات التي تنشئها المنظمات الدولية المعنية بحقوق الإنسان مثل (مراسلون بلا حدود)، و(منظمة العفو الدولية)، فضلاً عن التطوير التقني الذي يستفيد منه مستخدمو الإنترنت عمومًا والمدونون بشكل خاص. والذي سوف يسهل من إخفاء هوية المدون، فضلاً عن عدم قابلية شبكة الإنترنت نفسها للتطويع والسيطرة قد لا يمنع القمع، لكن من المؤكد أنه سوف يوضح بجلاء عن الصورة الحقيقية التي تتسم بها هذه الحكومات بحيث سوف تفشل بدرجات في تقييده وسوف ينجح الإنترنت والمدونون في فضحها.

ويرى المدون «وبيكابلو»: أن غياب الحراس والحرية من كل العواقب قد تؤثر في نزاهتها وبالتالي على قيمتها، وهناك مؤشرات عديدة على أن المدونات سوف تكتسب تأثيرًا هائلاً بازدياد أعدادها وذيوع الوعي بنوعها، حتى وإن كانت بعض المعلومات فيها غير صحيحة، فالإشاعات تنشر لأن نشرها مسلٍّ، أما التصحيح لأنه غير مسلٍّ بنفس القدر فنادرًا ما يحصل على الكثير من الاهتمام سواء في العالم الحقيقي أو على النت.

ويرى «يحيى اليحياوي» الخبير الإعلامي أن المدونين العرب لا يحتكمون إلى مرجعية جماعية في الفعل السياسي، حتى يكون بمقدورهم المساهمة في صنع القرار أو التأثير فيه، فكل واحد منهم يشتغل لوحده دون تنسيق مع الآخرين. يمكن للمدونين -يضيف اليحياوي- أن يكونوا فاعلاً مجتمعيًا، إذا نحتوا مدوناتهم أكثر نحو الطابع العام السياسي والشأن العام للمواطنين بدلاً من القضايا ذات المنحنى الفردي. بل يمكن أن تصبح المدونات قوة ضغط (لوبي) إن كان للمدونين خلفيات حقوقية ومشاريع سياسية، خاصة أمام ضعف الأحزاب السياسية وتردي أحوال النقابات واستلاب المثقفين.

واعتبر الباحث «عمار عبد الحميد» أنه لا بد من تقديم الدعم المتواصل للمدونين بشتى الوسائل والطرق، وأضاف: أن هناك لجنة في أمريكا لحماية المدونين تضم في عضويتها مجموعة كبيرة من الأشخاص منهم مدونون معروفون ليس فقط في أمريكا وإنما أيضًا على مستوى العالم، هدفها خلق أدوات لكي يحافظ المدونون على سريتهم وكذلك تخطي الحواجز التي تضعها الحكومات أمامهم، إضافة إلى متابعة وتسليط الأضواء على المدونين الذين تم مضايقتهم أو اعتقالهم؛ لذا فإن تقديم الدعم المعنوي لمدونين من خلال إبراز المعاناة التي يتعرضون لها من أهم الوسائل التي يمكن تقديمها لهم، إضافة إلى محاولة تقديم أدوات تساعدهم في تطوير مدوناتهم من أجل خرق عمليات الحجب التي تقوم بها الحكومات العربية، وكذلك مساعدتهم في عمل مدونات سرية لكي لا يتم معاقبتهم وملاحقتهم من قبل هذه الحكومات.

وفي نفس السياق يضيف: أن المدونات جزء من محاولات اختراق حاجز الصمت في المنطقة العربية، وجزء لاختراق وسائل المنع التي تستخدمها الحكومات، وبالتالي سيكون لها تأثير على الحراك الديمقراطي في المنطقة، إذ استطاع أصحاب المدونات في الفترة الأخيرة الوصول إلى عدد كبير من الجمهور. على سبيل المثال استطاع المدونون المصريون تشجيع الشباب للنزول إلى الشوارع ضمن حركة كفاية والمطالبة بإصلاحات ديمقراطية في مصر، «صحيح أنهم لم ينجحوا في تحقيق التغيير إلا أنهم نجحوا ولأول مرة في إنزال آلاف الناس إلى الشوارع وحشد آلاف الشباب وكذلك التنسيق فيما بينهم، إذن فلقد لعبت المدونات دورًا كبيرًا في الحركة الشعبية في مصر. ولذا فأعتقد أنها جزء من العملية الديمقراطية.»[47(1)]

يمكن للمدونين العرب، إذن، التأثير أكثر مستقبلاً، لكن الأمر لن يكون سهلاً. هناك أولاً شروط لا بد من أن تتحقق، كدمقرطة المؤسسات، تيسير الوصول لمصادر الخبر، إصلاح القضاء، الرفع من هامش حرية التعبير، توسيع شبكة الربط بالإنترنت...

[47(1)] – فيونا كامبل، هل يقوم الإنترنت بدور إيجابي، أم أنه ضل الطريق؟ العربية...
Source:http://www.arabic.rnw.nl/amsterdamforum. (accessed 22-03-2008)

مستقبل المدونات العربية الإلكترونية:

رغم محاولتنا الإجابة عن بعض التساؤلات الهامة حول ظاهرة المدونات الإلكترونية العربية المكتوبة، تبقى هناك الكثير من التساؤلات والعراقيل التي تحيط بهذه الظاهرة؛ لذا علينا أن نتساءل مستقبلاً: كيف يمكن تدريس ظاهرة المدونات في كليات الإعلام والصحافة التي تعتمد في تدريسها على قاعدة أن «الخبر بلا مصدر إشاعة»؟ علمًا أن الأخبار التي تتدفق يوميًا من المدونات تلقى اطلاعًا واسعًا من طرف مستعملي الشبكة، وهذا دليل على إيمانهم بها رغم عدم مقدرة أية جهة التأكد مهنيًّا وعلميًّا وموضوعيًّا من صحة مصدرها.

وهل أفل أو سيفل نجم وكالات الأنباء ومصادر الخبر الكلاسيكية؟ هل ما زال يصح الحديث عن مدرسة الخبر في تدريس نظريات الصحافة القائلة بأن «الخبر مقدس والتعليق حر»؟ هل قلبت المدونات الشعار وأصبح الحديث الشائع هو «الرأي مقدس والخبر حر» وما على المواطن إلا أن يصنع خبره بنفسه بحكم تحقق عنصر النشر المجسد للجميع في شبكة الإنترنت والمدونات ما دامت أصبحت صحافة بديلة للصحافة التقليدية؟

لذلك نقول: إن صحافة الإنترنت والمدونات وبحكم أنها استجابة اجتماعية جماهيرية- حتى وإن لم تعترف بها المؤسسة الرسمية وتدعمها- فهي إضافة رمزية لحرية التعبير وللتجربة الديمقراطية من زاوية رقمية. إن القضية هي في المقام الأول فكرية أبستمولوجية، أي تدرك بمدى إظهار طبيعة وصلة القرابة بين الوسيط والمتلقي، والثقافة السائدة ضمن إطار المؤسسة الاجتماعية، فميزة المدونات أنها تنطلق من الإنترنت إلى الواقع لتظهر من جديد من الواقع إلى شبكة الإنترنت.

وبالرغم من ذلك، لا بد أن ندرك أن كل وسيلة إعلامية مكملة للأخرى. ولا يمكن أن تقضي عليها أو تأخذ مكانها بصفة نهائية، لأن لكل وسيلة جمهورها وخدماتها، وإن حدث

هذا فبعد موت جيل كبير ممن عايشوا الإعلام التقليدي، كما أن محاولة بعض الصحف" التقليدية احتضان هذه الظاهرة، والعمل على إعطائها طابعًا مؤسساتيًا جارٍ على قدم وساق، كما أن هذه الأخيرة تسعى جاهدة للتغيير والتطور ومواكبة التطورات التكنولوجية الراهنة، وهذا من التأثيرات الايجابية للمدونات الإلكترونية والصحافة الإلكترونية على الصحافة التقليدية. وعلى العموم فإن ما ستصل إليه المدونات مستقبلاً سيعود لما ستصل إليه الصحافة التقليدية، فان واكبت هذه الأخيرة جل التطورات فسوف تحافظ على مكانتها، أما إن بقيت على ما هي عليه الآن فستواصل المدونات انتشارها وستكون بذلك هي الإعلام البديل.

الفصل الثالث

دور مواقع التواصل الاجتماعي في التغيير

مقدمة

قدمت النظريات والدراسات الإعلامية كثيرًا من الاجتهادات حول مفهوم الإعلام الاجتماعي ودائرة التأثير، ومنها نظرية التسويق الاجتماعي التي تتناول كيفية ترويج الأفكار التي تعتنقها النخبة في المجتمع، لتصبح ذات قيمة اجتماعية معترَف بها.

ووفّر ظهور شبكات التواصل الاجتماعي فتحًا ثوريًا، نقل الإعلام إلى آفاق غير مسبوقة، وأعطى مستخدميه فرصًا كبرى للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا قيود ولا رقابة إلا بشكل نسبي محدود. إذ أوجد ظهور وسائل التواصل الاجتماعي قنوات للبث المباشر من جمهورها في تطور يغير من جوهر النظريات الاتصالية المعروفة، ويوقف احتكار صناعة الرسالة الإعلامية لينقلها إلى مدى أوسع وأكثر شمولية، وبقدرة تأثيرية وتفاعلية لم يتصوّرها خبراء الاتصال.

وإن الخبرة والتسهيلات الجديدة التي وفرها الإنترنت في مجال التنظيم والاتصال والإعلام غيرت المعادلة القديمة التي كانت تضطر قوى التغيير إلى الاعتماد على دعم دول أخرى في نضالها السياسي، كما كان الحال في الستينيات والسبعينيات من القرن العشرين.

لذا فإن حركات الإصلاح والتغيير في عالمنا العربي والإسلامي مدعوة اليوم إلى الاستفادة من ثورة الإنترنت إلى أقصى الحدود، في مجالات التنظيم والإدارة والاتصال والإعلام والنضال السياسي وغير ذلك من جوانب معترك الحياة، فهل نستوعب المدلول التاريخي لثورة الإنترنت؟

وإسقاطًا على التجارب العالمية في الحالتين «التونسية والمصرية» تقوم وسائل الإعلام وَفْق نظرية التسويق الاجتماعي بإثارة وعي الجمهور عن طريق الحملات الإعلامية التي تستهدف تكثيف المعرفة لتعديل السلوك بزيادة المعلومات المرسلة، للتأثير في القطاعات

المستهدَفة من الجمهور، وتدعم الرسائل الإعلامية بالاتصالات الشخصية، كذلك الاستمرار في عرض الرسائل في وسائل الاتصال، عندها يصبح الجمهور مهتماً بتكوين صورة ذهنية عن طريق المعلومات والأفكار، وهنا تسعى الجهة القائمة بالاتصال إلى تكوين صورة ذهنية لربط الموضوع بمصالح الجمهور وتطلعاته. وفي خطوة لاحقة تبدأ الجهة المنظمة بتصميم رسائل جديدة للوصول إلى نتائج سلوكية أكثر تحديداً كاتخاذ قرار، ثم تأتي مرحلة صناعة أحداث معيَّنة لضمان استمرار الاهتمام بالموضوع وتغطيتها إعلامياً وجماهيرياً، ثم حثّ الجمهور على اتخاذ فعل محدد معبِّر عن الفكرة، عن طريق الدعوة لتبنّي الأفكار التي تركز عليها الرسائل الاتصالية. إذن من يصنع التغيير: إن السؤال الذي يجب الإجابة عنه بعد تكرار المشهد التونسي في مصر وتوسع «أطلس الانتفاضات الشعبية العربية» هو: هل تلعب وسائل الإعلام دوراً داعماً في التغيير الاجتماعي عن طريق تقوية المجال الجماهيري؟

إن ظهور مواقع التواصل الاجتماعي وفرت «فتحاً تاريخياً» نقل الإعلام إلى آفاق غير مسبوقة وأعطى مستخدميه فرصاً كبرى للتأثير والانتقال عبر الحدود بلا رقابة إلا بشكل نسبي محدود. وأبرز حراك الشباب العربي الذي تمثل بالثورات التي شهدتها بعض الدول العربية قدرة هذا النوع من الإعلام على التأثير في تغيير ملامح المجتمعات، وإعطاء قيمة مضافة في الحياة السياسية، وإنذار لمنافسة الإعلام التقليدي.

استخدم الشباب في بداية الأمر مواقع التواصل الاجتماعي للدردشة ولتفريغ الشحن العاطفية، ولكن يبدو أن موجة من النضج سرت، وأصبح الشباب يتبادلون وجهات النظر من أجل المطالبة بتحسين إيقاع الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، ومن هنا تشكلت حركات الرفض الشبابية التي انتظمت في تونس مروراً بمصر واليمن وليبيا والبحرين والأردن. وتخطت تلك الأفكار الرافضة للسياسات بسهولة عبر شبكات التواصل الاجتماعي الوطن العربي.

واستخدم كبار الشخصيات هذه الوسائل الجديدة واقتطعوا وقتًا معينًا من الأنشطة الأخرى لصالحها، لإيمانهم بأنها البوابة الحقيقة والجادة للتواصل وسماع الناس والمواطنين، وبهذا سيتغير المشهد الإعلامي قريبًا بشكل واضح للعيان في عالمنا العربي.

ولهذا تثير علاقة مواقع التواصل الاجتماعي بالإعلام إشكاليات عدة، لا يمكن اختزالها في الأبعاد التقنية المستحدثة في مجال البث والتلقي، إذ تجعلها عاملاً محددًا للتحولات الثقافية، وتستبعد أنماط التواصل الجديدة. ولهذا سيعتمد بحثنا على المفاهيم النظرية القادرة على تحليل الأشكال الإمبيريقية لمواقع التواصل الاجتماعي، بالاعتماد على نماذج الاتصال لفهم الظاهرة كحقل تتفاعل فيه التقنية والتواصل كعملية اجتماعية معقدة، وأيضًا من منطلق مقاربة خصوصيته كممارسة إعلامية، أفرزتها الوسائط الإعلامية الجديدة التي تعمل داخل بيئة تواصلية متغيرة تسهم في تشكيلها تقنيات المعلومات والاتصال. وتستعرض الدراسة مجموعة من التعريفات، وتحليل الرؤى النظرية التي أتيح للباحثة الاطلاع عليها، التي يتم تداولها لدى المتخصصين في هذا المجال. ونصل بعد ذلك إلى جملة من الخلاصات لمجموعة الرؤى المطروحة عن مواقع التواصل الاجتماعي وعن مداخل فهمه.

مداخل نظرية لمواقع التواصل الاجتماعي

مفهوم مواقع التواصل الاجتماعي:

مفهوم «مواقع التواصل الاجتماعي» مثير للجدل، نظرًا لتداخل الآراء والاتجاهات في دراسته. عكَس هذا المفهوم التطور التقني الذي طرأ على استخدام التكنولوجيا، وأُطلق على كل ما يمكن استخدامه من قبل الأفراد والجماعات على الشبكة العنكبوتية العملاقة.

الإعلام الاجتماعي: وهو المحتوى الإعلامي الذي يتميز بالطابع الشخصي، والمتناقَل بين طرفين أحدهما مرسِل والآخر مستقبِل، عبر وسيلة/ شبكة اجتماعية، مع حرية الرسالة للمرسِل وحرية التجاوب معها للمستقبِل.

وتشير أيضًا إلى: الطرق الجديدة في الاتصال في البيئة الرقمية بما يسمح للمجموعات الأصغر من الناس بإمكانية الالتقاء والتجمع على الإنترنت وتبادل المنافع والمعلومات، وهي بيئة تسمح للأفراد والمجموعات بإسماع صوتهم وصوت مجتمعاتهم إلى العالم أجمع[48(1)].

ويعرف زاهر راضي مواقع التواصل الاجتماعي: منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها[49(2)].

وتضع كلية شريديان التكنولوجية Sheridan تعريفًا إجرائيًا للإعلام الجديد بأنه: أنواع الإعلام الرقمي الذي يقدم في شكل رقمي وتفاعلي، ويعتمد على اندماج النص والصورة والفيديو والصوت، فضلاً عن استخدام الكمبيوتر كآلية رئيسة له في عملية الإنتاج والعرض، أما التفاعلية فهي تمثل الفارق الرئيس الذي يميزه وهي أهم سماته.

[48(1)] - زاهي علاوي، المدونات نافذة للحوار ووسيلة لدفع عجلة الديمقراطية...
Source:http://www.amarji.org/about.ht (accessed 19/04/2008)
49 (1) http://computing dictionary.the freedictionary.com/new+media

ويمكن تقسيم مواقع التواصل الاجتماعي بالاعتماد على التعريفات السابقة إلى الأقسام الآتية:

١. شبكة الإنترنت Online وتطبيقاتها، مثل الفيس بوك، وتويتر، اليوتيوب، والمدونات، ومواقع الدردشة، والبريد الإلكتروني... فهي بالنسبة للإعلام تمثل المنظومة الرابعة تضاف للمنظومات الكلاسيكية الثلاث.

٢. تطبيقات قائمة على الأدوات المحمولة المختلفة ومنها أجهزة الهاتف الذكية والمساعدات الرقمية الشخصية وغيرها. وتُعدّ الأجهزة المحمولة منظومة خامسة في طور التشكل.

٣. أنواع قائمة على منصة الوسائل التقليدية مثل الراديو والتلفزيون «مواقع التواصل الاجتماعي للقنوات والإذاعات والبرامج» التي أضيفت إليها ميزات مثل التفاعلية والرقمية والاستجابة للطلب.

ويمكن أن نخلص إلى شبه اتفاق، أن مواقع التواصل الاجتماعي تشير إلى حالة من التنوع في الأشكال والتكنولوجيا والخصائص التي حملتها الوسائل المستحدثة عن التقليدية، لا سيما فيما يتعلق بإعلاء حالات الفردية Individuality والتخصيص Customization، وتأتيان نتيجة لميزة رئيسة هي التفاعلية. فإذا ما كان الإعلام الجماهيري والإعلام واسع النطاق وهو بهذه الصفة اسمه إعلام القرن العشرين، فإن الإعلام الشخصي والفردي هو إعلام القرن الجديد. وما ينتج عن ذلك من تغيير انقلابي للنموذج الاتصالي الموروث بما يسمح للفرد العادي إيصال رسالته إلى من يريد في الوقت الذي يريد، وبطريقة واسعة الاتجاهات وليس من أعلى إلى أسفل وفق النموذج الاتصالي التقليدي. فضلاً عن تبني هذه المواقع تطبيقات الواقع الافتراضي وتحقيقه لميزات الفردية والتخصيص وتجاوزه لمفهوم الدولة الوطنية والحدود الدولية"[1].

"[1] زاهر راضي، «استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي»، مجلة التربية. ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠٠٣، ص٢٣.

مداخل نظرية لفهم خصائص مواقع التواصل الاجتماعي :

لا يعمل الإعلام في فراغ بل يستمد من السياقات الاقتصادية والسياسية والثقافية، سواء كانت محلية أو قومية أو إقليمية أو دولية. ولكي نفهم أهمية مواقع التواصل الاجتماعي «الإعلام البديل» يجب أن نضعها في النظريات السياسية والديمقراطية التي وفرت سندًا نظريًا وفكريًا لهويتها وممارستها، ويتطلب مراجعة بعض المقاربات على مستويات عدة، يلتزم بعضها الجوانب المتعلقة بالتطورات في تكنولوجيا الاتصال، وبعضها يعلق على الموضوع من جانب الدراسات الاجتماعية والسياسية وغيرها، بما يمثل مدخلاً لفهم خصائص الإعلام الجديد :

فتشدد نماذج الديمقراطية القائمة على المشاركة على أهمية «مشاركة المواطنين الحقيقيين وانخراطهم الأكثر فاعلية ونشاط في الديمقراطية، ولذلك فهي تنتقد الفصل الراديكالي[٥١]* للمواطنين عن السلطة والنخب والمؤسسات الديمقراطية عن طريق التمثيل. وإن وجود المؤسسات النيابية على المستوى القومي ليس كافيًا للديمقراطية، فلكي تتحقق المشاركة القصوى من جانب الشعب جميعه على ذلك المستوى، يجب أن تحدث تنشئة اجتماعية أو «تدريب اجتماعي» على الديمقراطية في مجالات أخرى لكي يتسنى تطوير الاتجاهات والصفات السيكولوجية الضرورية. وهذا التطوير يحدث عن طريق عملية المشاركة ذاتها»[٥٢](١).

وتطرح أوجه التنظير للإعلام تساؤلات حول مفهوم *New Media* وممارساته فهل تعبر مرحلته هذه عن انتقال أدوات الاتصال وتطبيقاته من المؤسسات إلى الجمهور؟ أو كما يرى

---

[٥١] (١) عباس مصطفى صادق، «الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات»، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨م، ص١٧.

[٥٢] * الراديكالية: هي فلسفة سياسية تؤكد الحاجة للبحث عن مظاهر الجور والظلم في المجتمع واجتثاثها. ومصدر كلمة الراديكالية، Radis، وتعني الجذر أو الأصل. فالراديكاليون يبحثون عما يعتبرونه جذور الأخطاء الاقتصادية والسياسية والاجتماعية في المجتمع ويطالبون بالتغييرات الفورية لإزالتها.

البعض بظهور أنماط جديدة من الأشكال الإعلامية، إن النقد الموجه للإعلام الجديد يتمحور حول ضرورة تحديد المجالات التي يتحرك فيها هذا الصنف من الإعلام، فإمكانية الوصول إلى نموذج نظري للإعلام الجديد والراديكالي لا يتم عن طريق ما هو موجه من نقد للإعلام السائد بل انطلاقاً من مخرجات وتجارب وسائل الإعلام التي تطرح نفسها كبديل عن الإعلام الرسمي التقليدي. ويذهب بعض النقاد إلى الدعوة لدراسة الإعلام الجديد ليس انطلاقاً مما يجب أن يكون عليه بل عن طريق ما هو عليه، وهو ما سيمكننا من الحكم عليه انطلاقاً من مقدرته على عرض بدائل في مواجهة الإمبراطورية الإعلامية السائدة"[52](2).

كما أن حصر الإعلام البديل في الرؤية القائلة بأنه عبارة عن حركة مضادة للثقافة الجماهيرية السائدة إجراء نظري قاصر، فالإعلام الجديد منتج أيضاً لثقافة اتصالية بديلة، وعادة ما يكون في تعارض مع ما هو سائد. ويقع بين مفترق مناهج نظرية متداخلة، فهو يعاني من طابعه المهمش خارج السياق الاجتماعي وخصوصيته في كونه بديلاً عن النظام الإعلامي القائم. ولهذا ركزت بعض المداخل على خدمة المجتمع، وتعدّ مواقع التواصل الاجتماعي أو إعلام المواطن وغيرها من التسميات جزءاً من المجتمع المدني. وطرح فكرة مجتمعات الممارسة ذات الصلة بوجود ممارسة مشتركة، ومجتمع الممارسة هو مشروع مشترك يوجد تفاعل متبادل بين الأفراد العاملين فيه، وله مجموعة من الموارد المشتركة"[54](1).

ويعبر وينجر وزملاؤه عن هذه الفكرة كالتالي: مجتمعات الممارسة عبارة عن جماعات من البشر يشتركون في غاية واحدة ومجموعة من المشكلات، ويقومون بتعميق معرفتهم وخبراتهم في هذه الناحية عن طريق التفاعل بصورة مستمرة». ولقد أظهر تحليل تأثير تكنولوجيات الاتصال على الحياة اليومية أن المجتمعات المحلية لا تتشكل فقط في المساحات الجغرافية المحددة بل أيضاً في الفضاء الإلكتروني، وتسمى «المجتمعات الافتراضية»[55](2).

---

[53] (1) أولجا جوديس بيلي، بيلي كاميرتس، نيكوكاربنتيير، «فهم الإعلام البديل»، ترجمة: علا أحمد إصلاح، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٩م، ص٢٤.

[54] (2) المصدر السابق نفسه، ص٣١.

[55] (1) المصدر السابق نفسه، ص٣٩ ص٢٧.

ويمكن أن تعمل مواقع التواصل الاجتماعي على تفعيل الطاقات المتوافرة لدى الإنسان، ويوجهها للبناء والإبداع في إطار «تطوير القديم وإحلال الجديد من قيم وسلوك، وزيادة مجالات المعرفة للجمهور، وازدياد قدرتهم على التقمص الوجداني وتقبلهم للتغيير، وبهذا فإن الاتصال له دور مهم، ليس في بث معلومات، بل تقديم شكل الواقع، واستيعاب السياق الاجتماعي والسياسي الذي توضع فيه الأحداث[٥٦(٢)].

وقد ارتكزت البحوث العلمية حول وسائل الاتصال الحديثة على نموذجين تفسيريين؛ الأول: ويتمثل في الحتمية التكنولوجية، وينطلق من قناعة بأن قوة التكنولوجيا هي وحدها المالكة لقوة التغيير في الواقع الاجتماعي، والنظرة التفاؤلية للتكنولوجيا تهلل لهذا التغيير، وتراه رمزًا لتقدم البشرية، وعاملاً لتجاوز إخفاقها في مجال الاتصال الديمقراطي والشامل الذي تتقاسمه البشرية. والنظرة التشاؤمية التي ترى التكنولوجيا وسيلة للهيمنة على الشعوب المستضعفة، والسيطرة على الفرد، فتقتحم حياته الشخصية وتفكك علاقاته الاجتماعية[٥٧(١)].

أما النموذج الثاني، ويتمثل في الحتمية الاجتماعية التي ترى أن البنى الاجتماعية هي التي تتحكم في محتويات التكنولوجيا وأشكالها، أي أن القوى الاجتماعية المالكة لوسائل الإعلام هي التي تحدد محتواها. وأن البحوث النوعية التي تتعمق في دراسة الاستخدام الاجتماعي لتكنولوجية الاتصال لا تنطلق من النموذجين، لأنها لا تؤمن بأن ما هو تقني ويتمتع بديناميكية قوية يوجد في حالته النهائية، كما أن البنى الاجتماعية ليست منتهية البناء. ولعل هذه الحقيقة تنطبق أكثر على المجتمعات العربية التي تعرف حركية اجتماعية متواصلة لم تفضِ إلى صقل اجتماعي تتمايز فيه البنى الاجتماعية والسياسية، فالقوى الاجتماعية المتدافعة في المنطقة العربية ما زالت قيد الصياغة والتشكُّل. كما أن المنطلقات الفلسفية للبحوث الكمية لا تسمح بالاعتقاد بوجود خط فاصل بين ما هو تقني وما هو اجتماعي؛ لأنهما يتفاعلان باستمرار في الحياة اليومية بمعنى أن البعد الفكري للمنهج النوعي يسمح بالملاحظة الدقيقة لكيفية ولوج ما هو تقني في الحياة الاجتماعية، ولا يعطي الفرصة للأشخاص الذين يتعاملون مع وسائل

---

٥٦ (٢) المصدر السابق بنفسه، ص٣١.

٥٧ (٣) د. مي العبد الله، ((الاتصال والديمقراطية))، بيروت، دار النهضة العربية، ٢٠٠٥م، ص٢١.

الاتصال الحديثة بتشخيص ما هو تقني أو اجتماعي فقط، بل يسمح بإبراز تمثلهم لما هو تقني، والذي على أساسه يتضح استخدامهم له.

وقد أدى النمو الهائل في استخدام الإنترنت إلى جعل الباحثين في مجال الاستخدامات والإشباعات يزيدون من اهتماماتهم والتحول من كيف يستخدم الأفراد الإنترنت إلى دراسة الأسباب والدوافع التي تدفعهم لاستخدام هذا الوسيط. وقد أكد Rosengren & Windahl، أن نموذج الاستخدامات والإشباعات يركز على الفرد المستخدم لوسائل الاتصال ويبني سلوكه الاتصالي على أهدافه بشكل مباشر، فضلاً عن أنه يختار من بين البدائل الوظيفية ما يستخدمه لكي يشبع احتياجاته. ولتحديد استخدامات الوسائل التكنولوجية الحديثة، فإن كثيراً من الدراسات السابقة تحققت من الافتراض بوجود ارتباط بين الدوافع الشخصية والدوافع المتعلقة بالوسيلة، ولتحديد دوافع الاستخدام. وأن الناس يستخدمون الكمبيوتر لإشباع ما يلي[58(1)]:

١- الحاجات الشخصية على سبيل المثال السيطرة، الاسترخاء، السعادة والهروب.

٢- الحاجات التي يمكن إشباعها تقليدياً من الوسيلة مثل التفاعل الاجتماعي وتمضية الوقت والعادة واكتساب المعلومات والتسلية.

ويعدّ المدخل مدخلاً اتصالياً سيكولوجياً، فقد افترض وجود جمهور نشط له دوافع شخصية ونفسية واجتماعية، تدفعه لاستخدام الإنترنت كوسيلة تتنافس مع غيرها من الوسائل لإشباع احتياجاته، وتطبيقاً على ذلك فإن فئات جمهور مستخدمي الإنترنت أكثر نشاط ومشاركة في العملية الاتصالية بتأثير التفاعلية التي يتميز بها الاتصال الرقمي، وبالتالي فإننا نتوقع أن يتخذ الفرد قراره في الاستخدام عن وعي كامل بحاجاته التي يريد إشباعها، ويتمثل

[58 (1)] د. نصر الدين لعياضي، «الرهانات الأبستمولوجية والفلسفية للمنهج الكيفي/ نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧-٩ أبريل ٢٠٠٩م، ص١٨.

الاستخدام في اتجاهين: الاتصال بالآخرين عن طريق الوسائل المتاحة على الإنترنت، سواء كان المستخدم مرسلاً أو مستقبلاً وتصفح المواقع المختلفة لتلبية الحاجات.

وتطبيقًا على مدخل الاستخدامات والإشباعات تتضح الدوافع التالية لاستخدام الإنترنت:

١. كبديل عن الاتصال الشخصي.

٢. الإدراك الذاتي عن الجماعات المختلفة من الناس.

٣. تعلم السلوكيات المناسبة.

٤. كبديل أقل تكلفة عن الوسائل الأخرى.

٥. المساندة المتبادلة مع الآخرين.

٦. التعلم الذاتي.

٧. التسلية والأمان والصحبة.

ويحصر مدخل نيغروبونتي Negroponte الميزات التي يتحلى بها الإعلام الجديد في: «استبداله الوحدات المادية بالرقمية، وتشبيك عدد غير محدود من الأجهزة مع بعضها البعض، ويلبي الاهتمامات الفرديةIndividual Interests والاهتمامات العامة، أي أن الرقمية تحمل قدرة المخاطبة المزدوجة للاهتمامات والرغبات وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالإعلام القديم. والميزة الأكثر أهمية هي أن هذا الإعلام خرج من أسر السلطة التي كانت تتمثل في قادة المجتمع والدولة إلى أيدي الناس جميعًا»[٥٩][١].

---

[٥٩][١] د. عزة مصطفى الكحكي، «استخدام الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧–٩ أبريل ٢٠٠٩م، من ص٢٦٩ إلى ص٢٧٢.
نقلاً عن: Rosengren ,k,E & ,Windahl ,S " ,(١٩٧٢) .Mass Media Consumtions as a Functional Alternative ," In McQueil) Ed (Sociology of Mass Communications .UK .Penguin ,pp١٦٥ – ١٣٥ .

ويشترك فين كروسبي مع نيغروبونتي في الأفكار نفسها، ويعقد مقارنة بين الإعلام الجديد والقديم عن طريق النماذج الكلاسيكية، ابتداء من أول نموذج اتصالي بين البشر الاتصال الشخصي، وله حالتان تميزانه[٦٠(٢)]:

النموذج الأول، الاتصال الشخصي:

١. يملك كل فرد من طرفي الاتصال درجة من درجات السيطرة المتساوية على المحتوى المتبادل بين الطرفين.

٢. يحمل المحتوى ترميزًا يؤكد حالة الفردية التي تحقق احتياجات ومصالح صاحب المحتوى.

٣. التحكم المتساوي وميزة الفردية ينخفضان في حالة ازدياد عدد المشاركين في العملية الاتصالية مما جعل خبراء الاتصال يطلقون عليه الاتصال من نقطة إلى أخرى أو من فرد لآخر One-to-one.

النموذج الثاني: الإعلام الجديد ويتميز حسب كروسبي بما يأتي[٦١(١)]:

١. يمكن للرسائل الفردية أن تصل في وقت واحد إلى عدد غير محدود من البشر.

٢. أن كل واحد من هؤلاء البشر له درجة السيطرة نفسها ودرجة الإسهام المتبادل نفسها.

وتصف نظرية ثراء وسائل الإعلام Media Richness Theory لدراسة معايير الاختيار بين الوسائل الإعلامية التكنولوجية وفقًا لدرجة ثرائها المعلوماتي، وتوضح أن فعالية الاتصال يعتمد على القدر الذي تستخدم به الوسيلة، وتركز بشكل أكبر على الأشكال التفاعلية للاتصال في اتجاهين بين القائم بالاتصال والجمهور المستقبل للرسالة،

[٦٠(١)] د. عباس مصطفى صادق، «الإعلام الجديد: دراسة في مداخلة النظرية وخصائصه العامة»، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، ٢٠١١م، ص٩.

نقلًا عن: Nicholas Negroponte, Being Digital. Publisher Vintage, USA. 1996. P37.

[٦١(٢)] المصدر السابق نفسه، ص١٠.

نقلاً عن: Vin Crosbie, 1998 What is New Media ؟

وطبقًا للنظرية فإن الوسائل الإعلامية التي توفر رجع صدى تكون أكثر ثراء، فكلما قل الغموض كلما كان الاتصال الفعال أكثر حدوثًا، فثراء المعلومات يقوم بتخفيض درجة الغموض وإيجاد مساحة من المعاني المشتركة باستخدام وسيلة اتصالية معينة. وتفترض هذه النظرية فرضين أساسين هما[62](٣):

الفرض الأول: أن الوسائل التكنولوجية تمتلك قدرًا كبيرًا من المعلومات، فضلاً عن تنوع المضمون المقدم من خلالها وبالتالي تستطيع هذه الوسائل التغلب على الغموض والشك الذي ينتاب الكثير من الأفراد عند التعرض لها.

الفرض الثاني: هناك أربعة معايير أساس لترتيب ثراء الوسيلة مرتبة من الأعلى إلى الأقل من حيث درجة الثراء وهي سرعة رد الفعل، قدرتها على نقل الإشارات المختلفة باستخدام تقنيات تكنولوجية حديثة مثل: الوسائط المتعددة، والتركيز الشخصي على الوسيلة، واستخدام اللغة الطبيعية.

وبرزت نظرية التسويق الاجتماعي بين نظريات الاتصال المعاصرة لتجمع بين نتائج بحوث الإقناع وانتشار المعلومات، في إطار حركة النظم الاجتماعية والاتجاهات النفسية. بما يسمح بانسياب المعلومات وتأثيرها عن طريق وسائل الاتصال الحديثة ومنها «مواقع التواصل الاجتماعي»، وتنظيم استراتيجيات عن طريق هذه النظم المعقدة لاستغلال قوة وسائل وأساليب الاتصال الحديثة لنشر طروحات وأيديولوجيات يراد نشرها في المجتمع.

62 ''Vin Crosbie, 1998 What is New Media?
http://www.digitaldeliverance.com/philosophy/definition/definition.html
Accessed July, 2006

مواقع التواصل الاجتماعي
المكان الافتراضي والزمن الميدياتيكي

أصبحت تتشكل بفضل شبكة الإنترنت فضاءات تواصلية عدة هي بمثابة أمكنة افتراضية نتحدث عبر غرف الحوار والدردشة، بدون حدود وبدون تاريخ، ونتعامل مع هذه الفضاءات بعدّها أمكنة ذات شحنة ثقافية يكون الحوار والتواصل أساسها. ويعدّ المكان الافتراضي مصطلحًا حديث التداول الفكري، «ويقصد به كل ما له صلة بالفضاء التخيلي، بشقه المادي والمتمثل في إبداع سبل جديدة في هندسة تكنولوجيات الافتراضي وبشقه الاعتباري، يضم أنشطة عالمنا الواقعي المعتاد، أو في إمكانه أن يضمها جميعها ويضم أشياء جديدة أخرى.

ومن بين مزايا المكان الافتراضي هو نهاية فوبيا المكان، إن الخوف من المكان دليل على تملكنا لمكان آخر، وعندما ندخل في منظومة المكان الافتراضي نصبح لا نخشى شيئًا بحكم عدم مقدرتنا على تملك الافتراضي باعتباره فضاء، لذلك وصفت شبكة الإنترنت كفضاء افتراضي بأكثر الأمكنة تحررية، وعدم مقدرة أي طرف امتلاكها»[٦٣][(١)].

ومن الخصائص البارزة للإنترنت تتجلّى في قيام نظام الإنترنت على معادلة زمنيّة تجمع في الوقت ذاته السّرعة اللّحظيّة، وسرعة الطّواف، وهذا ما عنه البعض بالزّمن العالمي الذي هو بمثابة الزمن العابر «للحدود بين القارات والمجتمعات واللّغات عبر طرقات الإعلام المتعدّد، التي تنقل الصّور والرّسائل بالسّرعة القصوى من أيّ نقطة في الأرض إلى أيّ نقطة أخرى، ويقابل هذا الزمن ما أسماه الدكتور عبد الله الحيدري بـ «الزّمن الميدياتيكي»، وصورة ذلك هو أنّ حياة الفرد اليوم ظلّت متصلة اتصالاً لا فكاك منه بوسائل الإعلام والاتصال الإلكترونيّة إلى حدّ تفكّك الرّوابط الحميميّة الأسريّة والاجتماعيّة الأخرى.

---

[٦٣][(١)] أولجا جوديس بيلي، وآخرون، «فهم الإعلام البديل»، مصدر سبق ذكره، ص٧١.

فالزمن الميدياتيكي هو الزمن الذي نحققه في صلاتنا المستمرّة مع وسائل الاتصال بوصفنا أفرادًا اجتماعيين، ولا يعدو أن يكون زمنًا وسائطيًا لاعتمادنا في الإنتاج والتفكير والتواصل والتفاعل، على تقنيات الإعلام والاتصال، ويحتضن ميول الأفراد واتجاهاتهم بوصفهم متابعين، مستهلكين ومنتجين للصّناعات الإعلاميّة المتدفّقة بأقدار لم يشهدها تاريخ صناعة المضامين، كلّ مجتمع ينتج تمثّله للزمن عن طريق الأنشطة التي يقوم بها، في المقابل كل مجتمع تقوده منظومة القيم الميدياتيكيّة إلى بناء تمثّله للزّمن"[64][1].

ويتسم المجتمع الافتراضي بمجموعة من السمات الآتية[65][2]:

١. المرونة وانهيار فكرة الجماعة المرجعيّة بمعناها التقليدي، فالمجتمع الافتراضي لا يتحدّد بالجغرافيا بل الاهتمامات المشتركة التي تجمع معًا أشخاصًا لم يعرف كل منهم الآخر بالضرورة قبل الالتقاء إليكترونيًا.

٢. لم تعد تلعب حدود الجغرافيا دورًا في تشكيل المجتمعات الافتراضيّة، فهي مجتمعات لا تنام، يستطيع المرء أن يجد من يتواصل معه في المجتمعات الافتراضيّة على مدار الساعة.

٣. ومن سماتها وتوابعها أنّها تنتهي إلى عزلة، على ما تعد به من انفتاح على العالم وتواصل مع الآخرين. هذه المفارقة يلخّصها عنوان كتاب لشيري تيركل «نحن معًا، لكنّنا وحيدان: لماذا أصبحنا ننتظر من التكنولوجيا أكثر مما ينتظر بعضنا من بعض؟»[66][3]. فقد أغنت الرسائل النصيّة القصيرة، وما يكتبون ويتبادلون على الفيسبوك والبلاك بيري عن الزيارات. من هنا لم تعد صورة الأسرة التي تعيش في بيت واحد بينما ينهمك كلّ فرد من أفرادها في عالمه الافتراضي الخاص، لم تعد مجرّد رسم كاريكاتيري، بل حقيقة مقلقة تحتاج مزيدًا من الانتباه والاهتمام.

---

[64][1] د. جمال الزرن، «هندسة المكان الافتراضي منتجة لخطاب ثقافي»، مدونة مقعد وراء التلفزيون: الإعلام والاتصال والمجتمع. http://www.jamelzran.jeeran.com

[65][1] د.عبد الله الزين الحيدري، ((ما المقصود بالزمن الميدياتيكي؟))، مدونة أجيال.

[66][2] د. بهاء الدين محمد مزيد، «المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية/ كتاب الوجوه نموذجًا»، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.

٤. لا تقوم المجتمعات الافتراضيّة على الجبر أو الإلزام بل تقوم في مجملها على الاختيار.

٥. في المجتمعات الافتراضيّة وسائل تنظيم وتحكّم وقواعد لضمان الخصوصيّة والسريّة، قد يكون مفروضًا من قبل القائمين، وقد يمارس الأفراد أنفسهم في تلك المجتمعات الحجب أو التبليغ عن المداخلات والمواد غير اللائقة أو غير المقبولة"[٦٧].

٦. إنّها فضاءات رحبة مفتوحة للتمرّد والثورة – بداية من التمرّد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسيّة.

٧. تتسم المجتمعات الافتراضية بدرجة عالية من اللامركزية وتنتهي بالتدريج إلى تفكيك مفهوم الهويّة التقليدي. ولا يقتصر تفكيك الهويّة على الهويّة الوطنيّة أو القومية بل يتجاوزها إلى الهويّة الشخصية، لأن من يرتادونها في أحيان كثيرة بأسماء مستعارة ووجوه ليست وجوههم، وبعضهم له أكثر من حساب[٦٨](١).

جدلية قيم حتمية تقنية الاتصال والمجتمع:

يكمن النظر للتغير الاجتماعي برؤية «حتمية» التحول في ثلاثة مسارات. **أولهما**: ما يعرف «بالحتمية التقنية» *Technological Determinism*. وثانيهما: ما يعرف "بالحتمية الاجتماعية" *Social Determinism*، وإن لكلا المسارين وجهات نظر تدعم تفسيره، إلا أن التفسير الذي قدمه بعض المفكرين في اختلاف معدل التغير في كل من الثقافة المادية واللا مادية نتيجة التأثير التقني في المجتمعات يعدّ الأساس في التحليل الاجتماعي لتقنية

---

[٦٧] (٢) أولجا جوديس بيلي، وآخرون، «فهم الإعلام البديل»، مصدر سبق ذكره، ص٥٦.
Sherry Turkle, " Together: Why We Expect More from Technologies than from Each Other Alone", New York: Basic Books, 2011.

[٦٨] وقد تابعنا تدخّلات الحكومات العربية، بتعليق حسابات بعض من وجدت فيهم خطرًا على استقرارها السياسي والاجتماعي مع اندلاع الثورات في عدد من البلاد العربيّة. في حالات أخرى تلجأ بعض الحكومات إلى تعطيل قنوات الاتصال جملة وتفصيلاً لضمان عدم التنسيق بين أفراد الجماعات التي تهدّد أمن البلاد من وجهة نظر تلك الحكومات.

الاتصال"، مع احتمال "حدوث تصادم بين التغير التقني والتغير الثقافي"، ويترتب عليه خلل وظيفي مما يؤثر في تفكير أفراد المجتمع، وتوتر القيم والإيديولوجيات السائدة[69](2).

وتبرز الحتمية الاجتماعية في مقابل الحتمية التقنية على أساس أنّ القوى الاجتماعية بأنواعها تمتلك زمام تطور التكنولوجيا، وتؤثر في تطويرها وتوجيهها. واشتهر في هذا الاتجاه الأمريكي (لزلي وايت). وقدم وايت الطرح التالي: "إن النسيج الاجتماعي هو الثقافة المتقدمة بخطى التكنولوجيا، وتبنى المجتمعات البشرية ثقافيًا بواسطة المادية التكنولوجية، وتبنى اجتماعيًا بفعل التطور الاجتماعي، بمعنى جدلية الاجتماع/ التقنية".

"وتعدّ وسائل الاتصال عنصرًا أساسيًا في المجتمع، لكن النظر إليها على أنها أساس عملية التغير الاجتماعي ينقلها إلى دائرة "الحتمية"، وهذا ما رفضه علم الاجتماع المعاصر. وتؤدي الثقافة اللا مادية، كالإيديولوجيات السياسية والاجتماعية إلى تغير واسع في حياة المجتمع، أكثر من تأثير الثقافة المادية في بعدها التكنولوجي، ولكن يصعب قياس هذه التغيرات "التغير المادي واللامادي"، مما أدى إلى إطلاق النظرة النسبية".

ثم ظهر مفهوم الحتمية المعلوماتية في بداية الألفية الثالثة، إذ "لم يعد يقاس مدى تقدم الدول على أساس نتاجها القومي، بل إجمالي نتاجها المعلوماتي القومي". وأهم المفكرين في هذا هو (سكوت لاش) عالم الاجتماع، إذ اهتم بالتغير المعاصر في عصر ما بعد الحداثة، ونبه إلى تناقض عصر ما بعد الحداثة؛ لأنه يفرض على الإنسان صعوبة العيش فيه دون أدواته الاتصالية التي تربطه بالمجتمع. فمثلاً لا نستطيع العمل من دون هاتف نقال، أو الحاسوب، ....، أي أشكال تقنية للحياة الاجتماعية. ويؤكد (سكوت لاش) أنه تصبح لأشكال الحياة خصائص جديدة عن طريق العمل بالتكنولوجيا، وأهم هذه الخصائص: هي أن "تتسطح أشكال الحياة، ويتفاعل كل شيء عن طريق وسائل الاتصال"[70](1).

---

[69] (1) د. بهاء الدين محمد مزيد، «مصدر سبق ذكره».

[70] (2) د.علي محمد رحومة، ((الإنترنت والمنظومة التكنو-اجتماعية))، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م، ص٧٥ .

ولا يمكن القول: إن عوامل التغير يمكن تعليلها بعامل وحيد، إذ يبين الواقع تساند عوامل عدة: "اقتصادية، وتعليمية، وأيدي عاملة، وجغرافية، وتكنولوجية، وقادة مخلصون، وإعلام مسئول، وإيديولوجيا موجهة"، تتفاعل هذه العوامل لإحداث التغير. لذلك يصعب تحديد العامل الفاصل في التغير بشكل ديناميكي عبر الزمن، ولكن نستطيع القول: إن الثقافة فقدت السيطرة على المجال التقني، وتحولت إلى أداة تطوع ما تفرضه هذه التكنولوجيا من متطلبات. ويبرز ذلك في تقليد "الحتمية التقنية" ثم لاحقًا في "الحتمية الإعلامية"".

مقاربة مواقع التواصل الاجتماعي بالإعلام البديل:

يُعدّ التحوّل عبر التطوّر التكنولوجي هو جوهر الإعلام، وما يبدو اليوم جديدًا يصبح قديمًا بظهور تقنية جديدة، ألم يكن الإعلام جديدًا مع ظهور الطباعة، والصحافة، والإذاعة، والتلفزيون كلّ ذلك لأن طبيعة التحوّل التي تقود إليها التقنية، في بُعدها العلمي والإيديولوجي، تقتضي النظر في أمر ما يسمّيه (ماكلوهان) بـ «الحتميّة التكنولوجيّة». إذن مفهوم الإعلام الجديد هو في واقع الأمر يمثل مرحلة انتقالية من ناحية الوسائل"[7][(2)].

ويبدو للباحثة مفهوم الإعلام البديل من الأفضل اعتماده Alternative Media إذ يستقي دلالته من جمهوريته، فالجمهور اتخذوا مواقع التواصل الاجتماعي بديلاً عن الوسائل الإعلامية التقليدية: ويقصد بها الموقع الذي يمارس فيه النقد، وتولد أفكارًا وطرقًا جديدة للتنظيم والتعاون والتدريب بين أفراد المجتمع. وربما الأكثر أهمية يشير إلى أن البديل يتناول الموضوعات الحساسة في الآليات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتوترات بين السيطرة والحرية، وبين العمل والبطالة، وبين المعارضة والحكومة، ومن ثم يتضاءل البديل إلى أن يصبح نمطًا للاتصال الجماهيري. وينحدر الإعلام البديل من مرجعية عفوية وغير منظمة تأخذ من مبدأ حرية التعبير والاستقلال عن كل الالتزامات الأيديولوجية أو الاقتصادية القائمة دون أية قيود وهو ما يشير إلى أن الإعلام البديل

---

[٧١][(1)] د.علي محمد رحومة، «مصدر سبق ذكره»، ص٨٦. د. عبد الغني عماد، «مصدر سبق ذكره»، ص٢٠٦.

هو حصيلة مواقف فكرية تعمل بالاعتماد على قاعدة التشكل الذاتي. وبعيداً عن النظرة القيمية، يجب أن نتعامل مع هذه الظاهرة الاتصالية والاعتراف بها بحثياً وتأطيرها ضمن تحولات المثل الجماعية التي تشقها العديد من الإفرازات وهي منتجة لسلطات رمزية خصوصية[٧٢(١)].

أما عند «جمعية النشر البديل» الأمريكية، فإنها تشير إلى معايير ثلاثة يمكن عن طريقها تمييز ما هو بديل عن ما هو سائد ومهيمن من الإعلام[٧٣(٢)]:

١- يجب أن لا يكون المنشور ذا صبغة تجارية.

٢- يجب أن يتجه إلى تقديم عنصر المسئولية الاجتماعية أي خدمة الصالح العام.

٣- على الناشر أن يقدم نفسه باعتباره ناشراً يعبر عن تيار الإعلام البديل.

عن طريق هذه المعايير في توصيف ما هو إعلام بديل نستشعر أن دعاة هذا التوجه يسعون أكثر لكسب رأسمال رمزي أكثر من انخراطهم في تحقيق رأسمال مادي. يمكن عن طريق ما تبين استدراك أن الإعلام البديل يقدم نفسه بشكل مثالي ويتسم بالنقاوة الفكرية والأيديولوجية. وهكذا يمكننا اعتبار أن الإعلام البديل كان وراءه المواطن العادي أو المواطن الذي يحمل بديلاً راديكالياً وثورياً كما هو الحال مع المدونات عبارة عن إعلام مضاد للمشهد الإعلامي السائد.

ويسعى الإعلام البديل للتوصل إلى حلول سياسية تسمح للشعوب بالتأكيد على تفردها الثقافي. وعلى الرغم من تنوع الآراء في استكشاف قدرته، فإن ما يطلق عليه (ليدبيتر): «التفاؤل المقاتل» مطلوب، لأن الإبداع يشيع الأمل، ويقوم على التنوع والانفتاح، والاستقلال، والتقدم التراكمي لا الثوري، وليس أمامنا إلا الأمل في أن المجتمع لم يكتمل

[٧٢(٢)] د. عبد الله زين الحيدري، «الإعلام الجديد: النظام والفوضى، وقائع المؤتمر، مصدر سبق ذكره، ص١٢٨.

[٧٣(١)] د. جون هارتلي، «مصدر سبق ذكره»، ص٧٢ص٧٣.

بعد، وأنه ما زال يتطور ويتغير للأفضل. ومن هنا فإن مضمون الإعلام البديل هو تجريب «سياسات الأمل»[٧٤][١].

ويمكن أن تزدهر فيه مبادرات المجتمع المدني، فتعددية الفاعلين وحدها هي التي يمكن أن تختار تنمية ثقافية ديمقراطية وتقديم هويات عدة، وأفكار جديدة عن التقدم والتنمية في فضائيات لم تكن تتلاءم يومًا معها، ويمكن أن يكون نتاجًا للمقاومة والثقافة المحلية.

وتقول (ماكروبي): «إن الإعلام البديل سياسة ترغب في تحويل نقاد اجتماعيين وسياسيين غاضبين إلى ناجحين»[٧٥][٢].

ويمكن تحديد الإعلام البديل «الاجتماعي» كنسق فكري وعملي يبحث عن الرقي بالمجتمع كفاعل أو كموضوع للاتّصال. ويبدو أنّ الإعلام البديل -وبشكل ملموس- هو الفرصة للمجتمع المدني ليقدّم مكوناته المختلفة، ليتعرف بعضهم على بعض وليتحاوروا فيما بينهم، وهو الإمكانية المفتوحة لكلّ مواطن للدخول بحرية وبفعالية للاتّصال مع مواطن آخر أو مجموعة أخرى في جوّ من التسامح والاحترام المتبادل[١].

ويمكن أن تؤول هذه الآلية للإعلام البديل الفعلي إلى مستويات عدّة[٧٦][٢]:

١. البحث عن التفاعلية الحقيقية، «مشاركة الجمهور في فعل الاتّصال».

٢. نظرة مختلفة أو بديلة للحياة السياسية والثقافية والاجتماعية.

٣. أنماط معالجة إعلامية تخرج عن الأمور المطروقة.

---

[٧٤][٢] المصدر السابق نفسه، ص٧٦.

75 [1]Leadbeater, C. (2002) Up the Down Escalator: why the Global Pessimists Are Wrong. Viking, London. نقلا عن: المصدر السابق نفسه، ص٥٢ص٥٤.

76 [1]Mc Robbie, A. (2001) "Everyone is Creative": Artists as New Economy Pioneers? Open Democracy, (accessed August 30, 2001).

. نقلا عن: المصدر السابق نفسه، ص70 ص72

٤. يُعدّ متلقي الرسالة شريكًا جديرًا بالاستقلالية، وليس متلقيًا سلبيًا.

٥. لكلّ محاور الخيار بأن يجيب بطريقة لا تكون معدّة سلفًا من قبل المرسل.

ويبدو أن للإعلام البديل مهمة تتمثل في وضع الأفراد المهمّشين والمجموعات في علاقة اتصال في ما بينهم. وأيضًا رهانًا استراتيجيًا، فهو لا ينفصل عن التنشيط الاجتماعي، إذ إنه في احترام الحرية الشخصية لِكُلّ فرد، فهو لذلك يستهدف تفعيل تجارب الحوار ما بين الثقافات والإثنيات التي تتعايش وهي تتصادم وتتجاهل بعضها البعض.

وعلى الرغم من ذلك يفتقر الإعلام إلى الوضوح؛ بالنسبة إلى مجاله ومداه، ليس هناك اتفاق على حدود مقبولة، وكما يؤكد إمبرتو إيكو: «في كل قرن تعكس الطريقة التي تقوم عليها الأشكال الإعلامية الطريقة التي يرى بها العلم والثقافة المعاصرة الواقع». وقد يعني هذا أن أشكال الإعلام الجديد تعكس علم الشك، والنسبية، والفوضى «الأوصاف المشتركة للثقافة المعاصرة»[٣٧(٣)].

ويحاول «الإعلام البديل» التركيز على حرية الرأي والتعبير ولكن كفاعل منتصر لا كفاعل منهزم؛ أي كفاعل إيجابي انفلتت أفكاره ومواقفه من سلطة الرقابة عبر هامش الحرية التي يخلقها هذا الفاعل أو عن طريق مقولة «مجال اللايقين»[٣٨(٤)].

ويقود الإعلام البديل ظاهرة إبراز الحقائق، وتتشكل الأجندة الإعلامية عن طريق الأحداث البارزة التي تفرض نفسها؛ ولهذا يتوجب من المجتمع المدني بذل جهود كبيرة ليكون جزءًا من الأحداث، فيغري الإعلام ويخيف الحكام، وإعادة الأمور إلى نصابها ليست مستحيلة، وعندما نتحدّث عن الإنترنت وعن الثورة الاتصاليّة وعن كيفيّة استثمارها وتوظيفها من قبل مكوّنات المجتمع، فإنّنا نتحدّث بالضرورة عن الصحف الإلكترونيّة والمدونات ومواقع الفيس بوك وتويتر واليوتيوب وغيرها من التطبيقات، والتي لم تعد

[٣٧(١)] د.نهوند القادري، «قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م، ص٢٢١.

[٣٨(٢)] المصدر السابق نفسه، ص٢٢٢ص٢٢٣.

تنتظر الحصول على التأشيرة الحكوميّة ولم تعد القيود القانونيّة عائقًا أمام تحرّكاتها، بل أصبحت تشكّل أهم مجال لتجاوز الخطوط الحمراء. ونظرًا لنجاحها وقدرتها على التعبير عن مطالب وتطلّعات الفئات المهمّشة تشهد مواقع التواصل الاجتماعي تزايدًا في عددها وعدد مستعمليها، وأسهمت في الآونة الأخيرة في جذب الأنظار لعدد من القضايا أثارت الرأي العام وأرغمت حكومات كثيرة في اتخاذ قرارات ضد رغبتها.

وتم إزالة الحدود والصراعات السياسية الكثيرة على يد الإعلام البديل، وأهم إنجاز في الإعلام البديل هو الاهتمام بحق التعبير مما أدى إلى استثارة غضب الكثير من الحكومات العربية، وأصبحت تضع في حساباتها هذه الوسيلة. فتداول الأحداث ذات التوجه السياسي أرغم بعض الحكومات على اتخاذ قرارات أو التراجع عن قرارات بسبب الاحتجاج الجماهيري. ويوجد أصناف لمستعملي، «المتلقين أو الجمهور»، الإعلام البديل[٣٩](١):

الصنف الأوّل: وتمثله الطبقات الشعبيّة المهمّشة والذين يستعملون في العادة الإشاعات والنكت الشعبية والسياسيّة كإعلام بديل لها، ولما يوفره لهم من حصانة وعدم المساءلة القانونيّة؛ لأنّ عمليّة تناقل النكت والإشاعات لا تتضمّن اسم منتجيها، فضلاً عن إمكانية تحويرها من متقبّل إلى آخر، ونصبح لا نميّز بين الراوي والمنتج.

الصنف الثاني: وتمثله فئة النخب سواء أكانت منتمية للأحزاب السياسيّة أم لمنظمات المجتمع المدني أو كانت مجرّد شخصيات مستقلّة. ونظرًا لامتلاكها المستوى التعليمي والموقع الاجتماعي المتميّز فإنّ إعلامها البديل يكون عادة أكثر تطوّرًا وأكثر انسجامًا مع مستحدثات المجتمع الذي يعيشون فيه، لا سيما وأنهم يشكّلون الركيزة الأساس للمجتمع المدني.

الصنف الثالث: يتمثل في فئة النخب الشبابيّة المهمّشة؛ أي أصحاب الشهادات وخريجي الجامعات. وعرفت شكلين من التهميش؛ تهميش السلطة لها والمجتمع المدني، وذلك لحرمانها من المواقع الاجتماعيّة المرموقة سواء داخل المجتمع أو داخل المجتمع المدني.

---

[٣٩](١) د.جون هارتلي،((مصدر سبق ذكره))، ص١٤ص٢١٦.

وأصبح الحديث عن قضايا الشأن العام لا يستقيم دون تفكيك آليات تشكل المجال الإعلامي، فالتعرض لمشاكل الناس محليًّا ودوليًا هو كلام عن كيف نحاور الأنا والآخر، ولكل شخص الحق في تأسيس إعلامه. وإن تحولات الإعلام العربي متعددة الأوجه ولا سيّما الثقافية والسياسية وعلى أمل أن تتحول تدريجيًّا إلى هاجس فكري ذي صلة بقضايا تحديث المجتمع وليس فقط الوقوف عند دائرة التوظيف الحيني. إذ أصبح السياسي يفرد أهمية في إدارته للشأن العام لقيمة الإعلام، وكذلك عند فئات مجتمعية أخرى، ويعدّ هذا عنصرًا حيويًّا يجعلنا ندخل في حلقة جديدة اسمها تواصل الأفكار بين الناس وصاحب القرار، وذلك بغض النظر عن وجاهة أو ضعف تلك الآراء. إن تحويل قضايا الشأن العام إلى هم يومي على واجهة وسائل الاتصال مرحلة مهمة لأي إمكانية للتغيير. ويؤدي عرض الأفكار حتمًا للتعدد، والتعدد هو طريق التواصل والحوار بين الناس. وأصبحت شيئًا فشيئًا توجد رغبة ربما تبدو محتشمة لإعلان قضايا خلافية في المجتمع للعموم، وهو مدخل الديمقراطية والجدل الاجتماعي الذي يمكن عن طريقه القيام بالإصلاح والمصالحة بين النظام السياسي ورعاياه من زاوية تواصلية إعلامية، وأننا اليوم وإذا ما أردنا أن نفهم علينا أن لا نكون متفرجين بل أيضًا ناقدين[٨٠].

وبالنسبة للعالم العربي الذي كان ولا زال يشكو منذ مدة طويلة من تحيّز الإعلام الغربي ضده ومن عدم قدرته على إيصال صورته الحقيقية إلى تلك المجتمعات الغربية فإنه لم يعد أمامه أي عذر يمكن ترديده، فشبكات الإنترنت فتحت المجال أمام الجميع لوضع ما يريدونه على الشبكة ليكون متاحًا أمام العالم لرؤيته. المهم أن يكون هناك استعداد حقيقي للاستثمار في هذه الوسيلة، والأهم من ذلك استثمارها بالشكل السليم والمناسب.

---

[٨٠] د سامي نصر،((تحديات الإعلام البديل))،١٢/١/٢٠٠٨م

ثقافة التغيير والثورات العربية:

إن نشوء هذا الفضاء الجديد من الحرية أسهم في التحول النوعي الذي طرأ على استخدام الشبكات الاجتماعية على الإنترنت، من كونها أداة للترفيه والتواصل، إلى أداة للتنظير والتنظيم والقيادة، ثم إلى وسيلة فعّالة لنقل الحدث، ومتابعة الميدان، ومصدرًا أوليًا لوسائل الإعلام العالمية.

صحيح أن الإعلام وحده لا يصنع التغيير، وأن التغيير هو نتاج إرادة عامة، يحركها دافع الناس الطبيعي نحو هذا التغيير، والإعلام إنما هو أداة من مجموعة أدوات. ويقول (ميشيل فوكو): إن الثورة الإيرانية انتشرت بشريط الكاسيت، ولم يقل إن شريط الكاسيت -الذي كان في حينه إعلامًا بديلاً- هو الذي صنع الثورة! لذلك إن هذه الإرادة بدون وسائل الإعلام الجديد قد لا تساوي شيئًا، والعكس صحيح! فما جرى هو نتاج عوامل تفاعلت مع بعضها لتنتج لنا تغييرًا بأسلوب لم يعهده عالمنا العربي من قبل، وغيّر أنماط حياتهم، مضفيًا عليها مزيدًا من التفاعل والتواصل. فهل من سبيل إلى جهد منظم لتوظيفه من أجل قضيتنا العادلة كما يفعل أعداؤنا من أجل قضاياهم غير العادلة؟!

وأصبحنا بفضل هذه الثورة أمام إعلام جديد لا يحتاج إلى أي رأسمال، كل رأسمالك هو هاتفك النقال وكاميرا وحاسوبك الشخصي. ولا يمكن للإعلام الجديد الاستغناء عن الإعلام التقليدي، وأنه لن يتحقق له الرواج إلا إذا استخدمه الإعلام التقليدي، وأشار إليه ونقل عنه، فالكثير من الأحداث كان السبق فيها للمدونين أو لبعض المواقع الإلكترونية. ويعتقد الكثيرون أن الإعلام الجديد هو الإعلام القادم، فالكثير من التلفزيونات اليوم يمكن توقف بثها المباشر وتعرض خدماتها على الإنترنت، وأصبح الكثير من القنوات التلفزيونية لديها حسابات مثلاً على الـ YouTube والـ Facebook والـ Twitter.

وعند ظهور مواقع التواصل، فإن العرب إجمالاً قاموا باستخدامه أولا، وقبل كل شيء، كأداة للطرح السياسي، وذلك لعدم وجود إعلام محايد أو مؤسسات للمجتمع المدني أو نشاط سياسي في الشارع العربي. ولكن هناك مبالغة في الدور الفعلي لمواقع التواصل في تغيير واقع السياسة. وإن دور أعضاء مجموعات فيسبوك أو المشاركين هو في غالب الأحيان رمزي، ولا يتعدى حدود الشكليات، لذلك فإن النشاط السياسي في الإنترنت لا يترجم بالضرورة إلى تغيير أو نشاط سياسي فعلي في الشارع العربي. وبالرغم من النشاط الكبير على الإنترنت في مصر إلا أن التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الإنترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملاً له، وهذا بسبب الأمية التي تعاني منها الشعوب العربية.

وقام الإعلام الجديد بدور ملموس في حشد وتوجيه المتظاهرين، لكنه لم يكن مفصلياً في تسيير الأحداث، في مصر استمرت المظاهرات بشكل كبير بعد قطع خدمات الإنترنت. وكذلك، في اليمن يقتصر عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي على عدد صغير، لا يواكب حجم الأحداث في الشارع اليمني. لذلك فإن حشد المتظاهرين وتوجيههم لم يتم بشكل أساسي عن طريق الإعلام الجديد. ولكن نقطة الاتفاق الرئيس هي عن دور الإعلام الجديد في إيصال صوت الشارع العربي إلى أنحاء العالم، من دون شك، كان لأفلام يوتيوب «والنشاط التويتري» دور كبير في حشد الاهتمام الدولي لقضايا الاستبداد في بعض دول العالم العربي.

ولا يزال دور الحكومات العربية في الإعلام الجديد غامضًا، وقد يؤدي وجودها في مواقع التواصل الاجتماعي إلى تغيير شكل المداولات السياسية. ففي المستقبل القريب إذا كان هناك توظيف مثالي من قبل الحكومات العربية فسيكون هناك وجه آخر مختلف تمامًا للإعلام عما نعيشه اليوم. وفي حال انخراط الناشطين في مؤسسات المجتمع المدني، فإن الطرح السياسي على تويتر وغيره سيصل إلى مرحلة أكبر من النضج الفكري.

سيؤسس المجتمع المدني إلى خطاب سياسي جديد وسيكون له أثر في المداولات القائمة اليوم على مواقع التواصل الاجتماعي.

والإعلام الجديد هو باختصار مرحلة انتقالية من الركود إلى الوعي السياسي، وبالتأكيد مرحلة انتقالية في تغيير شكل الحكومات العربية والمجتمع المدني، لذلك فإننا قد نرى في المستقبل القريب ركودًا سياسيًا في مواقع التواصل الاجتماعي، يُعوّض عنه بنشاط حقيقي في منظمات المجتمع المدني والعملية السياسية.

جيل التغيير هو المصطلح الذي يصبو إليه الشاب العربي، والذي سيقوم تدريجيًا بالانتقال من الكتابة الشكلية على الإنترنت إلى التأثير الحقيقي في العملية السياسية عند حدوث ذلك فإننا سنشهد تحوّلاً من كون الإعلام الجديد منبرًا سياسيًا إلى أداة اجتماعية، وسيجد الخطاب السياسي مساحة أكبر وتأثيرًا أوضح.

وتتأتى القابلية على التغيير من المقدرة على ذلك، ومن الاستطاعة لإدراكه، أيًا ما تكن المعوقات. ويجند الفرد كما الجماعة بموجبه قدراتهما على العطاء والتضحية، حتى وإن تطلب الأمر لبلوغ ذلك التسليم في الرزق أو الطموح أو الحياة؛ لأن المطلب أقوى بكثير. القابلية هنا لا تحتكم إلى مصلحة خاصة، فردية ومباشرة، ولا تنبني على تطلع لإدراك هذه المنفعة الذاتية أو تلك، مادية كانت أو رمزية، إنها مصلحة الجماعة والمجموعة.

وما أفرزته الأحداث الجديدة في منطقة الشرق الأوسط، والتي لم يجرِ توصيفها علميًا بعد، هل هي ثورات شعبية، أم حركات تغيير، أم احتجاجات شعبية؟! تجاوزت الأُطُر الإيديولوجية لمثيلاتها سابقًا، فما يحدث نتج جرّاء اليأس الذي يصيب الشباب من أن الثروات المادية التي يملكها الحكام العرب، والتي يسخرها الغرب لصالح شعوبه، لم تأتِ بأي نفع على شعوبنا العربية، هذا اليأس المتراكم لا يحتاج إلى أي فكر ثوري يشحذ همم الناس بقدر ما يحتاج إلى مشاركة المختلفين في الرأي للمشاركة في الحال، وهذا ما

ظهر واضحًا أن المظاهرات التي جرت في العراق ألغت عمليًا مفهوم الطوائف والكيانات والفئات القومية، وأعطت مثالاً أن مثل هذه التقسيمات هي من صنع السياسيين وليس من صنع الواقع العراقي"[81].

وعلينا أن نفهم أن للتغيير ثقافته، ولا يمكن أن نفرض على أي تغيير شعبي كبير ومتعدد الأطراف أية ثقافة مسبقة، شخصيًا تابعت مواقف الأحزاب التقدمية من الأوضاع في تونس ومصر والعراق والسودان واليمن، فوجدت أن هذه الأحزاب تريثت في المواقف، ولكنها أيدت التغيير، هي لا تريد أن تكون بديلاً عن حركات الشباب، وفي الوقت نفسه لا تريد أن تتسلم قيادة الشباب، فشعارات اليوم من المرونة والوضوح لم تجد لها بعد أرضية للفهم، وقد شهدنا في ميدان التحرير في مصر كيف أن النكتة تحولت إلى شعارات، وكانت مؤثرة في استقطاب الإعلام، هذا الموقف الجدلي سيكون هو الأكثر صوابًا من المواقف التي تقف ضد التغيير، أو تلك التي لا يعنيها التغيير. وبالتأكيد لدينا في العراق هذه المواقف كلها، وعلى الشباب أن يعوا جيدًا أن نجاح أية مواقف لا يعني نهاية الصراع، ومشروع الشباب الثوري دون غيره لا يقف عند إنجاز أو شكل حكم، بل يستمر دون توقف، لا سيما في منطقة لم تحصل من التقدم والحداثة إلا القليل..

في سوسيولوجيا المجتمع الرقمي:

لم يرفع الفكر العربي المعاصر معرفيًا من شأن فكرة الاتصال ليظهر علينا الاتصال الرقمي مع بداية الألفية دون سلاح معرفي نحتمي به. ولا تكمن قيمة الاتصال في ما في الفكرة من قيمة علمية أو سياسية: أي ما في الإنتاج الفكري من صحة أو خطأ بل في التسويق لها -حسب المفهوم الحديث للمعرفة لتداول مضامينها ليترك الحكم للمجتمع وحده، وهل به المناعة الثقافية الكافية «لغربلة» المضامين قبل الحكم على الوعاء. إن الحكم القيمي على الأفكار هو حكم قيمي على التقنية أيضًا التي لا يجب أن تحد من انتشارها وإلا ستنمو سوق سوداء لأفكار متطرفة، وإرهابية. وتاريخيًا لا يمكن أن نتجاهل

[81] سعيد بن جبلي،((رصد الإعلام الجديد وعلاقته بالرأي العام- سلاح المهمشين العرب)). في ثالث أيام مهرجان القاهرة للإعلام، الثلاثاء٤/١٢/٢٠٠٧م.

أن الحكم القيمي ذا الخلفية الدينية أو السياسية أو الثقافية هو الذي كان وراء إقصاء أكثر من فكرة داخل المجتمعات العربية باسم الدين أو الهوية أو معاداة الاستعمار أو الإمبريالية[٨٢(١)].

إن التلاقح الحضاري الذي ولّده انتقال المعلومة عبر الإنترنت قد رسخ قيم وثقافة البلد المصدِّر للمعلومة والتكنولوجية في آنٍ واحد، وينشأ عن هذه الحتمية التكنولوجية حالة ما يسمى بـ «الصدمة الإلكترونية» التي سرعان ما تتحول بالبلدان المستوردة من الانبهار بالواقع الافتراضي إلى الاصطدام بالواقع الحقيقي للبلد المصدِّر. ولعل من بين الأسباب القوية للتفاوت الرقمي بين دول الشمال والجنوب يحتل عامل الأمية المسئولية، وأسهم في اتساع الهوة الرقمية.

وأيضًا عربيًّا يعود سبب تعطل آلة التسويق لتبادل الأفكار إلى عنصرين متلازمين يمكن تلخيصهما في إشكالية وعي الحرية وإدراك التقنية، وهي معضلة فكرية إجرائية في كيف يمكن أن نفهم أن لا قيمة للفكرة مهما كانت طبيعتها إلا إذا شاعت بين الناس، وحتى يمكن بلوغ ذلك فلا بُدَّ أن تكون حركة الوسائط الحاملة للأفكار«التقنية» شائعة الملكية وتحررية من حيث المضمون. إن تخلف الديمقراطية وممارستها في الوطن العربي لا يعود فقط إلى حصرها في بوتقة الشعار السياسي، بل إن التخلف الديمقراطي يعود أيضًا إلى تخلف في فهم أوعية الديمقراطية ووسائطها في الفكر العربي. ويؤدي هذا الرفض إلى نبذ انتشار الفكر وشيوعه وتداوله؛ لأن التداول على السلطة -وهو العمود الفقري للديمقراطية بالمفهوم الحديث- ما هو إلا تداول على أفكار وتصورات ومناهج في كيف ندير الشأن العام بعد أن يقول الشعب كلمته في من ينوبه عبر الاقتراع. ولا قيمة للاقتراع الذي يضفي إلى تداول السلطات والرؤساء والبرلمانات والحكومات إذا لم تتوفر معركة فكرية عادلة على واجهة وسائل الإعلام التي هي الفيصل في تقريب صورة كل طرف سياسي إلى المواطن مهما كانت خلفيته الثقافية عن مشكلات الشأن العام.

[٨٢(١)] د.جمال الزرن،((تدويل الإعلام العربي، الوعاء ووعي الهوية))، دمشق، دار صفحات، ٢٠٠٧م، صفحات متفرقة.

وإن إعلامًا واتصالاً لا يسهم في تحديد أوليات المجتمع السياسية والثقافية والاقتصادية لا يمكنه أن يكون فاعلاً في أي مشروع يسعى لتداول سلمي على السلطة كنتيجة حتمية لتداول أهم التصورات حول كيف ندير الشأن العام بالاعتماد على الرأي العام الذي تسهم وسائل الإعلام الحرة في بلورته بشكل محايد وموضوعي بعيدًا عن أي توظيف اقتصادي أو سياسي.

في النهاية فإن المجتمعات -سوسيولوجيا- تعدّ ظاهرة على قدر كبير من التعقيد حتى نجزم أنه من السهل أن تأتي نماذج سياسية أو اقتصادية أو فكرية قادرة بكل بساطة وبالاعتماد على التقنية الذكية للاتصالات على إحداث تغيير وبشكل جذري في بنية المجتمعات انطلاقًا فقط من كونها تقنية فعالة حتى وإن كانت هذه التقنية في مجال الإعلام. إن بين الظاهر تقنيًّا في الاتصال اليوم والنتيجة الاجتماعية غدًا تظهر اختلافات قد تصل في بعض الأحيان إلى التناقض. إن حركة المنظمات المهنية والجمعيات الأهلية والمجتمع المدني والفرد، وهي ما يمكن أن نطلق عليها بالفعل السوسيولوجي عنصُر فعّال ومحدد أساس في مسيرة التقنية الاتصالية في علاقتها بالموروث الإعلامي[83(1)].

ويمكننا القول أيضًا بأن هذه الشبكات قد أسهمت في رفع مستوى الوعي لدى الشعوب، وتأكدها من أنها هي مصدر الشرعية، تمنحها لمن تشاء وتزيحها متى بدا لها ذلك. وأن هذه الشبكات قد أفرزت قيمًا جديدة، لعل أهمها بالمطلق القبول بالآخر في تنوعه واختلافه وتباينه، ما دامت المطالب موحدة والمصير مشترك. ويمكننا القول بالمحصلة، إن هذه الشبكات أبانت بأن ثمة شعوبًا حية ويقظة، حتى وإن خضعت لعقود من الظلم والاستبداد.

[83(1)] ياسين النصير، «ثقافة التغيير»، مجلة الرافدين.
http://www.alrafidayn.com/index.php.

وهناك عدة نتائج منها:

١. مواقع التواصل الاجتماعي وسائل يستخدمها من يشاء لنشر الأخبار والآراء بشكل مكتوب أو مسموع أو مرئي؛ متعدد الوسائط.

٢. استخدم الشباب شبكات التواصل الاجتماعي للدردشة ولتفريغ الشحن العاطفية، ومن ثم أصبح الشباب يتبادلون وجهات النظر الثقافية والأدبية والسياسية.

٣. عدّ مواقع التواصل الاجتماعي إعلامًا بديلاً: ويقصد به «الموقع الذي يمارس فيه النقد».

٤. لا تمثل مواقع التواصل الاجتماعي العامل الأساس للتغيير في المجتمع، لكنها أصبحت عاملاً مهمًّا في تهيئة متطلبات التغيير عن طريق تكوين الوعي.

٥. أصبحت تتشكل بفضل شبكة الإنترنت فضاءات تواصلية عدة هي بمثابة أمكنة افتراضية، وإن من بين مزاياها نهاية فوبيا المكان.

٦. أنّها فضاءات مفتوحة للتمرّد والثورة – بداية من التمرّد على الخجل والانطواء وانتهاء بالثورة على الأنظمة السياسيّة.

٧. يكمن النظر للتغير الاجتماعي برؤية "حتمية" التحول في ثلاثة مسارات؛ أولهما: ما يعرف بـ "الحتمية التقنية"، وثانيهما: ما يعرف بـ "الحتمية الاجتماعية"، ثم "الحتمية المعلوماتية".

٨. إن المستخدمين يسعون أكثر لكسب رأسمال رمزي من وراء انخراطهم في هذا الإعلام أكثر من انخراطهم في تحقيق رأسمال مادي، ويمكن أن تزدهر فيه مبادرات المجتمع المدني.

٩. يفتقر الإعلام الجديد إلى الوضوح بالنسبة إلى مجاله ومداه، وقد يعني هذا أن أشكال الإعلام الجديد تعكس علم الشك، والنسبية، والفوضى.. الأوصاف المشتركة للثقافة المعاصرة.

١٠. تتشكل الأجندة الإعلامية لمواقع التواصل الاجتماعي عن طريق الأحداث البارزة التي تفرض نفسها.

١١. إن التغيير السياسي الحقيقي لم يولد في الإنترنت، بل تولد في الشارع، وجاء الإعلام الجديد مكملاً له.

١٢. إن تخلف الديمقراطية وممارستها في الوطن العربي يعود إلى تخلف في فهم أوعية الديمقراطية ووسائطها في الفكر، ويؤدي هذا إلى نبذ انتشار الفكر وشيوعه وتداوله؛ لأن التداول على السلطة ما هو إلا تداول على أفكار وتصورات ومناهج.

الفصل الرابع

الفضاء الإلكتروني والرأي العام

المجال العام والتحول
من المجتمع الواقعي إلى الإلكتروني

تعريف المجال العام:

يُعرف المفكر (هابرماس) Habermas المجال العام بأنه «مجتمع افتراضي أو خيالي ليس من الضروري أن يتواجد في مكان معروف أو مُميز، ويتكون من مجموعة من الأفراد الذين لهم سمات مُشتركة مجتمعين مع بعضهم كجمهور، يتفاعلون مع بعضهم على قدم من المساواة حول قضايا مشتركة».

ويعتمد المجال العام على حرية الدخول والتحول إلى الطابع العالمي كلما أمكن، وكذلك درجات التحرُّر التي يتمتع بها المواطنون، ورفض الهيراركية والهرمية حيث يُمكن لأي فرد المُشاركة على قدم المساواة.

ولا يوجد بالضرورة معرفة بين المشاركين في المجال العام ببعضهم البعض، ولكن لديهم إدراك وفهم القضية أو الاهتمام أو أحداث معينة أو التعبير عن وجهة نظر تجاه المجتمع أو العالم، ويُمكن لأي شخص أن يُشارك بآرائه أو مُساهماته، بعد أن ساعدت وسائل الإعلام الجديد في الخروج من النطاق الخاص إلى المجال العام الأوسع والأكثر استقطابًا للعديد من الأفراد، ومع هذا الانتقال يتم التحول من قضايا فردية إلى أخرى ذات طبيعة عامة، وكذلك يتم الانتقال من ردود الأفعال المادية التي تتم من خلال المظاهرات في الشارع أو الاعتصامات أو حتى أعمال الشغب إلى فضاء جديد لديه وسائل جديدة وآليات مُتنوعة يتم استخدامها للتعبير والاحتجاج تجاه المجتمع أو الدولة، وبذلك اتسع المجال السياسي ومجال النخبة ليضُمّ فاعلين آخرين لديهم القدرة على التأثير في الرأي العام باستخدام تلك الوسائل الجديدة.

وخاصة مع تضييق فجوة المعرفة بشكل عام بإنتاج المعلومات وانتشارها وحرية الوصول إليها وقدرة أي فرد على إنتاجها، وإيجاد حالة من إزالة اللبس والغموض المعرفي سواء ما يتعلق بالقضايا الداخلية أو الخارجية، وذلك من خلال نموذج يتكون من ثلاثة أضلاع هي: جمع المعلومات، التعليق عليها والتحاور حولها، ثم اتخاذ خطوات فعلية.

وبما يُتيح الفرصة إلى توالد الأفكار في نطاق ضيق أو شبكات محدودة لتنتقل إلى مجال ومدى أوسع انتشارًا في شبكات عامة أو بوجود تحالفات وتكتلات وتجمعات إلكترونية تهدف للتأثير في المجتمع أو صانعي القرار.

ويكون المجال العام هو السياقات التي يُمكن لأي شخص أن يُشارك فيها ودون أن يكون المُشاركون فيها على معرفة ببعضهم البعض وبرغم ذلك فإنهم يتقاسمون فهمًا عامًا للعالم المُحيط بهم، وهم يُطورون هوية مُشتركة، تطور اهتمامًا جمعيًا بنصوص مُشتركة، سواء كانت هذه النصوص تُعبر عن رؤية كونية أو قضايا مُحددة أو أفعالاً وأحداثًا مُعينة، كما يعني العام في المجتمع الافتراضي أنه مُتابَع من قبل كل فرد، على عكس ذلك يُشير تعبير المجال الخاص إلى السياقات المحدودة كالأسرة والجماعة الإثنية، حيث تسود في هذا المجال تفاعلات محكومة بمنظومة قيم ضابطة للأداء في نطاق هذا المجال الخاص، ومن حق أفرادها التفاعل بشأن قضايا المجال الخاص، وليس من حق الآخرين خارج هذه السياقات الخاصة أن يُشاركوا في تفاعلاتها أو مناقشة قضاياها.

ويرى Habermas أن المجال العام يتشكل ويتكون من خلال إتاحة ساحات ومنتديات للنقاش في القضايا السياسية تعني وتعمل على إعادة تنظيم وبلورة الآراء المعروضة بشأن القضايا وترشيحها وفق جدارتها، ووفق ما تحظى به من اهتمام عام من قبل المُشاركين في النقاش. ويُقسم Habermas النظام المجتمعي إلى ثلاثة أنظمة فرعية: النظام السياسي، أنظمة وظيفية كالتعليم والصحة والخدمات، والمجتمع المدني.

ويعمل المجال العام على ربط حالة التفاعل بين هذه الأنظمة، وهذا المجال العام الذي يتمتع بالاستقلالية يكون قادرًا على إدارة النقاش وترشيح الآراء المُقدمة وتنقيتها وبلورتها لتكون في النهاية ليست مجرد آراء مطروحة بل آراء لها أولوية وتقدير وتُعبر عن حالة النقاش العام التي دارت من خلاله.

وتقوم نظرية «المجال العام» على وصف وشرح عملية تشكيل الرأي العام والمؤشرات الاجتماعية والثقافية التي تساعد على تطوير الرأي العام؛ ويتوسط المجال مجالات السلطة العامة والحكومة والمجال الخاص الذي قد يُركز على الشئون الخاصة بالأسرة والأفراد. وقد نشأ المجال العام في المجتمعات البورجوازية الأوروبية في القرن الثامن عشر، وكانت تُمارس من خلاله المناقشات حول السياسات الحكومية، وفي إطاره تبلورت اتجاهات الرأي العام.

ويُعتبر المجال العام مصدرًا لتكوين الرأي العام وهو يتطلب شرعية السلطة لتفعيل أية ديمقراطية، فهو يُبرز الآراء والاتجاهات من خلال السلوكيات والحوار، وتقوم نظرية المجال العام في بنيتها الجديدة على محاولة فهم حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة في إتاحة النقاش العام وتسهيل بلورة توافقات تُعبر عن الرأي العام النشط، وبحيث تكون إطارًا نظريًا مُتكاملاً يُمكنه توضيح حدود الدور الذي تقوم به وسائل الإعلام الجديدة مُمثلة في المدونات والمنتديات ومجموعات النقاش في إدارة وتوجيه النقاش السياسي والاجتماعي في المجتمع من أجل تعزيز المُشاركة العامة وترشيد مُدخلات صناعة القرار وصولاً إلى دعم كفاءة الفعل الديمقراطي في المجتمعات عبر بلورة رأي عام يحظى بأولويات تحظى باتفاق جماهيري وتمنح الشرعية للعمليات السياسية المُختلفة.

ويعتمد نجاح المجال العام وفقًا لما حدده Habermas على عوامل عدة: منها مدى الوصول والانتشار، ودرجة الحكم الذاتي حيث يجب أن يكون المواطنون أحرارًا ويتخلصون من السيطرة والهيمنة والإجبار. ورفض الهيراركية؛ فكل فرد يُشارك الآخرين على قدم

المساواة. وأن يكون دور القانون واضحًا وفعّالاً. والفهم والثقة والوضوح في المضمون الإعلامي، ووجود سياق مُجتمعي ملائم.

البيئة المحفزة لبروز الفاعلين الجدد في المجال العام:

في مجتمع المعلومات يُمكن التمييز بين أنواع مُختلفة من المعرفة والتي تكون أوسع من مفهوم المعلومات، حيث تتكون من معرفة ما Know What تُشير إلى معرفة عن الحقائق السياسية التي يُمكن أن تتحول إلى معرفة رقمية في شكل معلومات وبيانات تتحول إلى موقف سياسي ثم اتجاه يتم ترويجه للرأي العام، ومعرفة كيف Know how تُشير إلى المهارة والقدرة على فعل شيء ما عن طريق تدريب الكوادر السياسية التي تتعامل مع المعلومات السياسية وكيفية إدارتها، ومعرفة لماذا (Know why) تُشير إلى المعرفة العلمية لمبادئ وأسس التنمية السياسية والتي تُشكل الدفع للتنمية في الأحزاب السياسية أو المنظمات الوسيطة.

ومعرفة من (know who) وتتعلق بمن يستطيع أن يملُك القدرة والمهارة السياسية لحشد الرأي العام، ولديه من الخبرات التنظيمية والسياسية والإعلامية التي تؤهله للتأثير بما يُساعد على عملية الحراك السياسي داخل النظام السياسي والنخبة السياسية.

ويُمكن القول: إن التعليم لهذه الأنواع الأربعة الرئيسية للمعرفة السياسية تحدُث من خلال القنوات المُختلفة، فهناك نوعان من المعرفة يُمكن الحصول عليهما من خلال قراءة الكتب أو حضور المُحاضرات وإدخال البيانات، أما النوعان الآخران من المعرفة فيرتبطان بشكل أساسي بالممارسة العملية.

وتُمثل البيئة الاجتماعية والاقتصادية التي تُعاني من اختلالات كالمُعاناة من زيادة مُعدلات البطالة، وتدني دخول الأفراد، وما يكون لذلك من انعكاس على الاستقرار الاجتماعي كزيادة مُعدلات الجريمة وزيادة مُعدلات الطلاق وبروز ظاهرة أطفال الشوارع والهجرة غير الشرعية وغيرها.

وما يزيد من تلك المُعاناة عجز المؤسسات الوسيطة التي كانت تلعب دورًا في نقل مطالب الجماهير إلى النظام السياسي لكي يتم ترجمتها في شكل قرارات أو سياسات إلا أن ذلك العجز دفع الأفراد المُهمَّشين إلى تجاوز تلك المؤسسات بقدرتها على استخدام وسائل الإعلام الجديدة في التعبير عن مطالبها والضغط على النظام السياسي، وكذلك التأثير في الرأي العام، وساعدهم على ذلك ما توفره وسائل الإعلام الجديد من خصائص مُميزة عن وسائل الإعلام التقليدية بالإضافة إلى رُخص استخدامها وسرعة انتشارها وحسن صياغة الرسالة الإعلامية، وهو ما يتلاءم مع رغبات تلك الفئة الجديدة التي امتلكت قدر من المعرفة بالإنترنت ولديها طموح في أحداث تغيير اجتماعي أو سياسي يُحقق مطالبها.

ولم تقتصر الاستفادة على الأفراد، بل استفادت منها حركات المُعارضة بشكلها الرسمي وغير الرسمي كأداة إعلامية جديدة لا تخضع للرقابة الحكومية، مع قدرتها على الانتشار والتأثير في الرأي العام. وهذا ما يُفسر درجة التأثير المُرتفعة للإنترنت في النُّظم المُنغلقة عنها في النظم الديمقراطية، والتي كانت تتسم باحتكار الدولة لوسائل الإعلام التقليدية وتقليل هامش حرية التعبير داخل المجتمع وعدم فاعلية الأحزاب السياسية وغيرها من سمات النظم الدكتاتورية.

ولقد أدت عملية التدفق الحر للمعلومات إلى إزالة الحواجز بين النظم السياسية وبعضها البعض بشكل أدى إلى تحول الإنترنت إلى سوق عالمي للأفكار الديمقراطية وما وفرته ثقافة الإنترنت ذاتها من حرية ونمط اللا مركزية في الاختيار، وكذلك استُخدم الإنترنت في الترويج للأجندة الدولية لحقوق الإنسان وأدى إلى انفتاح المجتمعات المُنغلقة على ثقافات أخرى وإلى درجة ما تتمتع به من الحرية والمستوى الاقتصادي والمعيشي بشكل أدى إلى مزيد من الضغط على النظم السياسية القائمة لتلبية مطالب مواطنيها والذي أصبح يتطلع نحو الأفضل والملائم لثقافته وقيمه مع التوجه نحو العالمية. وذلك لما أتاحته الإنترنت من حرية الحوار والتعبير عن الرأي والمناقشات من خلال منتديات

الإنترنت والمدونات وإنشاء المواقع والمجموعات البريدية واستطلاعات الرأي الإلكترونية والتجمعات الافتراضية ونشطاء الإنترنت، وعملية الاحتجاج والعصيان المدني الإلكتروني.

وتتعلق أبعاد البيئة السياسية والاجتماعية والتكنولوجية فيما يلي: [٨٤(١)]

- بُعد مؤسسي: يتمثل في ضعف دور الأحزاب السياسية والمجتمع المدني ومُمثلي السلطة التشريعية كمؤسسات وسيطة بين الحاكم والمحكومين، وعجزها عن حمل مطالب الرأي العام بما أدى إلى انفصال تلك المؤسسات عن الواقع الاجتماعي والسياسي الذي تعيش به، بالإضافة إلى عدم التوافق بين التغيرات في الرأي العام وبين عملية وضع السياسات.

- بُعد تكنولوجي: ويتمثل في الارتباط المُتزايد بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات وتوفير فرص أمام لاعبين جُدد، وخاصة مع ما وفره الإنترنت من وسيلة سهلة ورخيصة وسريعة الانتشار، وكذلك اندماج الخدمات مع بعضها حيث يُتيح الإنترنت خدمة الاتصال والموبايل خدمة الإنترنت، وإمكانية التراسل المجاني بينهما فضلاً عن الحرية المُتاحة وارتفاع سقفها عن وسائل الإعلام التقليدية حيث يوجد في مصر ما يزيد على ١٨ مليون مُستخدم للإنترنت و٦٢ مليون مُشترك في خدمة التليفون المحمول فضلاً عن دور الفضائيات والإعلام الخاص.

- بُعد تنموي: إن المجتمعات التي تكون في طور التحول يكون لديها حالة مُتصاعدة من الحراك السياسي، وقد شهد المجتمع المصري عدداً من السياسات التي تُشكل دوراً هاماً في إيجاد حالة من الحراك السياسي بين المُهتمين بالشأن العام، بالإضافة إلى أن انفتاح المواطن على الخارج يجعل لديه طموحات وتطلُّعات أكبر قد تُمثل ضغطاً على صانعي القرار، وقد لا تتوافق مع الواقع الاجتماعي والاقتصادي.

[٨٤(١)] د. جمال الزرن، «أنسنة» أو الثقافة في تكنولوجيات الاتصال والفضاء العام. مدونة مقعد وراء التلفزيون.

http://www.jamelzran.jeeran.com

ت ـــ بعد ذا طابع جيلي أو عمري: حيث إن المجتمعات العربية عامة ومصر خاصة تحوي فئة عمرية من الشباب تُشكل ما يقرُب من ٦٠٪ لديهم رؤى للتغيير وعلى دراية كافية بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتفاعل معها مُقابل الفئات العمرية الأخرى التي ما زال بعضها ينظُر إليها بعين المُتشكك والناقم عليها، ويحاول أن يُطبق سياسات أمنية تقليدية لا تصلُح مع تطورات العصر.

+

الفضاء الإلكتروني والرأي العام الإلكتروني

ماهية الرأي العام الإلكتروني:

يُعد الرأي العام مؤشرًا هامًا لقياس مدى رضا القاعدة الشعبية عن السياسات العامة للدولة من جهة، بالإضافة إلى دوره في تشكيل وتحديد توجهات المواقف الشعبية المُختلفة نحو القضايا الداخلية والخارجية على حد سواء من جهة أخرى. ومن ثم أصبحت عملية معرفة توجهات الرأي العام ومدى قبوله أو رفضه لسياسة مُعينة تُشغل صانعي القرار في مُختلف دول العالم لما له من دور في تحقيق الشرعية والرضا عن النظام السياسي القائم، ويُقلل من حدة العنف تجاهه.

وشهد الرأي العام وقياسه تطورًا هائلاً بسبب عدد من المُتغيرات أهمها الثورة التكنولوجية وما أتاحته من فُرص التعبير عن الرأي بُحرية، ويكفي فقط عدد الوسائل التي أتاحتها شبكة الإنترنت.

ومن ناحية أخرى أصبح حجم المعلومات والبيانات متاحًا بشكل فوري وضخم أمام العديد من الأشخاص بما أدى إلى زيادة المعرفة بمن وكيف ولماذا وأين حول العديد من القضايا. وأُتيحت الفرصة أمام الجمهور إلى أن ينتج مادته ويُقدم معلومات يكون لها نصيب من الانتشار والتأثير عبر وسيلة إعلام سهلة ورخيصة. وكسر احتكار الدولة أو النُخبة السياسية في تشكيل الرأي العام وتوجهاته إزاء قضايا ما وتمت من ناحية أخرى زيادة حجم الفاعلين في صناعه وتشكيل الرأي العام.

وشكلت شبكة الإنترنت أهم بنية تحتية لمجتمع الإعلام المُتنامي من جميع البلدان والثقافات واللغات والفئات العمرية المُختلفة والمهن دون تمييز. وكانت بداية هذا الدور قد ظهرت منذ منتصف التسعينيات في دعم مفهوم ومُمارسة الديمقراطية، وأخذ هذا الدور

في التبلور المُتصاعد مع النمو المُتزايد للإنترنت وانتشار تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وعمل الإنترنت على إعادة تنشيط المجال المدني وتوسيع نطاق الحياة المدنية وفتح مجالات واسعة عن طريق تنوعه وسرعته وتحديه للحدود الجغرافية، وكذلك عمل الإنترنت على إتاحة الفرصة أمام العديد من البشر المُختلفين في توفير فرص للتفاعل والاتصال فيما بينهم حول الجدل السياسي العام وعملية صناعة القرار.

وأصبح الإنترنت أداة في التعبئة والتجنيد والتنظيم والتصويت والمعارضة، وأتاح الإنترنت من خلال عملية استطلاعات الرأي والمُشاركة في الانتخابات للعديد من الناس أن يُعبروا عن آرائهم بشكل مُنتظم، وقد عمل على اتساع دور المواطنين في عملية صُنع القرار، وعمل على سد الفجوة بين المواطنين ومن يُمثلونهم في المجالس النيابية. وقد أدت الابتكارات التكنولوجية إلى نشوء أشكال جديدة من وسائل الإعلام مُترافقة مع نماذج جديدة لتوزيع المعلومات واستهلاكها واستخدامها. كما تم تخطي الخطوط التقليدية الفاصلة بين الجمهور والمؤسسات الإعلامية مع اكتساب المواطنين إمكانية الوصول إلى منابر جديدة يُعبرون من خلالها عن آرائهم وأفكارهم الخاصة، ويتجاوزون بذلك المؤسسات الإعلامية الكبرى والحكومات التي ظلت لمدى طويل صاحبة القرار النهائي في ما يتعلق بتحديد المعلومات التي يتم نشرها، ويُمثل الفضاء الإلكتروني آلية هامة في عملية التأثير في الرأي العام، وتتميز في ذات الوقت بعدد من الخصائص حيث إنها قد تكون أداة لنشر رأي عام ذي طابع فردي مُعين، وذلك بنشر معلومات موجّهة من خلال مجموعة من البرامج والأدوات والمقالات والأخبار والصور والتفاعلات الإعلامية المُتنوعة والتي تخدم بشكل غير مباشر، ومن حيث لا يشعُر المُتلقي ذلك الرأي.

ويتميز الفضاء الإلكتروني بوجود حالة من الانفتاح على الخارج وما يحمله من قيم مُغايرة عن الداخل إلى أن تكون هناك عملية تغيير معرفي وقيمي عبر عملية طويلة تتنوع فيها جزيئات التكوين المعرفي الجديدة التي يُراد إحلالها محل المعرفة القديمة.

كما أن من الآليات التي ينتهجها مُرتادو الفضاء الإلكتروني في التأثير على الرأي العام الانحياز لبعض الآراء وإبرازها للجمهور، والتركيز عليها بأكثر من طريقة سواء كانت مُباشرة أو غير مُباشرة، والاحتفاء بها، والحديث عن إيجابياتها، والتقليل من شأن سلبياتها، وفي المُقابل تقوم بتشويه الآراء الأخرى، وإبراز سلبياتها وتضخيمها، وافتعال الإشكالات حولها، ويصل الوضع أحيانًا لحد تجاهل تلك الآراء وحجبها عن الجمهور.

وهذا إلى جانب النظر إلى الفضاء الإلكتروني وما يُدار من خلاله على أنه يُعبر عن موقف يتعلق ويُمثل الرأي العام، حيث يتم رؤيته على أنه يُمثل المصلحة الوطنية أو يُعبر عن معظم وأغلبية الجمهور، وذلك قد يأتي في شكل استطلاعات رأي إلكترونية أو حجم التعليقات والتأييد.

ويُتيح عملية المعلومات وتفاعلاتها عبر الفضاء الإلكتروني إلى الدفع بصياغة تكوين معرفي جديد لدى الأفراد حول القضية محل التأثير أو على الأقل إحداث خلخلة في التكوين المعرفي القديم حول تلك القضية، ويتم ذلك من خلال تزويد المُتلقي بالمعلومات المُختلفة المُباشرة وغير المُباشرة، والتي تعمل على اجتثاث الأصول المعرفية القائمة لقضية أو لمجموعة من القضايا لدى الأفراد، وإحلال أصول معرفية جديدة بدلاً عنها.

كما أن وسائل الإعلام قادرة على تصوير القضايا والأحداث والأشخاص على خلاف الواقع الفعلي، وتقديم تلك التصورات للجمهور على أنها تُمثل الصورة الحقيقية، وذلك من خلال توظيف مفهوم الصورة الذهنية؛ حيث تعرض وسائل الإعلام جُزءًا من الصورة الحقيقية عن قضية ما، وتُركز عليه، وتُقدمها للجمهور على أنها تُمثل الصورة الحقيقية بكامل أجزائها، ومن خلال تعرض المُتلقي المُستمر لوسائل الإعلام تتكون لديه صور ذهنية مُتعددة عن جملة من القضايا أو الأحداث بناء على الاتجاهات السياسية والفكرية والثقافية لتلك الوسائل. إن تغير التكوين المعرفي والقدرة على صياغة الواقع تُحدث على المدى البعيد تغييرًا آخر على مستوى المواقف والآراء؛ إذ إن مواقف الأفراد وآراءهم تُبنى

في العادة على التكوين المعرفي للقضية محل التأثير وصورتها الذهنية، وبمجموع تلك الآراء يتشكل الرأي العام في المجتمع.

وبالقياس يُمكن توصيف تعريف للرأي العام الإلكتروني بأنه ذلك الرأي الذي يُعبر عن أكبر شريحة مُمكنة من الجماهير في هذا الفضاء الواسع على شبكة الإنترنت.

والرأي العام الإلكتروني في هذا العالم المُتخيل هو كل (فكرة – اقتراح – رأي – مُشاركة) أو حتى لفظ اعتراض غاضب أو نكتة تُعبر عن توجه معين أو تُدافع عن أيديولوجية بعينها أو تنبُع من تجربة شخصية سواء فردية أو جماعية لتصل إلى نتيجة سياسية عامة يتم توصيلها كرسالة اتصالية من خلال تلك الشبكة (الإنترنت)؛ لتأخذ دورها في المُشاهدة والاطلاع من قِبَل كل من يملُك أو يستطيع استخدام تلك الخدمة، والاطلاع في الوقت نفسه على تلك القنوات التي يستخدمها الآخرون ليتكونْ ما نعرفه بـ «الرأي الإلكتروني». وفي هذه الحالة فالرأي الإلكتروني يُعبر عن كل الشرائح التي تملُك تلك الوسيلة أو الأداة التكنولوجية للتعبير والتواصل والنقاش.

ويرتبط تكوين الرأي العام الإلكتروني بمُتغيرين أساسيين هما مستوى التعليم ومدى تواجد شبكة للاتصالات وخدمات الإنترنت المتوفرة. ويرتبط بالمُتغير الأول عدد من المُتغيرات الفرعية؛ مثل عدد المدارس والجامعات والمعاهد العلمية، ومدى توفر ثقافة الإنترنت من خلالها، ومستوى التعليم، أما المُتغير الثاني فيرتبط بعدد خطوط التليفون ومدى قوة الشبكة الموجودة، إلى جانب عدد الشركات التي تُقدم هذا النوع من الخدمة، وكذلك مقاهي الإنترنت أو بصفة عامة الأماكن المُتاحة للجماهير التي تُقدم مثل هذا النوع من الخدمة (الإتاحة – المجانية – السرعة).

آلية وطبيعة العلاقة بين الفضاء الإلكتروني وحركة المواطن:

ويُحرك النمو السريع في انتشار تكنولوجيا الاتصال والمعلومات هو رغبة المواطن في

الحصول على المعلومات والاطلاع على كل ما يخُص حياته وأخباره المحلية بدون أن يكون للرقابة الحكومية أي دور في تحديد ماهية تلك المعلومات والأخبار المنشورة، وأصبحت العملية السياسية بتفاعُلاتها وأطرافها ومؤسساتها تشهد تأثيرًا إيجابيًا على تقليل حجم النفقات في العديد من الأنشطة السياسية اللازمة للمجال السياسي العام، كما ساهمت في زيادة الكفاءة الإدارية خاصة تمكن الأطراف السياسية من إدارة سلاسل العرض والطلب بطريقة أكثر فعالية، وزيادة التنافسية بين فاعلي العملية السياسية، وعملت على جعل رأس المال السياسي أكثر شفافية.

وعمل الإنترنت على تضييق فجوة المعرفة السياسية بإنتاج المعلومات وانتشارها وحرية الوصول إليها وقُدرة أي فرد على المُساهمة فيها وإنتاجها على إزالة اللبس والغموض المعرفي سواء ما يتعلق بالقضايا الداخلية أو الخارجية من خلال نموذج يتكون من ثلاثة أضلاع هي: جمع المعلومات، والتعليق عليها والتحاور حولها، ثم اتخاذ خطوات فعلية. والميزة في هذا النموذج هي أن التقنيات الجديدة بدءًا من الإنترنت وكل ما تبعه قادرة على تقديمها. والمُتصلين بشبكة الإنترنت لديهم القدرة على التجادل والتحاور بطرق جديدة تزيد من قوتها وتأثيرها «المدونين»، ومجموعات النقاش والرسائل الفورية، وجميعها يجعل التنفيذ الفعلي أسهل بكثير. وهذا ما يُطلق عليه «الديمقراطية الطارئة» والتي تُشير إلى أن اتخاذ القرار من المُمكن أن ينبُع من عالم «المدونات» أي أن الأفكار أحيانًا تولد من شبكات محدودة بين الأشخاص ومنها إلى شبكات مجتمعية، ثم إلى شبكات سياسية.

وأصبحت كل تلك المظاهر ملمحًا رئيسيًّا لمجتمع المعرفة. وأصبحت شبكة الإنترنت وما توفره من إمكانية الدخول إليها من كافة الأفراد في العالم يُعزز بشكل ضمني من قيم الديمقراطية التشاركية والطابع اللا مركزي والإدارة الذاتية وحرية الاختلاف وإتاحة الفُرص للتعبير عن هويات ومصالح مُتعددة ومُختلفة من خلال شبكات الاتصال والمعلومات، كما يُرجح السوق المفتوحة للأفكار التي تُشكل بيئة عمل التكنولوجيا من

الإبداع والابتكار كوسيلة للاستمرار، ويُعزز من الطابع الإنساني والقيم الإنسانية المشتركة، وحماية خصوصية الأفراد والحق في المعرفة وحق المواطن في الإعلام وصنع القرار، وغيرها من الحقوق التي أصبحت لصيقة الصلة بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات.

ويعمل الإنترنت على دفع حركة المواطن من خلال المُساعدة على تقوية التنظيم السياسي والشرعية السياسية وتعزيز قدرة الحصول على الدعم الشعبي والقدرة على تحديد الهدف ووضع استراتيجية للحركة وتعزيز القدرة على القيادة، كل ذلك يتحرك في شكل مُخرجات يقودها المواطنون والتي تظهر في شكل إحداث التغيير السياسي التدريجي أو الجزري، والقدرة على تقييم مُعدلات المكسب والخسارة والمُشاركة في الانتخابات ودعم الإعلام ونقل المعلومات، ويدفع الإنترنت في حركة موازية لحركة المواطن إلى القيام بعملية نقل المعلومات وتعبئة وحشد الرأي العام.

وبهذا يكون الفضاء الإلكتروني بمثابة آلية هامة في عملية التأثير على الرأي العام. وتتميز في ذات الوقت بعدد من الخصائص حيث إنها قد تكون أداة لنشر رأي عام ذي طابع فردي مُعين، وذلك بنشر معلومات موجهة من خلال مجموعة من البرامج والأدوات والمقالات والأخبار والصور والتفاعلات الإعلامية المُتنوعة والتي تخدم بشكل غير مباشر، ومن حيث لا يشعُر المُتلقي ذلك الرأي.

ويتميز الفضاء الإلكتروني بوجود حالة من الانفتاح على الخارج وما يحمله من قيم مُغايرة عن الداخل إلى أن تكون هناك عملية تغيير معرفي وقيمي عبر عملية طويلة تتنوع فيها جزيئات التكوين المعرفي الجديدة التي يُراد إحلالها محل المعرفة القديمة.

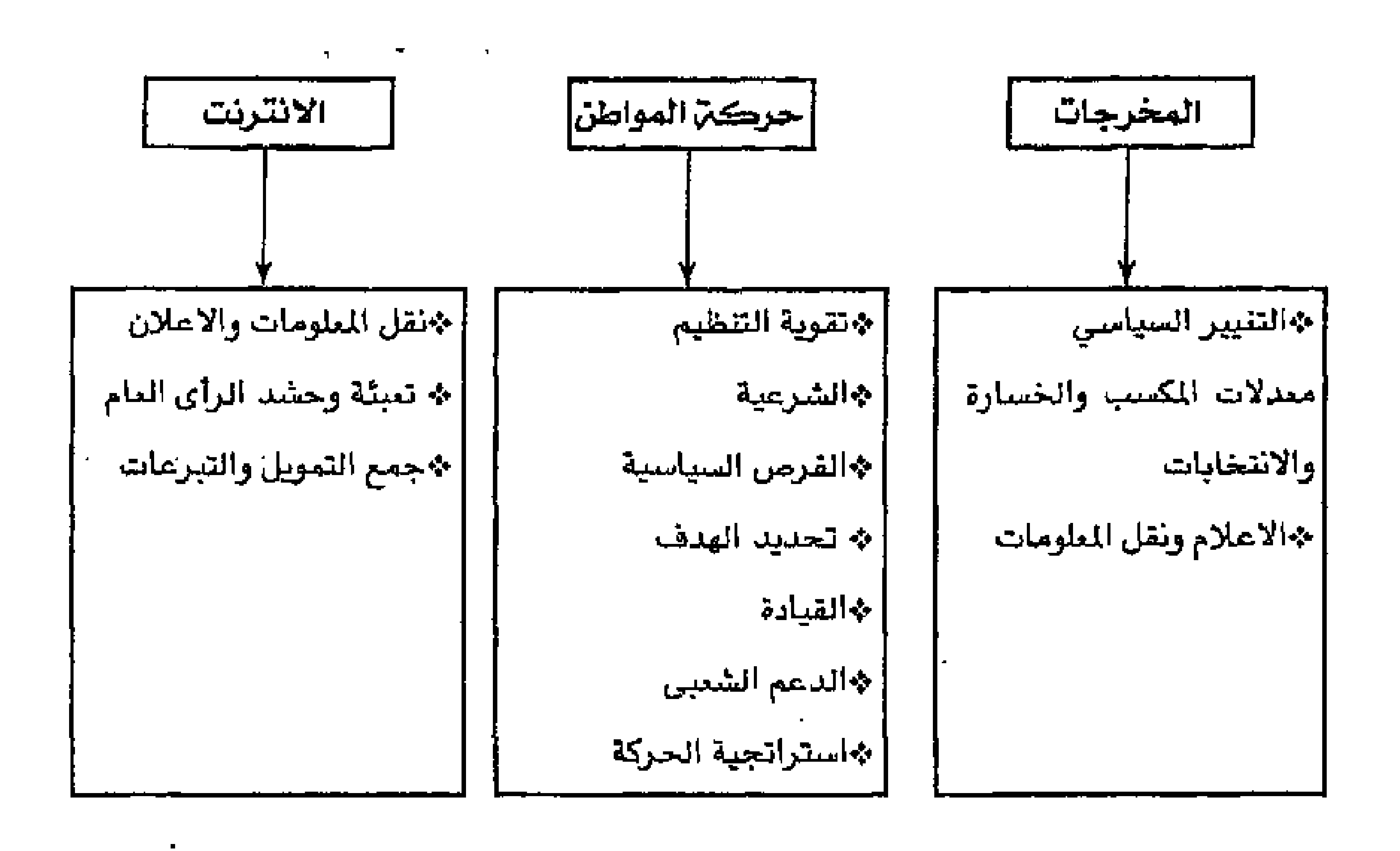
ومن الآليات التي ينتهجها مُرتادو الفضاء الإلكتروني في التأثير على الرأي العام الانحياز لبعض الآراء وإبرازها للجمهور، والتركيز عليها بأكثر من طريقة سواء كانت مُباشرة أو غير مباشرة، والاحتفاء بها، والحديث عن إيجابياتها، والتقليل من شأن

سلبياتها، وفي المقابل تقوم بتشويه الآراء الأخرى، وإبراز سلبياتها وتضخيمها، وافتعال الإشكالات حولها، ويصل الوضع أحيانًا لحد تجاهُل تلك الآراء وحجبها عن الجمهور.

وهذا إلى جانب النظر إلى الفضاء الإلكتروني وما يُدار من خلاله على أنه يُعبر عن موقف يتعلق ويُمثل الرأي العام، حيث يتم رؤيته على أنه يُمثل المصلحة الوطنية أو يُعبر عن معظم وأغلبية الجمهور، وذلك قد يأتي في شكل استطلاعات رأي إلكترونية أو حجم التعليقات والتأييد.

وتتيح عملية المعلومات وتفاعلاتها عبر الفضاء الإلكتروني الدفع بصياغة تكوين معرفي جديد لدى الأفراد حول القضية محل التأثير أو على الأقل إحداث خلخلة في التكوين المعرفي القديم حول تلك القضية، ويتم ذلك من خلال تزويد المُتلقي بالمعلومات المُختلفة المُباشرة وغير المُباشرة، والتي تعمل على اجتثاث الأصول المعرفية القائمة لقضية أو لمجموعة من القضايا لدى الأفراد، وإحلال أصول معرفية جديدة بدلاً عنها.

كما أن وسائل الإعلام قادرة على تصوير القضايا والأحداث والأشخاص على خلاف الواقع الفعلي، وتقديم تلك التصورات للجمهور على أنها تُمثل الصورة الحقيقية، وذلك من خلال توظيف مفهوم الصورة الذهنية، حيث تعرض وسائل الإعلام جزءًا من الصورة الحقيقية عن قضية ما، وتُركز عليه، وتُقدمها للجمهور على أنها تُمثل الصورة الحقيقية بكامل أجزائها، ومن خلال تعرُّض المُتلقي المُستمر لوسائل الإعلام تتكون لديه صور ذهنية مُتعددة عن جملة من القضايا أو الأحداث بناء على الاتجاهات السياسية والفكرية والثقافية لتلك الوسائل، وتغيُّر التكوين المعرفي والقدرة على صياغة الواقع تحدث على المدى البعيد تغييرًا آخر على مستوى المواقف والآراء؛ إذ إن مواقف الأفراد وآراءهم تُبنى في العادة على التكوين المعرفي للقضية محل التأثير وصورتها الذهنية، وبمجموع تلك الآراء يتشكل الرأي العام في المجتمع.


المخرجات
حركة المواطن
الانترنت
❖التغيير السياسي
معدلات المكسب والخسارة
والانتخابات
❖الاعلام ونقل المعلومات
❖تقوية التنظيم
❖الشرعية
❖الفرص السياسية
❖ تحديد الهدف
❖القيادة
❖الدعم الشعبى
❖استراتجية الحركة
❖نقل المعلومات والاعلان
❖ تعبئة وحشد الرأى العام
❖جمع التمويل والتبرعات

الفضاء الإلكتروني وتغير طرق وأدوات قياس الرأي العام:

يرتبط الإعلام الجديد في جزء كبير منه بإنتاج المُستخدم للمحتوى والاستفادة من مُميزات وخصائص ذلك الإعلام الجديد وسهولة استخدامه وانتشاره وإتاحة الفرصة أمام كل فرد للتأثير من خلاله مع التطور المُماثل في مجال البرمجيات والتطبيقات على الإنترنت بما عمل على السهولة الفنية للمُستخدم في المُشاركة في تقديم المعلومات وإنشاء المحتوى فتم التطور من إنشاء المواقع إلى البريد الإلكتروني، ثم إلى غرف الدردشة والمنتديات، ثم المدونات Blogs والتي أصبحت عُنصرًا جاذبًا للعديد من دول العالم بسبب شكلها وتصميمها ومجانيتها وملاءمتها للتشارُك بالنص والصوت والصورة بما أثر في بروز ظاهرة جديدة من المدونين يُمكنهم التأثير في الرأي العام حول العالم، وفي إطار نوع من الإحساس بالذات وبالآخرين ومُتطلبات الفرد والجماعة.

وأتاح الفضاء الإلكتروني كوسيلة إعلام تتميز بخصائص مُميزة تجتذب إليها العديد من المُشاركين ليكون له دور رئيسي في صياغة وتشكيل الرأي العام بما وفره من إمكانيات وقُدرات هائلة في التأثير على الآخرين، الأمر الذي جعل منه من أحد العوامل التي تؤثر بقوة في الرأي العام.

ومن أهم أدوات الرأي والتعبير عبر الإنترنت:

التجمعات الافتراضية: وهي عبارة عن مواقع على شبكة الإنترنت تُمثل نُقطة التقاء لمجموعة من الأشخاص يتواصلون معًا من خلالها باستخدام نظم القوائم البريدية أو التراسل الفوري والمُحادثة والحوارات المطولة، والذين يجمعهم اهتمام مُشترك إزاء قضية ما.

المنتديات: هي عبارة عن برمجيات يتم تركيبها على مواقع الإنترنت، لتسمح بتلقي مُساهمات وأفكار وآراء من قبل أي شخص يُسجل نفسه في المنتدى، وعرضها على المُشاركين الآخرين في اللحظة نفسها، ثم إتاحة الفرصة لكل المُشتركين الآخرين لقراءة

المُساهمة فورًا والرد عليها في اللحظة ذاتها، سواء بالاتفاق أو الاختلاف أو بالدفاع أو الهجوم. ومن هنا ينشأ الحوار الديمقراطي بشفافية وبلا قيود.

التعبير عن الرأي عبر نظام التصويت التليفوني: حيث يتم الاتصال التليفوني للمُشاركة بالرأي والتعبير، وأيضًا عبر الهاتف للمُشاركة في أحد البرامج أو التعبير عن مُشكلة ما أو موقف مُعين والتي تُعد جزءًا من عملية قياس الرأي العام.

استطلاعات الرأي الإلكترونية: حيث أصبحت مادة دسمة في الكثير من المواقع على شبكة الإنترنت والتي تهدف إما إلى استطلاع رأي زوار الموقع تجاه موقف معين أو محاولة بناء رأي تجاه قضية ما، وأصبح هناك استمارات رأي إلكترونية إلى جانب استطلاعات رأي سريعة حول الأحداث الجارية، وتتميز تلك الاستطلاعات بسهولة تسجيل المُستطلع رأيه وإلى درجة الأمان التقنية في الاستطلاع وتفادي عملية الأخطاء في عملية الإحصاء حيث يتم الإحصاء إلكترونيًا.

آلية التصويت والانتخابات: حيث يُستخدم الإنترنت في عملية التصويت في الانتخابات بالإضافة إلى الأدوات الأخرى، مثل: الهاتف المحمول، والهاتف الثابت، والبرامج الإلكترونية التي تُساعد على إعداد الجداول الانتخابية وقواعد بيانات الناخبين وتنقيتها وفرز الأصوات وإعلان النتائج، وتتميز برامج التصويت الإلكترونية بالشفافية والحيادية.[1]

البريد الإلكتروني والمجموعات البريدية: حيث يُستخدم لنقل الأفكار والآراء بين الأشخاص والتواصل السياسي بين المُرشحين والناخبين أو ما بين القادة السياسيين والجماهير حيث يتم إنشاء مواقع خاصة برؤساء الدول والزعماء، وبها البريد الإلكتروني الخاص بهم أو رؤساء الأحزاب السياسية أو قاده الرأي العام. ويتم تجميع عدد من البريد الإلكتروني في مجموعات يتم التراسل فيما بينهم وإعلام أعضائها بالمواد الإعلامية بشكل فوري وسريع، والدعوة للانضمام إليها من قبل أي مُستخدم للإنترنت حيث تكون العضوية بها مفتوحة.

مواقع الإنترنت الخاصة: حيث أدى سهولة إنشاء موقع على شبكة الإنترنت إلى اتجاه الأفراد أو المنظمات أو الأحزاب السياسية أو منظمات المجتمع المدني إلى إنشاء مواقع خاصة تعرض لقضايا مُعينة حيث رُخص التكلفة وتعدّد الوسائط الإعلامية حيث إمكانية إنشاء إذاعة عبر الإنترنت أو بث مواد إعلامية بما يقترب من وسيلة إعلام خاصة لكافة التيارات السياسية والدينية.

المدونات: وهي صفحات مجانية توفرها مواقع على الإنترنت للمُستخدمين حيث تتنوع وفق غرض القائم بالاتصال حيث يكون هناك مدونات شخصية ومدونات ذات طابع اجتماعي وسياسي، أو تخدم على مصالح حزبية، وتحتوي على مجموعة من المقالات القصيرة التي يتم تحديثها باستمرار كما في الصحيفة اليومية التقليدية، وآلية للنشر الإلكتروني على الإنترنت بأسلوب سهل، وأيضًا وسيلة نشر عامة أدت إلى زيادة دور الإنترنت باعتبارها وسيلة للتعبير والتواصل أكثر من أي وقت مضى.

مواقع التوقيعات الإلكترونية: والتي تُتيح فرصة التسجيل بعدد كبير كمعارض أو مطالب بتغيير سياسة مُعينة حيث يعتمد شرعية تلك التوقيعات بكم التوقيعات التي تجمعها عبر التسجيل من خلال مواقعها. وتكون تلك التوقيعات نوعًا من المُعارضة السلمية والتعبير عن آراء مُختلفة.

رسائل SMS والموبايل: حيث يتم استخدام رسائل الموبايل في حشد التعبئة السياسية والاطلاع على أخبار الانتخابات وخاصة مع اندماج خدمات الإنترنت والتحويلات المالية والخدمات التليفزيونية والإذاعية من خلال الهاتف المحمول وكذلك إمكانية التصويت في الانتخابات من خلاله.[1]

مواقع الشبكات الاجتماعية: وهي تلك المواقع التي تُتيح فرصة التعارف والاتصال بين عدد كبير من الأفراد على مستوى العالم كما يتم إنشاء مجموعات يُمكن أن تجتذب إليها المزيد من الأفراد، وتتميز تلك المواقع بسرعة تناقل المعلومات والصور، وخاصة مقاطع الفيديو، وذلك مثل موقع (الفيس بوك)، وموقع (تويتر).

الاستفتاء عبر الإيميل: ويتضمن إرسال استمارة الاستفتاء عبر الإيميل، ويقوم المبحوث بإعادة إرسالها عقب الإجابة عنها، وهذا النوع يحتوي على أسئلة بسيطة وقليلة مع إضافة بعض الأسئلة المفتوحة، وتصلُح هذه الطريقة بالنسبة للاستفتاء الصغير على عينة كبيرة، وتكون الاستجابة عالية في حالة استخدام عدد محدود من الأسئلة.

الاستفتاء عبر مواقع الإنترنت: هذا النوع من أبحاث السوق يتطلب إنشاء مواقع خاصة، فالأبحاث التسويقية تُعتبر وسيلة سهلة الوصول إليها، وتتسم بالتفاعلية والانتشار.

هناك ثلاثة وسائل لإعلام المبحوثين بوجود استبيان وإرسال دعوة للإجابة عن الاستبيان عبر الإيميل، والتسجيل في القوائم، ووضع دعوة لدخول الموقع للإجابة عن الاستبيان.

الوسيلتان لهما نفس السمات من حيث التعريف بالاستبيان وتوزيعها على المبحوثين ثم تحليل النتائج.[1]

استطلاعات الرأي الإلكتروني: وهي عبارة عن استمارة قد تكون صغيرة أو بسيطة تهدف إلى استطلاع رأي زائري الموقع حول أحد القضايا الهامة حيث يتم إظهار النتائج وعدد المصوتين ونسب المُشاركة.

التعليقات الإلكترونية: وهي عبارة عن قيام المُستخدم بكتابة تعليق على خبر أو حدث مُعين للتعبير عن رأيه أو موقفه من قضية ما، وهناك عدد من المواقع تُتيح تلك الخدمة.

وتوفر تلك الأدوات الأخيرة الوقت، وتُعتبر أكثر فاعلية، فيُمكن إرسال الاستبيان لكثير من أفراد العينة في وقت قياسي، والميزة الرئيسية هي أنه يُمكن للباحث من خلالها عمل ورقة عمل تفاعلية فهذه العملية تضيف إلى الاستبيان العديد من الوظائف التي تتأكد من خلالها من مدى صحة الاستبيان، فهي يُمكنها شرح المُصطلحات والتحقُّق من الإجابات.[85][2]

---

[84][1] د. جمال الزرن، «مصدر سبق ذكره».

الفضاء الإلكتروني ومظاهر التحول في الرأي العام

خصائص التحول:

- المركزية واللا مركزية: بتنقية الجهاز البيروقراطي من الفساد وعرقلة القرارات، وتقليل التكلفة، وتوفير قنوات اتصالية سهلة، وبشكل يُقلل من الاعتماد على الإدارة الوسيطة أو الهرمية، وجعل القرارات أكثر سُرعة للاستجابة لُمتطلبات المجتمع بما يزيد من الكفاءة والفاعلية.

- التفتُّت والاندماج: بالتأثير على التنظيم الاجتماعي وإنشاء روابط وتجمعات إلكترونية بين الدول المُختلفة، بما يُعزز من التفاهم الدولي المُشترك، وكذلك تسهيل عملية اندماج المجتمعات المحلية في السياسة العالمية وإمكانية التنسيق لتشكيل رأي عام دولي خلف القضايا المُختلفة.

- الشفافية: أصبح العالم أكثر قُربًا من بعضه البعض عن طريق دعم التكتل وراء قضايا عالمية، وجعلت ما يحدُث في أي دولة يُمكن معرفته في دولة أخرى كانتهاكات حقوق الإنسان وانتهاكات الحد من التسلُّح والديمقراطية والمُحاسبة السياسية، وساعد ذلك على حالة الشفافية في نشر المعلومات وما يكون لها دور في صنع القرار.

- التعبئة والرشادة: مكنّت المعلومات من إمكانية تعبئة الرأي العام خلف ما يحدُث ودفع الجماهير للقيام برد فعل قد يغلُب علية الاستجابات العاطفية تارة، والمُساعدة في الرشادة في اتخاذ القرارات تارة أخرى من خلال وسائل الإعلام الجديد.

- السرعة: بتجاوز الزمان والمكان وقيود الجغرافيا، وذلك بفعل الكمبيوتر والأقمار الصناعية وأنظمة الاتصالات بما ساعد في عمل المنظمات الإنسانية وعمليات حفظ السلام، وتوفير معلومات بصورة سريعة عن أماكن الكوارث والصراع

والقضايا والأحداث العالمية، وبما يعمل على تسريع الخُطى لاحتواء الصراعات، وتسريع وتيرة التدخُّل الدولي في إطار الأمن الإنساني المُشترك.

مظاهر التحول وآلياته:

- إتاحة الفرصة لكل جماعة أو فرد في تكوين جماعه تقف خلف قضية ما تُعبر عنها وتتعلق بمصالحها، ويكون الانضمام لهذه الجماعة مفتوحًا أمام الجميع ممن لديهم الرغبة في المُشاركة.

- تجاوز المجتمع المحلي بكل تقسيماته الضيقة للخروج إلى رؤية عامة تتعلق بالاهتمام بقضية من قضايا الرأي العام الدولي، وأصبح لتلك القضايا وغيرها دور في الاستحواذ على اهتمام المواطن المحلي الذي ظهر كمواطن عالمي تهمه قضايا عالمية ويتفاعل معها من خلال المُظاهرات أو الاحتجاجات أو المُشاركة بالرأي والتعليق أو تكوين تحالفات مؤيدة، وذلك عبر الفضاء الإلكتروني.

- تحول القضايا التي ينبغي أن يتم التفاعل بشأنها داخل الحياة الأسرية أو في حدود ذات الفرد تنتقل لتُصبح موضع حوار في المجال الوسيط أو المجال العام. وذلك بعد كسر احتكار دور الأسرة في التنشئة الاجتماعية.

- بروز دور للكُتلة الحرجة من الشباب لقيادة حركة التفاعلات الحادثة على الفضاء الإلكتروني وما تُمثله من المعارضة لكل ما هو قائم، والرغبة في تغييره كله أو بعضه، وذلك في ظل حالة من عدم إشباع الحاجات الأساسية. ابتداء من الحاجة إلى العمل والدخل، وحتى الحاجة إلى التعبير والمُشاركة، الأمر الذي يعني أنهم رافضون للمجتمع الواقعي القائم.

- تُمكن الفرد من صناعة المحتوى السياسي واستقباله وإرساله وذلك بالاستفادة من

إمكانات الهاتف المحمول وقدرته على التصوير والاتصال بالإنترنت وغيرها من الخدمات المُختلفة. وإتاحة القدرة على المُشاركة السياسية من أي مكان وفي أي زمان.

- القدرة على القيام بشكل جديد من الحركات الاجتماعية ونوع جديد من وظائف المجتمع المدني، وذلك بالقدرة على القيام بعمل فردي تطوعي حر غير خاضع لتوجهات من جهات مُعينة بل للقناعات الخاصة للفرد.

- القدرة على التحول من الاحتجاج الشخصي إلى تكوين وتشكيل جماعات وتحالفات إلكتروني عبر الفضاء الإلكتروني وبما يُساعد في عملية التأثير في الرأي العام.

- إتاحة الفرصة إلى تكوين إعلام بديل يُعبر عن اتجاهات المُعارضة وقادر على الربط بين فئات اجتماعية مُختلفة تتمثل في القوى الاجتماعية والثقافية والمُدافعين عن حرية الرأي والتعبير، وآراء الأقليات أو اتجاهات مناوئة للمعتقدات والأفكار السائدة والراسخة في المجتمع. وتبني آراء وموضوعات لا تحظى بالقدر الكافي من اهتمام وسائل الإعلام التقليدية، والتصدي لهيمنة وسائل الإعلام التقليدية، والمُشاركة في وسائل الإعلام، وحشد الدعم والتضامن ضد سياسات النظام السياسي.

الفضاء الإلكتروني وأنماط بروز الفاعلين الجُدد في تشكيل الرأي العام:

الفضاء الإلكتروني وخلق بيئة إعلامية بديلة لوسائل الإعلام التقليدية:

أصبح الإنترنت أقرب إلى برلمان عالمي يستطيع كل فرد أن يُعبر عن رأيه وفكره، ويُشارك في صُنع القرارات وعملية اتخاذها بصورة غير مُباشرة، كما يستطيع أن يعترض، وهذا ما يُعد من أُسس الديمقراطية، وتم تشكيل مجموعات افتراضية شبيهة بالأحزاب السياسية، وتُساهم كجماعة ضغط إلكتروني تؤثر في القرارات السياسية للحكومات وتؤثر في عملية صُنع قرارات السياسة العامة، وذلك كان له تأثير في المؤسسات الإعلامية الرسمية والتقليدية

سواء في طبيعة دورها أو نشاطها وقدرتها على التأثير في الرأي العام، حيث أدى الإعلام الإلكتروني إلى الانتقال من الإعلام الجماهيري إلى إعلام فردي يُمكن أن يوجهه الفرد للتأثير على الرأي العام وعلى السياسات الحكومية بعيدًا عن المؤسسات الوسيطة.

وقد شكل الإعلام الإلكتروني بيئة جديدة تستطيع كافة التيارات الفكرية والسياسية والثقافية والدينية التعبير عن نفسها بحرية وبدون أي حواجز أمنية أو جغرافية. وكذلك المواقع الإخبارية ومواقع الصحف ومواقع مُنظمات المجتمع المدني، وقد وفر الإنترنت أداة لنقل مُعاناة المُهمّشين في حياتهم ومشاكلهم اليومية، وذلك بعيدًا عن هرمية المؤسسات التقليدية بشكل أثر في فاعلية المعلومات المُتاحة بما يخدم التمثيل السياسي للمواطنين وعلى دور الأحزاب السياسية والمجتمع المدني. أيضًا ظهر الإعلام الإلكتروني كبديل عن المؤسسات التقليدية والصحف الورقية، وبشكل عملي على جذب الأفراد للتعبير عن آرائهم بشكل مُختلف عن الرقابة الرسمية، وبرؤية مُغايرة عما تتداوله الصحف الرسمية الورقية، وتميّزه بسهولة الحصول على المعلومات وانتشارها وانخفاض تكلفتها وصياغة الرسالة الإعلامية بشكل جيد، وبما أدى لكسر احتكار الدولة لوسائل الإعلام الجماهيري وتوسيع قاعدة المُساهمين في تشكيل قضايا الرأي العام بدلاً من دور النخبة التقليدي، وقد شكل ذلك ضغطًا على الحكومة تجاه ترشيد سياستها العامة، كما ساعد الإنترنت على تحسين دور وأداء الصحافة التقليدية على المُتابعة الجيدة وتعزيز مهنيتها. بالإضافة إلى الحد من دور الصحافة الحزبية والأيدلوجية.

الفضاء الإلكتروني وتشجيع عملية التغير السياسي والتحول الديمقراطي:

لقد أدت عملية التدفق الحر للمعلومات إلى إزالة الحواجز بين النظم السياسية بعضها البعض بشكل أدى إلى تحول الإنترنت إلى سوق عالمي للأفكار الديمقراطية وما وفرته ثقافة الإنترنت ذاتها من حرية ونمط اللا مركزية في الاختيار، وكذلك تم استخدام الإنترنت في الترويج للأجندة الدولية لحقوق الإنسان، وأدى إلى انفتاح المُجتمعات المُنغلقة

على ثقافات أخرى بدرجة ما تتمتع بالحرية والمستوى الاقتصادي والمعيشي بشكل أدى إلى مزيد من الضغط على النظم السياسية القائمة لتلبية مطالب مواطنيها، والذي أصبح يتطلع نحو الأفضل والملائم لثقافته وقيمه مع التوجه نحو العالمية. وذلك لما أتاحه الإنترنت من حرية الحوار والتعبير عن الرأي والمناقشات من خلال منتديات الإنترنت والمدونات وإنشاء المواقع والمجموعات البريدية واستطلاعات الرأي الإلكترونية والتجمعات الافتراضية ونُشطاء الإنترنت، وعملية الاحتجاج والعصيان المدني الإلكتروني.

وأصبح هناك علاقة بين ما يُتيحه النظام السياسي من حرية تكنولوجية وشرعيته السياسية، حيث أصبح الموقف من حريات وسائل الاتصال والمعلومات والإنترنت تؤشر لدرجة انفتاح النظام السياسي نحو الديمقراطية وعمل الإنترنت كمُعارض سياسي من خلال جعل المعلومات أكثر انفتاحًا على المجتمع، وتجاوز مساوئ المركزية، والمُساعدة في انتشار فكرة، وتجاوز الزمان والمكان، وإتاحة الفرصة للتعبير والضغط على الحكومة، والقدرة على تغيير خطط تحقيق الأهداف بسرعة، والقدرة على امتصاص الضربات الأمنية والقمعية، واستفادت المُعارضة السياسية الرسمية وغير الرسمية مما أتاحه الإنترنت من آليات للاحتجاج أو التظاهر عبر حشد المواطنين للتفاعل مع قضية ما عبر المنتديات أو المجموعات البريدية أو غرف الدردشة أو التصويت الإلكتروني على إحدى القضايا، أو رسائل المحمول، وكان من أكثر استخدامًا للإنترنت في المُعارضة السياسية أقباط المهجر، ثم الإخوان المسلمون في مصر، وأثر الإنترنت على كفاءة التنظيم السياسي من خلال سرعة الاستجابة للأحداث السياسية، والعمل على مُناهضة السياسة القمعية والحشد والتعبئة والتجنيد للمُعارضة دون الحاجة للدعم الخارجي بالضرورة.

الفضاء الإلكتروني وتعزيز المُشاركة السياسية الرسمية وغير الرسمية:

تُعرف المُشاركة السياسية بأنها النشاط الذي يقوم به الأفراد بصفتهم الشخصية بهدف التأثير في القرارات الحكومية، أي أنها تتعدى مُجرد التصويت في الانتخابات أو

العضوية في الأحزاب السياسية، ومن هنا تظهر قُدرة المدونات في توسيع مفهوم المُشاركة السياسية من خلال إعادة تعريف السياسي ليضُم كافة التفاعلات اليومية المُرتبطة بالتأثير في بنية القوة في المجتمع والتأثير في توزيعها، وكذلك في تكسير الحواجز بين العام والخاص، وبين النخبة والجماهير وبين الفرد والدولة، ويقوم المدونون بإنشاء قنوات خاصة خارج القنوات السياسية الرسمية للمُشاركة بطريقتهم للتعبير عن آرائهم ومصالحهم، وما أتاحته من أدوات تعبير جديدة دور فاعل في المُشاركة السياسية غير الرسمية في مصر، لما تتمتع به من ارتفاع سقف حرية التعبير، وكشفها لمُشكلات بنيوية وتنظيمية وثقافية ودينية وقانونية داخل المجتمع، وكونها أداة للتفاعل بين الفرد والمجتمع والدولة، وتأثيرها في طبيعة ونمط العلاقة بين مُدخلات ومُخرجات النظام السياسي.(1)

وكذلك المُساعدة في توسيع دور وعدد المُشاركين في قضايا بناء الرأي العام، وتشكيل درجة الوعي السياسي المكون للفكر، وبما يجعل الأفراد لديهم المبادرة لتنمية معارفهم وآرائهم السياسية بنفسهم دون الركون بالضرورة إلى مؤسسات الدولة الرسمية والإعلام الحكومي، ويبدأ الانتقال من حالة الرأي إلى إثارة الحوار والنقاش حول القضايا العامة في حوار يكون ذا طابع ندي، وهذا ما يصُب في التأثير في الرأي العام وصانعي القرار، وفي نفس الوقت يُمثل ضغطًا ورقابة على أداء الحكومة في آنٍ واحد، تأسيسًا على ذلك يُتيح الإنترنت التواصل مع العالم بأكمله، وبالتالي ستتغير أيضًا بشكل حاسم عملية تشكيل الرأي العام.

ومن المُمكن أن يُحدث تطور كهذا نتيجتين مُهمتين، وهما: الاشتراك العريض لقطاعات واسعة من المجتمع في بناء الرأي العام، وتبعًا لذلك مُشاركة عامة أوسع في مراحل اتخاذ القرار؛ حيث أدت الثورة التكنولوجية، وما أتاحه الإنترنت من إمكانية مُساهمة أي فرد في العملية السياسية إلى ظهور فاعلين جُدد ولاعبين في الحياة السياسية، ومن هؤلاء الأفراد الذين أصبحت لديهم القدرة على لعب دور الصحفي والإعلامي وكذلك المدونين والقراصنة الذين يقومون بدور في المُهاجمة والاعتراض والمُعارضة للنظام السياسي والتأثير في الأمن

الرقمي وبيئة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وكذلك أتاحت مواقع التعارف الاجتماعية عبر الإنترنت لوجود تجمعات شبابية ليست فقط محلية بل أنها تُعد دولية الطابع والتأثير حيث زيادة التعارف بين الشباب في العالم ومُناقشة قضايا هامة وتنسيق المواقف حولها وجمع التبرعات كقضية الفقر ومكافحة الإيدز.

الفضاء الإلكتروني وجودة الأداء الحكومي والحكم الصالح والنمو الاقتصادي:

أصبح مفهوم الحكومة الإلكترونية يؤثر في عمل ووجود الحكومة الكلاسيكية مع قدرتها على الاندماج الهائل في مُحيطها الاقتصادي والاجتماعي في ظل الدخول لمجتمع المعلومات بالترافق مع تغييرات مؤسساتية واستقدام لخبرات ومهارات إضافية بما يؤدي لتحسين الخدمات العامة وتعزيز الإجراءات الديمقراطية، ويُقدم الدعم اللازم للسياسات الحكومية، ويُقدم إدارة أكثر كفاءة لمواردها، وبالتالي تمكينها من تنفيذ سياساتها وخططها بكفاءة مرتفعة حيث المُساهمة في رفع جودة المعلومات وتبسيط طرق الوصول إلى المعلومات، وتخفيض كبير في زمن إنجاز المُعاملات، وتخفيض كبير في أعباء الحصول على الخدمات الحكومية، وتخفيض كُلفة تقديم الخدمة، ورفع مستوى تقديم الخدمة العامة، ورفع الكفاءة وتحقيق رضا الزبون (المواطن).

وما يكون ذلك انعكاسًا على عملية التنمية بقدرة المواطنين من الوصول إلى المعلومات بشكل أسهل، وهذا يؤدي لنشوء علاقة ثقة بين المواطن والحكومة، وتحفيز التحول الرقمي للمجتمع وإيجاد حالة من الحوار بين الجهاز الحكومي وأفراد المجتمع بما يؤدي إلى رفع كفاءة السياسات الحكومية وتحسين القدرة التنافسية للاقتصاد واستقطاب رءوس الأموال والاستثمارات.

كما جعلت بوابات الإنترنت التي تُساهم في تقديم الخدمات الحكومية العامة على التواصل المحلي مع المواطنين دون وسطاء حكوميين بما أدى إلى الوصول إلى درجة عالية

من الرضا عن أداء الحكومة والقُدرة على تقييمها. وساعد الإنترنت في التوجه نحو الحُكم الجيد والرشيد عبر برامج الحكومة الإلكترونية والتي تعمل على الحد من الفساد الإداري والبيروقراطية بما يؤدي لترشيد النفقات الحكومية، والقدرة على استيعاب مطالب المواطنين من خلال توفير تلك النفقات في تحسين نوعية الخدمة وسرعتها، وبما يعمل على تشجيع الاستثمار الأجنبي والمحلي بشكل يظهر في النمو الاقتصادي الذي أصبح الاقتصاد الرقمي المبني على تكنولوجيا الاتصال والمعلومات يلعب دورًا في معدلات النمو الاقتصادي عالميًا، وكذلك دور التجارة الإلكترونية واعتماد المؤسسات المالية والمصارف والبنية التحتية على الإنترنت.

الفضاء الإلكتروني والمُساهمة في تفعيل دور المجتمع المدني:

عمل الفضاء الإلكتروني على المُساهمة في تقوية مؤسسات المجتمع المدني سواء بقدرتها على التواصل مع مُجتمعها سواء عبر مُبادرتها أو مُبادرة المواطنين الذين يُصبح لديهم القدرة على الاتصال وبسهولة بتلك المُنظمات الأهلية، وبشكل يزيد من القدرة على تحسين أداء المجتمع المدني والعمل على المُحاسبية تجاه نفقاتها ومستوى تواصلها مع الجماهير، وقد توافر لتلك المُنظمات مواقع على الإنترنت يُمكن من خلالها تفعيل الرقابة على سير العملية الانتخابية ومواقع مُنظمات المجتمع المدني التي تُراقب سير العملية الانتخابية والأفراد الذين يستطيعون أن يبثوا ملاحظتهم عبر المدونات أو المواقع البريدية أو المُنتديات أو الدردشة أو استطلاعات الرأي الإلكترونية، وتلقي الشكاوى والمراسلات عبر البريد الإلكتروني أو عبر الاتصال المُباشر، وكشف الفضاء الإلكتروني عن القضايا التي تتفاعل مع الشارع، وتعكس اهتمامات الحياة اليومية، والعمل على لفت الانتباه لدى تلك المُنظمات الأهلية إلى قضايا مُعينة أو أماكن أصبحت بحاجة إلى مُساعدة، بل وتطور هذا الدور لإنشاء مُنظمات مدنية للدفاع عن قضايا ما بناء على تأثير تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، فمثلاً قضية التحرش الجنسي التي فجرها «مدون» عن طريق الإنترنت

ساهمت في إيجاد مُنظمات أهلية ضد التحرش وتدريب الفتيات على الدفاع عن نفسها، بل وجدت الحاجة إلى إيجاد كيان قانوني أو نقابي يُدافع عن حرية الرأي والتعبير عبر الإنترنت كتلك التي تتعلق بالمدونات، ووفر الإنترنت أداة للتواصل والارتباط بين مُنظمات المجتمع المدني المحلي والعالمي.(1)

الفضاء الإلكتروني وظهور أشكال جديدة للمُعارضة والاحتجاج الاجتماعي:

أتاح الإعلام الجديد الفرصة أمام الجمهور للتعبير عن احتجاجهم ومُشاركتهم وضغطهم على النظام السياسي الحاكم مُستفيدين في ذلك من اتساع دائرة انتشار الفضاء الإلكتروني أمام الجمهور.

ويُعد الاحتجاج شكلاً من أشكال الضغط غير العنيف على المؤسسات الحكومية أو الرسمية، وذلك لتحقيق مطالب مُعينة، ويأتي هذا الضغط في شكل إضراب عن العمل أو وقفات احتجاجية أو أي مظاهر احتجاج يتم الاتفاق عليها، وجاء التزاوج ما بين الاحتجاج كأداة للتعبير عن الرأي والإنترنت كوسيلة وأداة لاستخدام الفضاء الإلكتروني في التنظيم والحشد والتعبئة والتجنيد والتنسيق وشن حملات دعائية.

ويأتي هذا في صورة تقديم المُساعدة في الشكل التنظيمي والدعائي للاحتجاج التقليدي أو في وجود احتجاج يأخذ طابعًا إلكترونيًا بحتًا أو وجود احتجاج يجمع كلا النمطين، وهناك من يحتج على بعض المواد المنشورة عبر الإنترنت والمُعادية وكذلك المُطالبة بتغيير أوضاع أو سياسات أو احتجاج على اعتقالات أو أحداث بعينها. وظهر ذلك في تناول بعض القضايا ذات البعد الدولي مثل القيام بحملات إلكترونية لمقاطعة المُنتجات الدنماركية أو الاحتجاج على مُمارسات إسرائيل في الأرض المُحتلة إلى الاهتمام بقضايا حياتية تُعبر عن معاناة المواطن كارتفاع الأسعار وسياسات حكومية مُحددة.

ويعمل الفضاء الإلكتروني كوسيط في إجراء الاتصالات بين مؤيدي الإضراب، وطرح إمكانية الاستفادة من خبرات شبابية على صلة بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، كما يتميز بدرجة عالية من المرونة والانفتاح على الآخر، في إطار من الرغبة في تحقيق المنفعة العامة، ويُتيح الفرصة للتفاعل والاتصال المُستمر بين مُنظمي الإضراب بما ينعكس على تطوير استراتيجيتهم، وأيضًا يتم توظيف الإنترنت في نشر المعرفة والوعي بالقضية محل الاحتجاج، وتوفير وسيط إعلامي سريع الانتشار ورخيص التكلفة وفي متناول فئة عريضة من الشباب غير تشكيل مجموعات على موقع (الفيس بوك) أو المواقع الاجتماعية والمدونات ورسائل المحمول المجانية.

وخاصة ما إذا تم النظر إلى تأثير نشر كليبات التعذيب وكيف أثرت على السياسات الحكومية في مصر بمُراجعة أساليب التحقيق ومُعاقبة المُتورطين في عمليات التعذيب، وكذلك في الدور الذي قام به المدونون في تنظيم احتجاج ٦ أبريل والدعوة لاحتجاج ٤ مايو ٢٠٠٨ حيث شهد المجموعة الداعية له على (الفيس بوك) ما يزيد على ٧٠ ألف عضو، ولعبت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات دورًا آخر في بورما خلال مظاهرات الاحتجاج في أغسطس – سبتمبر ٢٠٠٧ ضد النظام العسكري، كما ساعد استخدام الرسائل الهاتفية القصيرة في حشد المواطنين للانطلاق في الاحتجاجات الجماهيرية، التي أدّت في عام ٢٠٠١ إلى سقوط رئيس الجمهورية آنذاك «جوزيف إسترادا» في الفلبين. وكذلك الحال في ميانيمار حيث أظهرت القمع العسكري ضد الرُهبان فيما عُرف بمسيرة الرهبان البوذ دورًا في حشد المجتمع الدولي ضد الحكم العسكري بها. وما ظهر جليًا في الانتخابات الرئاسية الإيرانية في يونيو ٢٠٠٩. وخاصة بما أتاحته الإنترنت ووسائل تكنولوجيا الاتصال والمعلومات من ظهور أساليب جديدة للمُعارضة والاحتجاج وحتى المُقاومة، ومن أهم صور الاحتجاج جمع التوقيعات الإلكترونية للمُطالبة بتغيير سياسات أو قرار أو إزالة صور تُعد مُسيئة أخلاقيًا أو دينيًا، والدخول إلى غُرف الدردشة والمُنتديات في الإنترنت

للقيام بحوارات وتكوين رأي مُناصر أو مُناهض لقضية من القضايا؛ وتكوين التحالُفات السياسية في الإنترنت.

ويتم نشر أفكار الإضرابات أو الاعتصام بين أكبر عدد من مُستخدمي الإنترنت عن طريق المجموعات البريدية ورسائل المحمول، ومُهاجمة المواقع الحكومية الإلكترونية أو مواقع الخصوم والقرصنة وسرقة المعلومات ونشر الفيروسات وغيرها، إرسال كم كبير من الرسائل الاحتجاجية لكافه الأطراف المعنية بصورة ضاغطة ومُزعجة عن طريق البريد الإلكتروني، وإنشاء مواقع إنترنت لنشر الأفكار والرؤى الخاصة بالموقف الاحتجاجي للحصول على تأييد الرأي العام وتجنيد الموالين والداعمين لفكرة الاحتجاج من جماعات المصالح المُختلفة.

الفصل الخامس

التجمعات الإلكترونية وبروز نمط جديد من الحركات الاجتماعية

الفضاء الإلكتروني وبناء رأس المال الاجتماعي

لقد أدت الثورة التكنولوجية إلى تنشيط المُجتمعات المحلية وزيادة الروابط بين الأفراد والمُجتمع حيث زيادة الحالة التفاعلية بين الأفراد سواء أكان في شكل فردي أم في شكل تنظيمات سياسية وحركات اجتماعية والتي تدعو إلى الحُكم الديمقراطي والعمل على بناء هويات محلية فاعلة تسعى لأن يكون لها دور في اللعبة السياسية مع زيادة الوعي بالهويات المحلية وأهمية دورها في العملية السياسية، وجعلت بوابات الإنترنت التي تُساهم في تقديم الخدمات الحكومية العامة على التواصل المحلي مع المواطنين دون وسطاء حكوميين بما أدى إلى الوصول إلى درجة عالية من الرضاء عن أداء الحكومة والقدرة على تقييمها.

كما استغل صانعو القرار ما أتاحته الثورة التكنولوجية من فعاليات للحوار مع أعضاء الحكومة السياسيين أو مع القاعدة الحزبية أو الجماهيرية، بما يُساعد على الارتباط القوي مع المجتمعات المحلية، وتشجيع دورها في صنع القرار بالإضافة إلى دور المجتمع المدني والحكومة اللا مركزية. وامتد تأثير الفضاء الإلكتروني للمُساهمة في بناء رأس المال الاجتماعي للديمقراطية المحلية، وذلك من خلال تنشيط المجتمعات المحلية وزيادة الروابط بين الأفراد والمجتمع حيث زيادة الحالة التفاعلية بين الأفراد سواء أكان في شكل فردي أو في شكل تنظيمات سياسية وحركات اجتماعية التي تدعو إلى الحكم الديمقراطي، والعمل على بناء هويات محلية فاعلة تسعى لأن يكون لها دور في اللعبة السياسية مع زيادة الوعي بالهويات المحلية وأهمية دورها في العملية السياسية، وإعادة تشكيل القوة والثروة بين أطراف المجتمع وبين غيرها من المجتمعات.

الحركات الاجتماعية والتجمعات الإلكترونية:

يتم النظر إلى «الحركات الاجتماعية» بوجه عام على أنها ردود أفعال لتغييرات بنائية في المجتمع ومن ثم فإنها مُرتبطة بتحولات الاقتصاد والسكان والتكنولوجيا وبنية النظام السياسي ذاته، وأنها سواء أكانت عُنصر هدم أم بناء داخل المجتمع أو دورها الوظيفي فهي في جميع الحالات نتاج خلل اجتماعي داخل النظام.

وتُعرف الموسوعة السياسية «الحركة» على أنها التيار العام الذي يدفع طبقة من طبقات أو فئات اجتماعية مُعينة إلى تنظيم صفوفها بهدف القيام بعمل موحد لتحسين حالتها الاقتصادية أو الاجتماعية أو السياسية أو تحسُّنها جميعًا.

وتُعرف موسوعة علم الاجتماع الحركات الاجتماعية على أنها الجهود المُنظمة التي يبذُلها عدد من الناس المؤثرين، وتهدف إلى تغيير أو مُقاومة تغيير جانب سلبي أو أكثر في المجتمع، كما أنها جهد مُتصل لجماعة كبيرة نسبيًّا من الناس يستهدف إحداث التغيير الاجتماعي بدرجات مُختلفة –بأسلوب عنيف أو سلمي– ينجم عن حدوث خلل في البناء الاجتماعي والنظام السياسي ونمط القيم الثقافية، ويتوافر فيه قدر من الوعي بضرورة التغيير ومضمونه، ويتسم بخليط من التنظيم والعفوية، وسرعة الانتشار والتغلغل خاصة بين عامة الناس.

وتتميز الحركات الاجتماعية الجديدة بأنها بعيدة عن التحديد في إطار طبقة مُعينة، وأنها تتبنى هويات مُتنوعة، وتكون أهدافها ثقافية بالأساس، وتعتمد على التنظيم الرسمي غير الرخو، وتتميز بوعي مُرتفع، وهي تهتم بتوسيع المُجتمع المدني والاستقلالية، وهي اجتماعية وليست سياسية بشكل مُباشر، وتسعى تلك الحركات لكي تكون مزجًا بين مُختلف جوانب الحياة الاجتماعية وتوسيع دائرة النشاط السياسي، وتقوم الحركات الاجتماعية الجديدة بالربط ما بين القضايا الخاصة والعامة، ولا تسعى الحركات الاجتماعية إلى امتلاك مؤسسات السلطة، ولا تزاحم الأحزاب السياسية، بل إنها تأمل في ترسيخ نمط فعّال من المُشاركة الاجتماعية، والتي قد تتحول إلى حزب سياسي.

ويُعد التغيير الاجتماعي عملية تحول بالطريقة التي يُنظم فيها المجتمع، وداخل المؤسسات، وفي توزيع السلطة داخل مُختلف المؤسسات الاجتماعية والسياسية. ومن أجل تغيير السلوكيات على نطاق واسع يجب مُراعاة بعض المُمارسات الثقافية الضارة والمعايير الاجتماعية والتباينات الهيكلية، لذلك تنحو نهج التغير الاجتماعي إلى التركيز على المجتمع المحلي كوحدة للتغيير. والذي تلعب به وسائل الاتصال والإعلام الجديد دور عوامل التغيير

Agents of Change حيث تعمل من خلال إحداث أبعاد اجتماعية واقتصادية وثقافية وسياسية. وتحريك العلاقات على مستوى الأفراد والأنساق الاجتماعية ورصد الأبعاد التنموية لتكنولوجيا الاتصال؛ وذلك لاحتوائها على مُعطيات تُفسّر تطور المجتمع باتجاه المعلوماتية، ورصد ملامح التغير الاجتماعي في المُجتمع المعلوماتي.

ظهور التجمعات الإلكترونية ذات الطابع الاجتماعي:[1]

لقد ساهمت شبكة الإنترنت في إيجاد إطار جديد للعلاقات الاجتماعية عابرة للحدود حيث أحدث ذلك تغييرًا في الجماعة الاجتماعية التي تُعد مجموعة من الأفراد يجمع بينهم قيم مُشتركة وشعور بالانتماء، ويدينون بالولاء لقيم وتقاليد مُشتركة، وجعل الإنترنت من السهولة في إنشاء تجمعات اجتماعية تتجاوز القيم والمكان ليكون الأساس المُشترك بين جماعات مُشكلة عبر الفضاء الإلكتروني هو الاهتمام المُشترك أو الموقف من قضية ما وبما خلق ما يُمكن أن يُسمى بالجماعات الإلكترونية، والتي تُعبر عن شكل جديد من أشكال التفاعل الإنساني بين العديد من الأفراد في مُختلف الدول، وينتمون إلى هويات مُختلفة، ويتواصلون فيما بينهم من خلال الاتصال بالإنترنت واستخدام كافة أدوات الرأي والتعبير والاتصال، والتي ساعدت على نقل حركة التفاعلات الاجتماعية على أرض الواقع وجعلت من تلك التفاعلات حدثًا إعلاميًا يُمكن أن ينتشر عبر وسائل الإعلام ليُصبح حدثًا عالميًا بما جعل من قضايا محلية تأخذ بُعدًا دوليًا.

وتتم التفاعلات داخل التجمعات الإلكترونية عن اتصال إلكتروني تفاعلي ومتواصل ويضُم أفرادًا مُتنوعين يشتركون في نفس الأفكار والأنشطة، وهناك إتاحة لمن يُريد المُشاركة. وساهم الإنترنت في تشكيل وعي الفئات الاجتماعية التي تتفاعل بداخلها وتلعب دورًا حيويًا في تكامل منظومة القيم الثقافية، وظهر ذلك في بروز الطابع الإلكتروني للثقافة والتي تحولت بدورها إلى رموز داخل الفضاء الإلكتروني.

وهذا ما جعل جماعات الإنترنت لها إطار جديد من التفاعلات الاجتماعية ذات الطابع الدولي وذلك بخروجها من طبيعة الجماعات الاجتماعية التقليدية، وساهمت عدة عوامل في تعظيم ذلك التحول كالانتشار الواسع لتكنولوجيا الاتصال والمعلومات عالميًّا، وزيادة حجم المُستخدمين، وبروز العالم كما لو كان قرية صغيرة، وبرزت القضايا الدولية بشكل أكثر إلحاحًا فيما يتعلق بالأمن الإنساني.

وتتميز التجمعات الإلكترونية بأنها تجمعات اجتماعية لا ترتبط بمكان مُحدد، ويكون بين تلك التجمعات وسائل للاتصال والتواصل عبر الفضاء الإلكتروني، ويكون لدى هذه التجمعات أهداف مُشتركة أو اهتمامات مُتشابهه، ويكون هناك حُرية في الانضمام إلى هذه التجمعات أو الخروج منها أو تجميد الانضمام.

وظهر التجمع الإلكتروني كتعبير عن حجم التفاعلات التي تحدُث داخل الفضاء الإلكتروني عبر مستويات اجتماعية واقتصادية وجغرافية مُختلفة.

وظهرت ثقافة إلكترونية تتميز بأنها تتركز على المعرفة الجديدة وأهمية المعلومات، وتتميز بأن لها معايير أخلاقية جديدة ومؤسسات ثقافية وتعتمد على الإبداع والابتكار وظهور إعلام جديد، وعلاقات اجتماعية جديدة وموازين للقوة جديدة وآليات مُتعددة.

ومع بروز تلك التجمعات الإلكترونية ظهر الفاعلون داخل تلك التجمعات فيما يُطلق عليه «نشطاء الإنترنت» وهم الأفراد الذين لديهم مُشاركات إلكترونية نشطة على مستويات مُتعددة، وهم الأشخاص الذين يبدون أكثر ميلاً من غيرهم في نتاج مُبادرات ذات صلة بما يجري من حولهم من تفاعلات في كافة مناحي الحياة أو بعض منها وما يتصل بها من قضايا ذات صلة بمُجتمعهم أو وطنهم تجاه العالم، وقد تكون تلك المبادرات قولية أو عملية، وترتبط بالواقع وتتحرك إلكترونيًّا عبر الفضاء الإلكتروني.

واكتسب ذلك أهميته من حالة التفكك التي تُعانيها بعض المُجتمعات نتيجة بعض المُشكلات ومع حالة العجز التي تُعانيها مؤسسات الدولة في مواكبة المطالب المُتزايدة لمواطنيها مع حالة الانفتاح بين ما هو محلي وما هو عالمي وما هو مُمكن تحقيقه وما لا يُمكن تحقيقه.

تُمثل مواقع الشبكات الاجتماعية امتدادًا طبيعيًا للعلاقات الاجتماعية الحقيقية، حيث أنها تربُط شبكات الأفراد الذين قد لا يتشاركون المكان نفسه، ومن هنا يُمكن تعريف مواقع الشبكات الاجتماعية على أنها: «خِدْمات توجد على شبكة الويب Web-Based Services تُتيح للأفراد بناء بيانات شخصية Profile عامة أو شبه عامة خلال نظام مُحدد، ويُمكنهم وضع قائمة لمن يرغبون في مُشاركتهم الاتصال ورؤية قوائمهم أيضًا للذين يتصلون بهم، وتلك القوائم التي يصنعها الآخرون خلال النظام».

وتمكنت تلك المواقع من الخروج من مكان جغرافي مُحدد إلى تعدي الإقليم والعالم مثل (فيس بوك) مرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية، و«أوركوت» بالهند، و«ميكس» باليابان، و«لونارستورم» LunarStorm بالسويد، و«بيبو» Bebo بالمملكة المتحدة، و«فريندستر» بجنوب شرق آسيا، و«هاي فايف» بالبرتغال وأمريكا اللاتينية، و«ساي وورلد»Say world بكوريا، ودفعت عملية الاستخدام المُتزايد والمُتسارع لمواقع الشبكات الاجتماعية في مناطق العالم المُختلفة عملية التأثير في القيم والمُمارسات داخل كل مجتمع وعلى مستوى الدول ككل وذلك عن طريق تأثير الإعلام والاتصال في التغيير.

وبروز سلوكيات ترتبط ببيئة الاستخدام لهذه الشبكات أثناء وجودهم وبما يخلق مجالاً للتفاعل وأدوات ووسائل جديدة للتعبير وخاصة مع ما تتميز به من حرية وكسر الحواجز وعدم كشف الهوية، وأصبحت تلك الأدوات يتم إستخدامها إما لتعريف الذات أو التعبير عنها والاتصال مع غيرها بإنشاء روابط اتصالية. وساعدت تطبيقات الشبكات الاجتماعية على الإنترنت إمكانية توافر المعلومات والبيانات عن الأشخاص والبلدان

والمواقع التي يُمكن على أساسها خلق شبكة تفاعُل بين كافة المُستخدمين، وتتوقف قوة الشبكة على طبيعة التفاعل أو الصلة أو التبادُل وقوة الروابط بين الأفراد وحجم الشبكات والانتشار. [86(1)]

[86(1)] انظر في ذلك عادل عبد الصادق الديمقراطية الرقمية، سلسلة مفاهيم، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، اكتوبر ٢٠٠٩

الحملات الإلكترونية والتأثير في الرأي العام

ماهية الحملة الإلكترونية:

كشف الفضاء الإلكتروني عن المجموعات والأفراد الأكثر تأثرًا بغيرهم وهم ما نُطلق عليهم: «قادة الرأي» لأنهم القادة الاجتماعيون، وفي أيديهم السيطرة على وجهات النظر السائدة في المجتمع تجاه قضية، وهم الذين يستوعبون المادة الإعلامية بشكل أسرع من غيرهم، ويستجيبون قبل الآخرين لتبني الأفكار المُستحدثة، وتلعب الحملات والتي تكاد تكون أقرب إلى عمل جماعي يهدف لتحسين الأوضاع السياسية والاجتماعية والثقافية والعمل على تغييرها، وخاصة من الأفراد المُهمشين الذين يستخدمونها للتعبير عن حياتهم اليومية بعيدًا عن الصراع القائم داخل المؤسسات الرسمية الحكومية.

وتُعد الحملات الإلكترونية عملاً فرديًا أو شبه فردي يتحول إلى عمل جماعي تطوعي مُنظم يستهدف إحداث التغيير الاجتماعي والثقافي والسياسي داخل المجتمع عن طريق استخدام الفضاء الإلكتروني كوسيط لحجم التفاعلات أو المزج بينه وبين فعاليات على أرض الواقع، وقد تكون الحملة مجرد رد فعل سُرعان ما ينتهي، وقد تتحول الحملة إلى حركة عن طريق قُدرتها على الاستمرار وما ترتبط به من قضية ذات أبعاد مُختلفة، وكذلك حجم التأييد من جانب المجتمع ومؤسساته المعنية.

وتتنوع الحملات الإلكترونية ما بين حملة يتم شنها من الفضاء الإلكتروني، وتنتقل إلى التأثير في أرض الواقع، وحملة أخرى تنتقل من أرض الواقع سواء أكانت في شكل أحداث أم وقائع إلى الانتشار عبر الفضاء الإلكتروني.

وهناك نوع ثالث يتم شن الحملة داخل الفضاء الإلكتروني بين مُستخدميه فقط. ويُمكن القول: إن الحملات الإلكترونية التي تم شنها تراوحت ما بين الاهتمام بالشأن المحلي إلى

الاهتمام بقضايا دولية، وذلك من حيث درجة الاهتمام، أما من ناحية الاستمرارية فهناك حملات تميزت بأنها كانت رد فعل وقتي، وهناك حملات بتطورت من مجرد رد الفعل إلى تطوير طريقة عملها وإطالة عُمرها.

أما من حيث القائمين عليها فيقوم بها مدونون ونشطاء الإنترنت، وغير مُنتمين إلى حزب سياسي في أغلبهم والتي قد ينضم إليهم حركات وتيارات سياسية مُعارضة أمثال حركة (كفاية) أو (الإخوان المُسلمين) أو أحزاب (التجمع) و(الوفد). وكشف ذلك ضعف الأحزاب السياسية في التعبير عن رؤيتها وفشلها في جذب الشباب والتأثير في الرأي العام، أما من حيث القضايا فهناك حملات عبر الفضاء الإلكتروني اهتمت بقضية محلية خالصة، وهناك من الحملات من اهتم بقضايا دولية فقط والتي ارتبطت بحملة مُقاطعة البضائع الغربية.

وتم تشكيل مجموعات افتراضية شبيهة بالأحزاب السياسية، وتُساهم كجماعه ضغط إلكتروني تؤثر في القرارات السياسية للحكومات وتؤثر في عملية صُنع قرارات السياسة العامة، وأدى إلى تطوير أساليب العمل الاجتماعي في إطار تحول الإنترنت إلى وسيلة إعلام دولية مع اندماج كل من أنواع الإعلام التقليدية مثل الإعلام المقروء والمسموع والمرئي داخل الإنترنت.

أهداف الحملات الإلكترونية:

تهدف الحملات الإلكترونية إلى التعبير عن رأي أو موقف لا يُمكن التعبير عنه على الواقع، والتأثير في الرأي العام وأفكار الناس وآرائهم في قضية مُعينة، وتحريك الطاقات والقدرات الشعبية على الإنترنت واستغلالها لأهداف مُحددة. وإيصال الرأي أو الموقف إلى جهات مُحايدة (أو حتى معادية) لا يُمكن الوصول لها من خلال الواقع، ولا يتم الوصول لها إلا بهذه الأساليب.

وتنطلق الحملة الإلكترونية عبر أرضية تتكون من عمل الفرق والمسئولين، ونقطة تواصل وتشاور فيما بينهم لتنفيذ مهام الحملة بالإضافة إلى خلق شبكة من المؤيدين لتلك الحملة سواء بين مُستخدمي الإنترنت أو تحقيق التفاعُل مع غيرهم من الجمهور، ويكون هدف الحملة استهداف الشباب باعتبار أنهم الفئة الأكثر التصاقًا باستخدام تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والأكثر قابلية على النشاط والحركة وخاصة بين طلبة الجامعات، ولا ضير من جذب بعض رموز المجتمع أو مشاهيره للحملة بما يُحقق الانتشار، ويتم إطلاق الحملة سواء عبر موقع إنترنت أو مُنتدى حواري أو مجموعة نقاش خاصة، أو عن طريق توزيع المُلصقات والشعار الخاص بالحملة وأهدافها، ونظرًا إلى طبيعة الحملة غير الربحية فإنها تعتمد على الجهد التطوعي من جانب مؤيدي ومُناصري الحملة.[1]

صور وأشكال الاحتجاج وشن الحملات عبر الفضاء الإلكتروني:

- جمع التوقيعات الإلكترونية للمُطالبة بتغيير سياسات أو قرارات أو إزالة صور تُعد مُسيئة أخلاقيًا أو دينيًا.
- الدخول إلى غُرف الدردشة والمنتديات في الإنترنت للقيام بحوارات وتكوين رأي مُناصر أو مُناهض لقضية من القضايا؛ وتكوين التحالُفات السياسية في الإنترنت.
- كما يتم نشر أفكار الإضرابات أو الاعتصامات بين أكبر عدد من مُستخدمي الإنترنت عن طريق المجموعات البريدية ورسائل المحمول.
- مهاجمة المواقع الحكومية الإلكترونية أو مواقع الخصوم والقرصنة وسرقة المعلومات ونشر الفيروسات وغيرها.[1]
- إرسال كم كبير من الرسائل الاحتجاجية لكافة الأطراف المعنية بصورة ضاغطة ومزعجة عن طريق البريد الإلكتروني.

- إنشاء مواقع إنترنت لنشر الأفكار والرؤى الخاصة بالموقف الاحتجاجي للحصول على تأييد الرأي العام وتجنيد الموالين والداعمين لفكرة الاحتجاج من جماعات المصالح المُختلفة.

- تأسيس مجموعات على مواقع الشبكات الاجتماعية وجذب الأعضاء إليها كمواقع (الفيس بوك)، و(تويتر)، وغيرها لخلق شبكة من الاتصال والتواصل بين المجموعة وخارجها.

عناصر نجاح الحملات الإلكترونية:

- درجة ارتباط أعضاء الحملة بعضهم البعض من خلال استخدام كافة الوسائط المُمكنة لدعم التفاعل بين المجموعة من جانب وبينها وبين المجتمع والرأي العام من جانب آخر.

- عدد الأفراد المُشاركين في الحملة الذين يُمثلون قدرة على جذب الآخرين، وفي نفس الوقت لديهم درجة عالية من الانسجام الداخلي.

- درجة التفاعل بين الحملة والرأي العام.. فكلما كانت درجة التفاعل عالية كلما زاد عمر الحملة ودرجة تأثيرها ونجاحها.

- الإدراة الجيدة للحملة فيما يتعلق باختيار الشعار وطبيعة الاتصالات والمعلومات والعلاقة مع الصحف ووسائل الإعلام الأخرى.

- قُدرة الحملة من الانتقال من الطابع الإلكتروني من خلال التجمعات الإلكترونية إلى ترجمة ذلك على أرض الواقع في شكل تفاعُلات يحس بها من لا يتعامل مع الإنترنت أو من لا ينضم إلى تلك الحملة.

- قدرة الحملة على نسج علاقات جيدة من المؤسسات ذات الصلة وخاصة مؤسسات المجتمع المدني وأجهزة الدولة المعنية.

- يتوقف نجاح الحملة على تحديد أهداف الحملة وإطارها الزمني وتوزيع المهام بشكل دقيق ومحدد بين جميع الفرق والمسئولين بالإضافة إلى الفريق الفني والطابع الإعلامي للحملة من خلال تصميم الشعار، والاستعانة بالمنتديات والقوائم البريدية من أجل نشر موضوع وفكرة الحملة وأنشطتها وبياناتها.

دور الحملات الإلكترونية في التغيير داخل المجتمع [1]

- إن الحملات الإلكترونية لا ينبغي أن تُقاس بمدى نجاحها أو عدد المُوقّعين أو المُشاركين فيها، ولكن بقدرتها على توصيل الاحتجاج إلي المسئولين والتعبير عن الجماهير وحقوقها وحرياتها المُنتقصة أو المُعتدى عليها.

- إن الرد الحقيقي على الاحتجاجات يجب أن يأتي في شكل مواجهة بأفكار مُضادة في ظل حرية التعبير والرأي بدلاً من استخدام الترهيب والعنف.

- إن الاحتجاجات بطبيعتها تأتي تعبيراً عن واقع اجتماعي ومُشكلات اقتصادية.

- إن الاحتجاج الإلكتروني يُعبر عن ظهور قوى جديدة فاعلة في الحياة السياسية، يُمكن الاستفادة منهم بعيداً عن اتهامهم بنشر الشائعات أو الفوضى، وذلك لاعتمادهم على آليات عمل مُختلفة تُشكل لها مصادر قوة جديدة، تشكل دورها المُستمر في طرق التأثير وتعبئة الرأي العام.

- إن الحملات الإلكترونية والفاعلين بها تعبير عن واقعهم الاجتماعي الذي يعيشون فيه وكنتيجة لما آلت الثورة التكنولوجية والاتصالية وكإضافة جديدة لنشاط الحركات الاجتماعية وتغير في طبيعتها، وكونهم فئة عُمرية أغلبها من الشباب يُعاني من مشكلات ويملك طموحات.

- يمتلك الفاعلون في الحملات الإلكترونية القدرة على مُخاطبة الرأي العام وصوغ أهدافه والتلاحم مع مشاكله بدرجة أكبر وأسرع من المؤسسات التقليدية،

وأصبحت تعبيرًا في ذات الوقت عن مُفارقة هامة مؤداها تزايُد دور أدوات الرأي" والتعبير عبر الإنترنت مع حالة الحراك الاجتماعي والسياسي.

- تُعبر الحملات الإلكترونية عن دور الإعلام الجديد والاتصالات في دفع عملية التنمية الشاملة، والذي قد يتم عن طريق التغيير السلوكي والاجتماعي وهو ما يتطلب استراتيجيات مُختلفة ومجموعات فريدة من المهارات، والقنوات الجماعية ووسائط الإعلام والطرق القائمة على المُشاركة، وخاصة مع دور الفرد المركزي في دعم استراتيجيات تغيير السلوك.

الفضاء الإلكتروني بين صُنع السلام وبث الكراهية الدينية:

كانت العلاقة بين الفضاء الإلكتروني ودرجات التأثير في الرأي العام العالمي عبر ما يتم بثه من مواد إعلامية قادرة على الانتشار والتمدد وحسن الرسالة الإعلامية من خلال تنوعها بين الصوت والصورة والنص إلى المزيد من الجذب والتأثير، وهذا ما أضاف أبعادًا جديدة لتأثير الصورة في التغييرات السياسية والاقتصادية والاجتماعية بين الدول حيث بات يُطلق على عصر المعلومات عصر الصورة وما تحمله من رموز ودلائل ثقافية مُعينة، وكان من أبرز تلك النماذج نشر كليب إعدام الرئيس الراحل (صدام حسين) عشية عيد الأضحى المُبارك عام ٢٠٠٦، ولم يُنشر ذلك على واقعة الإعدام فقط، بل تم نقل ردود أفعال حول الواقعة بما أثار استياء غالبية المُسلمين السنّة من جانب ومن جانب آخر أثار الاستياء من الولايات المتحدة الأمريكية واحتلالها للعراق، وهذا ما دفع إلى قيام المزيد من المُظاهرات داخل العالم الإسلامي احتجاجًا على وقائع الإعدام وما تم بها من إهانه الرئيس الراحل وعلى توقيت الإعدام في حد ذاته.

وكان هناك حادثة أخرى هي نشر ١٢ رسمًا كاركاتيريًا مُسيئًا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم في جريدة محلية دنماركية والتي تم نشرها من خلال موقعها على الإنترنت

وتبادلها بين العديد من المُستخدمين بما جعل تلك الرسوم قضية دولية تؤثر في الرأي العام داخل العالم الإسلامي حيث نتج عن نشر تلك الرسوم وتبادُلها إلى حدوث أعمال شغب في الشرق الأوسط وأفريقيا والعالم الإسلامي بما أدى إلى حرق السفارات ومقاطعة البضائع الدنماركية واستدعاء الدول لسفرائها من الدنمارك، وقد تم قتل ٢٠٠ شخص في هذه الأحداث، هذا فضلاً عن العديد من الأحداث مثل: الإعصار البحري الذي ضرب جنوب شرق آسيا المعروف بتسونامي والذي شهد حالة من التعاطف الدولي، وكذلك ما يحدث في الزلازل والبراكين(١).

الفضاء الإلكتروني وبث الكراهية الدينية:

وتكمُن أهم مُسببات زرع الكراهية حين يُصبح الفضاء الإلكتروني واستخدام مواقع الإنترنت المُعبرة عن كافة الأديان والثقافات والتي يُمكن أن يُساهم في إنتاجها أناس يحملون رؤى مُتطرفة أو أنها على غير وعي أو سطحية المعرفة مع حرية استخدام تلك المواقع، حيث يتم إبراز كل دين وتاريخه وأتباعه والتشكيك في الأديان الأخرى، وتم توظيف كافة الأدوات والوسائل التكنولوجية من خلال النص والصوت والصورة للتأثير في الجمهور حيث يسود في تلك المواقع احتكار الحقيقة المُطلقة، ويكون الفضاء الإلكتروني مرتعًا للانتقام من المُختلف الديني، والتي تنبع من ظلم اجتماعي وسياسي وكأداة للحرب النفسية.

وهناك أسباب تتعلق بخصائص وذاتية الفضاء الإلكتروني وما يوفره من ميزة نسبية عن الوسائل التقليدية سواء في الانتشار وقدرته على صياغة الرسالة وجودتها وكمصدر للأخبار تعتمد علية الصحُف التقليدية الورقية، وجاء ذلك مع حدوث عمليات تشابُك للعامل الثقافي مع احتقانات داخلية تأخذ شكل تباينات اقتصادية وعرقية أو إثنية خاصة في الدول الضعيفة في بنائها القومي، ومُحاولة الاستغلال السياسي للدين، وخاصة من قبل اليمين المُتطرف في أوروبا لإثارة التمييز ضد الأقلية العربية والإسلامية أو تغليب العامل الأمني على السياسي الذي يستغل الدين في التعبئة والحشد كحالة المُحافظين الجُدد في الولايات المتحدة، وهناك عامل يتعلق بأهمية وتصاعد دور الدين في العلاقات الدولية

وخاصة بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وزيادة انتشار تكنولوجيا المعلومات بمُعدلات" مُتسارعة والتي دفعت إلى الإحساس المُتزايد بالأنا مقابل مُحاولة الآخر فرض قيمه ومُعتقداته حيث كشفت عن الانتماءات الأولية والهويات التي كانت تُعتبر سرية من قبل.(١)

. وأثر الفضاء الإلكتروني في القيم والأفكار والاتجاهات والسلوك والمعرفة لأفراد المجتمع، وظهر دور العامل الثقافي مع وجود توترات اجتماعية بما أثر في النخب والجماعات والأفراد الذين يُساهمون في صنع السياسة العالمية، والتفاعل بين كافة التيارات السياسية سواء أكانت شرعية أم غير المُعترف بها، ووجود استقطاب فكري تسعى كل جماعة فكرية للحفاظ على ما تراه موضع قدم في مُستقبل جديد فهو صراع حول رؤية المستقبل.

يشهد الفضاء الإلكتروني عمليات الدمج مع الثقافات المُختلفة وتحولها لصور رمزية سريعة الانتشار والتحرُّك والتفاعل مع الآخرين، وإنتاج وإدارة وتوزيع العملية الثقافية في العالم، وظهر الدين كأحد مكونات تلك العملية لتدفع الأفراد للتعرُّف على أوجه عديدة ومُتمايزة للإنسانية عن نظرتهم الأحادية، وبشكل يتم فيه التفاعل إلى حد الصدام ما بين التقليدية والقيم المحلية وما يفرضه الفضاء الإلكتروني من تحدٍّ لتلك القيم والجماعات التي تُدافع عنها في صورتها التقليدية.

ويأتي هذا مع تراجع الإعلام الجماهيري للصالح الإلكتروني حيث لا سيادة للدولة عليه وقدرته على الانتشار وقدرته الفائقة على تضخيم جزئيات إعلامياً بعيداً عن أهميتها النسبية عبر مواقع الإنترنت، والتي انصب جزء منها على بث الكراهية الدينية مع المُختلف الديني. وأصبح الإنترنت ظاهرة مركزية في عالم الحداثة وما بعدها والتي تتفاعل مع التقاليد الدينية للجماعات الأصولية في ظل مخاطر صراع حضاري يتم تغليفه بطابع ديني مما يُضفي على الصراع عُمقه وطول أمدة وتوالي خسائره.

وأدى الإعلام الإلكتروني لتقسيم الجمهور لفئات ومجموعات صغيرة، ويبدأ هذا التنوع يزيد بدوره من التشتُّت الثقافي والتمحور حول موضوعات مُحددة، وفُقدان التماثُل الثقافي

الذي ميز المجتمعات القومية. وتحول الإعلام الجماهيري إلى إعلام فئوي يُستخدم لإذكاء الصراعات العنصرية وتنمية اتجاهات الكره لدى الكثير من الفئات المُناهضة لفئات أخرى. وأصبحت هذه السمات تتمتع بحضور دائم لمنظومة الإعلام الإلكتروني ووسائله في نطاق تطور تقنيات المعلومات المُعاصرة، وزحزحة قوة الدولة القومية وركائزها لصالح فئات وجماعات كفاعلين من غير الدول، وأخذت التكنولوجيا مكانها ضمن سياقات مجتمعية تملك خصوصيات تاريخية لكنها تندرج في الوقت نفسه ضمن الحراك الاجتماعي العالمي.

ويتميز الإعلام الإلكتروني برُخص الأداة، وضعف الرقابة وتنوع وسائله وانتشاره وتخطيه للحدود وقدرة أي فرد على التأثير فيه، وشكل نوعًا اجتماعيًا جديدًا من التواصل، وهو كثيف دون شك، لكنه صادر ومُتلقي ومحسوس من قبل كل فرد على حده، وتم تملكه في إنحاء العالم كافة من قبل كل الحركات الاجتماعية للتأثير على وسائل الإعلام الكبرى والتحكم في المعلومات وتكذيبها إذا لزم الأمر أو حتى إنتاجها، وقد تم تملكه في أنحاء العالم كافة من قبل كل الحركات الاجتماعية، لكنها ليست أبدًا الوحيدة التي تستخدم آلية التحريك والتنظيم الجديدة، وأصبحت الحركات الاجتماعية، وكذلك الأفراد قادرين على التأثير على وسائل الإعلام الكبرى والتحكم في المعلومات وتكذيبها إذا لزم الأمر أو حتى إنتاجها.

ويأتي هذا مع الارتباط المُتزايد بين مُعتنقي الأديان واستخدام الفضاء الإلكتروني إما للتعبير عن هويتها أو مُحاولة توظيفه في معارك مع مُعتنقي الأديان الأخرى، ويأتي هذا مع بروز عدد من العوامل على الساحة الدولية، منها بروز دور الدين في العلاقات الدولية بعد انتهاء الحرب الباردة، وتطور هذا الدور بعد أحداث١١ سبتمبر٢٠٠١ في ضوء ما شهده العالم خلال العقد الأخير من تطور مُذهل في وسائل الاتصال والمعلومات وانتشارها عالميًا. لقد بات الفضاء الإلكتروني وسيلة إعلام دولية الطابع سواء ما يتعلق بالمُستخدم أو المُتلقي أو ما يتعلق بدولية التأثير، وذلك بعد أن وصل إلى مئات الملايين من المواقع وما يزيد على ٣ مليار مُستخدم، وكلما تمددت شبكات الاتصال والمعلومات

عالميًا كلما زاد عدد المُستخدمين أيضًا، وهكذا يشهد الفضاء الإلكتروني حجمًا هائلاً من التفاعلات بين المستويين المحلي والدولي، وهو ما يُساعد على انتقال الأفكار والقيم بحرية في أرجاء العالم، وتتنوع تلك الأفكار ما بين السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية غير أن النتائج ترصُد أن الحوار بين مُعتنقي الأديان عبر الفضاء الإلكتروني له جوانب سلبية عديدة تمثلت في استخدام الجماعات الأصولية الدينية مواقع الإنترنت لبث الكراهية والعُنصرية ضد المُختلف الديني، التي ما تلبُث إلا أن تتمحور وتظهر في شكل توظيف سياسي للدين، والاتجاه إلي العنف كوسيلة للتغيير أو ما يتعلق بالتأثير في وحدة المُجتمعات المحلية من خلال التنوع الذي عمل بدوره على زيادة التشتت الثقافي وتحولت شبكة الإنترنت جزئيًا إلى إعلام فئوي يُستخدم لإذكاء الصراعات وتنمية اتجاهات الكره فضلاً عن التأثير في احتكار الدولة الرسمي لوسائل الإعلام وقدرتها على التعبئة والتأثير.

الفضاء الإلكتروني وصنع السلام وحوار الحضارات:

لم تقف المظاهر السلبية لاستخدام الفضاء الإلكتروني حائلاً دون إتاحة الفُرصة أمام المجتمع الدولي لقطف ثمار تلك الثورة التكنولوجية على كافة الأصعدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية وأيضًا على مستوى حوار الأديان أو الحضارات أو على الأقل العمل على إذكاء الحوار بين مُختلفي المصالح والقيم والاتجاهات، وذلك كنتيجة لانفتاح العالم على أجزائه ومكوناته والدور الفاعل والمؤثر للفضاء الإلكتروني في عملية إنْتاج وإدارة وتوزيع العملية الثقافية في العالم، وهو ما وفر للأفراد في كل المجتمعات فُرص التعرف على أوجه عديدة للإنسانية ومُتمايزة عن نظرتهم الأُحادية، ومن ثم ظهر التفاعل ما بين القيم المحلية وبما يحمله الفضاء الإلكتروني من تحدٍ لها ومثل ذلك في الوقت نفسه مجالاً خصبًا لتلاقُح الأفكار وإمكان صياغة فكر إنساني مُشترك.

وهكذا تبلور أكثر دور الفضاء الإلكتروني في توجيه الاهتمام بقضايا عالمية، وإبراز عواقب الصراع على البشرية الأمر الذي فرض الحاجة لزيادة الاهتمام بالسلام ومُعالجة

أية خلافات عن طريق الحوار والتفاوض بدلاً من استخدام العنف والحرب، وأصبح المجتمع الدولي ليس فقط مدفوعًا بدور الدول الراعية للسلام، بل أيضًا بدور الفاعلين الجُدد من غير الدول الذين يدعون للسلام، وأصبح بمقدرة الأفراد التحاور مُباشرة مع غيرهم خارج حدود الدول التي ينتمون إليها، وذلك بالاعتماد على الشبكات الاتصالية الدولية وإنشاء التجمعات الإلكترونية واستخدام أدوات الرأي والتعبير المُختلفة عبر الإنترنت، وأصبح التفاعل يُمكن أن يتم على مستويات محلية بين الدول دون المرور بالضرورة عبر مؤسسات الدولة الرسمية أو حتى عبر المؤسسات الدولية الوسيطة.

وساعد الفضاء الإلكتروني في منع وتسوية الصراع والمصالحة أو حتى إدارة الأزمة، ودعم أيضًا القدرة على إقامة تحالُفات جديدة في صورة شبكات إلكترونية بين الحكومات والمنظمات الدولية والمجتمع المدني والقطاع الخاص وحشد الرأي العام الدولي والتنسيق الفعّال مع تجاوز الحدود المكانية والهياكل البيروقراطية، وأصبح لذلك تأثير في التنظيم الاجتماعي والتفاهُم الدولي المُشترك وفي تسهيل عملية اندماج المُجتمعات المحلية في السياسة العالمية بعد أن أصبح العالم أكثر قُربًا من بعضه البعض فما يحدُث في اي دولة يُمكن معرفته في دولة أخرى، وهكذا سادت الشفافية في نشر المعلومات وحرية الوصول إليها ونقلها والتفاعل بشأنها، وبما يؤثر في تعبئة الرأي العام العالمي خلف ما يحدُث، ودفع الجماهير للقيام برد فعل قد يغلّب عليه الاستجابات العاطفية تارة أو المساعدة في الرشادة في اتخاذ القرارات تارة أخرى، وذلك من قبيل الموازنة بين التكلفة والعائد للصراع مع تجاوز الزمان والمكان وقيود الجغرافيا للكشف عن أماكن الكوارث والصراع، وبما يعمل على تسريع الخُطى لاحتواء الصراعات والتدخل الدولي في إطار الأمن الإنساني المُشترك.

أتاح الفضاء الإلكتروني الفُرصة للتعبير عن جميع الاتجاهات والتيارات السياسية والقضايا منها ما يتعلق بالطبع المحلي والتي يُمكن تدويلها بسرعة أو الأخرى ذات الطابع الدولي، كما تُساعد عملية الانفتاح على مصادر المعرفة والثقافات المُختلفة في دعم فكرة

الاختلاف والتعدُّد، فضلاً عن أن توافر المعلومات عن الصراعات وأعداد الجرحى والقتلى والدمار الذي تُسببه الحروب والصراعات من شأنه أن يُساعد على دعم فكرة السلام على حساب فكرة الحرب، وهو ما يدفع إلى أهمية تعزيز دور الفضاء الإلكتروني في دعم السلام الدولي وبما يُساهم كذلك في بناء رأس المال الاجتماعي المُساند للسلام والتعايُش المُشترك وحل الصراع والمصالحة، وإقرار مبدأ العدل والمساواة ومد جسور التعاون بين كل الدول والمجتمعات.

مُحددات الفضاء الإلكتروني على الرأي العام:

عمل الفضاء الإلكتروني على إتاحة المعلومات بحرية وتبادلها وانتشارها بسرعة، ونقل وجهات نظر مُختلفة عما تروجه وسائل الإعلام الرسمية والصحف التقليدية عن طريق الصحافة للجمهور، والمدونات التي شكلت أحد روافد الإعلام الإلكتروني من خلال قُدرة الفرد على المُبادرة فيما يتعلق بصياغة المادة الإعلامية وتشكيلها والعمل على انتشارها، مع الحرية في اختيار الموضوع وتحرير النص والحجم، وتوقيت النشر وسهولة البث وقلة التكلفة، بالإضافة إلى إمكانية تجاهُل المصدر. كما أن أصحاب المدونات يكون مُتاحًا لهم استخدام كافة الوسائل التقنية في إخراج رسالة إعلامية تجمع بين الصوت والصورة والكتابة والخلفية الموسيقية بشكل يجذب إليها الجمهور.

ولم يُصبح الفضاء الإلكتروني مُجرد وسيلة إعلامية فقط، بل أصبح وسيطًا ومصدرًا هامًا للمعلومات التي يتم توافرها بشكل مُستمر حول شتى القضايا والموضوعات، وهذه المعلومات قد تكون صحيحة ضمن سياقاتها الطبيعية، وقد تُنزع منها فتتغير دلالاتها، وقد تكون معلومات ناقصة ومشوّهة، بل وقد تكون مكذوبة، كما أنها قد تكون معلومات مُحايدة لا يُراد منها خدمة توجّه معين، وقد تكون معلومات موجهة، وهذه المعلومات والمعارف المتنوعة تُعدّ القاعدة الرئيسة التي من خلالها تتمكن وسائل الإعلام من إحداث أنواع مُختلفة من التأثير سواء على المدى القريب أو البعيد.

وعلى الجانب الآخر عمل الإنترنت على نمو الاتجاهات المحلية الضيقة والولايات التقليدية، والعمل على تفتُّت المُجتمعات القومية والهويات الثقافية والدينية وتصاعُد الأصوليات الدينية، وزيادة حجم التعبئة الطائفية على أسس سياسية واجتماعية، والمُساعدة في بث الكراهية الدينية وانتشار جرائم الإنترنت والإرهاب والقرصنة. حيث أصبح للإنترنت دور في إحداث تغييرات في بنية المجتمع وإحداث تغيرات ثقافية واجتماعية من جراء ديناميكيات الإنترنت، وأصبح هناك ما يُمكن أن يطلق علية بتكنولوجيا الثقافة وأصبح لشبكة الإنترنت دور فاعل ومؤثر في عملية إنتاج وإدارة وتوزيع العملية الثقافية في العالم.

والقدرة على إتاحة الفرصة للتعرُّف على ملامح مُختلفة للثقافات العالمية، وظهر الإعلام الإلكتروني الذي أثر في درجة التماثُل الثقافي الذي كانت تتمتع به المجتمعات القومية حيث ظهرت قوى ومجموعات جديدة تستطيع التعبير عن ثقافتها وقيمها المُختلفة عن السياق العام لها، في ظل التصادم ما بين القيم المحلية وما تفرضه الإنترنت من قيم قد تُشكل تحديًا لها، ومن ثم أصبح هناك استخدام للإنترنت لخلق نمط مُختلف يتناسب مع السياق الاجتماعي، ويُعبر عن القيم المحلية، ويُغير طبيعة ونمط التفاعل بين المؤسسات الاجتماعية، كما كشف الإنترنت عن الانتماءات الأولية والهويات التي كانت تُعتبر سرية من قبل، وأثر ذلك في نمط المجتمعات والتراتبية الاجتماعية والوعي الاجتماعي والهوية، وأصبح الفضاء الإلكتروني يُحاكي البيئة الاجتماعية الطبيعية من جراء وجود مجتمعات افتراضية، وتجمهُرات رقمية على شبكة (الإنترنت) والتفاعل بين مُختلف أنواع البشر لهذه الجماعات الإلكترونية.

كان لظهور الإعلام الجديد أثره الواسع والكثيف على المجتمع وفي كافة الأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، وبرز ذلك في تداخُل ذلك الإعلام الجديد وتوظيفه داخل ما يُعرف بمُجتمع المعلومات حيث المعرفة والمعلومات المكون الأساسي له، كما أدى بروز الإعلام الجديد إلى بزوغ أدوات وآليات جديدة يستخدمها فاعلون جُدد

من المدونين ونشطاء الإنترنت في محاولة منهم لإحداث التغيير السياسي والاجتماعي والثقافي داخل مجتمعهم، فتارة يتم استخدام تلك الأدوات كوسائل إعلامية جديدة للحصول على الحشد والتجنيد والتعبئة والتنسيق والتمويل والتواصل مع غيرهم وجمع المعلومات، وتكوين التحالُفات، وتارة أخرى بالتعبير عن ارتباط ذلك بدورهم المُتزايد في الحياة العامة، وتارة بإدارة حالة من النقاش العام حول بعض قضايا المجتمع في محاولة لوضع أجندته وأولوياته.

وكان من أهم تلك الأنشطة التي يقوم بها الفاعلون تتمثل في عدد من الوسائل منها المُشاركة في التعليقات أو نقل الأخبار أو المُشاركة في استطلاعات الرأي الإلكترونية أو إنشاء مدونات أو تكوين المجموعات البريدية أو غرف الدردشة أو يتم ذلك عن طريق تكوين مجموعات على المواقع الاجتماعية مثل موقع (الفيس بوك) وغيرها والتي تجمع الملايين حول العالم، ويأتي إلى جانب ذلك القيام بشن حملات الكترونية تُعبر عن احتجاج ما إزاء وضع معين من أجل تحقيق أهداف سياسية أو اجتماعية أو ثقافية أو دينية.

وينشأ ذلك التأثير وينطلق عبر الفضاء الإلكتروني، ويتم انتقاله وتداوله ونشره إلكترونياً، ويكون ذلك مقدمة للتأثير في الشارع الاجتماعي والسياسي، أو أن يكون ذلك التأثر انعكاسًا ومواكبة ومُشاركة لحالة الحراك الاجتماعي والسياسي، ويكون دور تلك الحملات مُقتصرًا على الترويج الإعلامي لها والدعوة للتضامن والتآزر خلف القضية التي تُمثلها، أو أن تكون تلك الحملات تنشأ بالتوازي مع ظهور الحركة الاحتجاجية أو الداعية إلى تغيير سلوك ما داخل المجتمع. ويتم ذلك عبر السعي إلى إيجاد فكر جديد لحل المُشكلات، ونشر هذا الفكر عبر وسائل الإعلام الجديد في محاولة للتأثير في الرأي العام، وذلك من أجل تغيير الواقع أو الإسهام في تغييره.

ويُمكن ذكر عدد من الملاحظات تتعلق بمحدودية تأثير الفضاء الإلكتروني في الرأي العام، ومن ثم تكون عُرضة للتلاشي وقصر عمرها الافتراضي وضعف القدرة على الانتشار،

وتتطلب عملية إدارة عملية التأثير في الرأي العام وضع استراتيجية مرنة لاستيعاب عدد من المُتغيرات التي تُمكنها من استيعاب الأفكار الجديدة وقبول النقد البناء.

وقد ترجع محدودية التأثير إلى عوامل ذاتية ترتبط بطبيعة الارتباط بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات ومدى وجود فجوة رقمية بين من يملك الاتصال ومن لا يملك، هذا بالإضافة إلى طبيعة علاقة ما يتم إثارته على الفضاء الإلكتروني بالواقع والتعبير عن القضايا الأكثر إلحاحا والتأثير في وضع أجندة الجمهور وأولوياته.

وقد تستند حملات التأثر في الرأي العام عبر الفضاء الإلكتروني إلى معلومات خاطئة أو تتعرض لحالة الاستقطاب الطائفي الذي ينقلها من كونها ذات أهداف عامة، وتتعلق بالمواطنة وعلاقة الفرد بالدولة وعلاقته بالمجتمع إلى سلاح يتم استخدامه في شن حرب نفسية مع المُختلف الديني عن طريق استخدام أدوات الإعلام والاتصال عبر الفضاء الإلكتروني في شحن الجمهور وتعبئته بآراء مغلوطة أو يتم تضخيمها، وبما يُشكل في مُجمله خطرًا على مُستقبل السلم الاجتماعي وخاصة ما يتعلق بالحض على الكراهية الدينية والعُنصرية.

وكذلك قد يتم استخدام حملات التأثير في الرأي العام عبر الفضاء الإلكتروني من قبل جهات تهدف إلى نشر الشائعات التي قد تضُر بمصالح قومية، فمثلاً التضخيم من مسألة التحرُش الجنسي في مصر وتأثير ذلك على السياحة أو ما يتعلق بعرض حالات الفساد بما قد يضُر بفرص الاستثمار، وهذا إلى جانب أن الحملة قد لا تُعبر عن واقع إجتماعي حقيقي أو رغبات واسعة لدى الرأي العام، وقد تستخدم بعض الجهات الخارجية المُعادية الإنترنت لبث شائعات بهدف التأثير في الاستقرار الداخلي كحالة الاحتجاجات على نتائج الانتخابات الرئاسية في إيران ٢٠٠٩، وتبقى إمكانية مجهولية المصدر لتلك الأفكار تدفع بالاعتقاد بأن تلك الدعوة ذات طابع شعبي عام إلى جانب أن سرعة انتشار المعلومات عبر الإنترنت وزيادة حجم التفاعلات الاتصالية قد تعمل على تضخيم من قضايا فئوية أو شخصية لتُصبح .كقضية عامة مُستفيدة من الزخم الإعلامي الذي يثار حولها.

وظهرت ثلاثة أنواع من حملات التأثير في الرأي العام عبر الفضاء الإلكتروني ارتبطت بالتطوع أو الحصول على الدعم أو الحشد أو تنظيم فاعليات، ومن هذه الأنواع نوع من الحملات ارتبط بالانتقال من حدث واقعي ليتنقل إلى التفاعُل عبر الفضاء الإلكتروني معه من خلال تكوين التجمعات والروابط الشبكية سواء في شكل مجموعات (الفيس بوك) أو في المجموعات البريدية أو غيرها ومثال لذلك حالة إضراب عمال المحلة، أو التعبير عن رفض بيع بنك القاهرة، وكان هناك نوع آخر من الحملات ظهر كفكرة داخل إحدى التجمعات الإلكترونية بأنواعها المُختلفة ليتم التفاعل معها وانتقالها بين مُختلف مُستخدمي المواقع الاجتماعية والإنترنت بصفة عامة، وكان من أبرز تلك النماذج حركة إضراب ٦ أبريل والتي ارتبطت أو استفادت من الواقع الاجتماعي لمُمارسة المزيد من الحشد والتعبئة.

أما النوع الثالث الذي يفترض أن يكون فالحملات الإلكترونية المواكبة لحادث تفاعُلي على أرض الواقع والتي ارتبط أغلبها بنسق القيم داخل المجتمع، وهذا النوع إذا كان غير كامل النجاح السريع إلا أنه يُساهم على المدى الطويل في تغيير القيم وخلق نسق قيم جديد، ومن أمثال تلك الحملات حملة «احترم نفسك .. لسه فيك رجالة يا مصر» لمواجهه التحرّش الجنسي أو ما يتعلق بمحاولة مواجهه العنف اللفظي ضد المرأة مثل حملة «قل لي امرأة ولا تقُل مُزة»، أما النوع الرابع من تلك الحملات التي تتعلق بالتوعية مثل حملة «اللجنة القومية لمُكافحة أنفلزنزا الخنازير» أو ما يتعلق بدعم العمل الخيري كدعم حملة التبرع بالدم أو مستشفى السرطان أو جمع التبرعات لمنكوبي غزة.

وتلعب تلك الحملات عبر الفضاء الإلكتروني في مُجملها على دعم التنمية الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية بالإضافة إلى المُساهمة في دعم الحكم الرشيد والمحاسبة والتي قد تأتي في شكل احتجاج ضد بعض مُمارسات أجهزة الدولة أو احتجاج على أوضاع اجتماعية واقتصادية قائمة أو احتجاج على قيم المجتمع التي قد يتم النظر إليها على نحو سلبي كالنظرة إلى المرأة أو التحرش الجنسي أو النظرة إلى المُطلقات أو مواجهة السلبية بصفة عامة.

ومن ثَمَّ فإن التجمعات الإلكترونية والتي تُعبر عن نفسها برد فعل إيجابي بقيامها بشن حملات من أجل التأثير في الرأي العام عبر الفضاء الإلكتروني تأتي لكي تُشبع حاجة اجتماعية في التعارُف والتواصل وتحقيق نوع من الاتصال المُباشر والالتصاق بقضايا الشارع، وهذا الاهتمام لا يُفرق على أسس سياسية أو من حيث السن أو الجنس أو الدين، وهذا ما يجعل هذا المجتمع يتسع باتساع دائرة الاهتمام بالقضية وتحمل نوعًا من المصداقية حيث إن أغلبهم لا ينتمون إلى أحزاب سياسية أو يتلقون تمويلاً خارجيًا، بل إنهم يقومون بعمل تطوعي لخدمة المجتمع الذي يعيشون به، ويُمكن استغلال ما تُعبر عنه تلك الحملات من قدرات شبابية في خدمة المجتمع عن طريق تعزيز علاقتهم بأجهزة الدولة بدلاً من تجاهلهم.

الخاتمة

ساعد الفضاء الإلكتروني في زيادة فرص وعدد الفاعلين في تشكيل الرأي العام وكسر حواجز الخوف بما أدى إلى حالة من الانفجار أو العشوائية من جانب ومن جانب آخر أدى إلى إتاحة الفُرصة أمام فئات جديدة والمُهمّشين للتعبير عن مصالحها.

وأوجد الفضاء الإلكتروني عددًا من الأدوات والآليات الجديدة التي تتميز بعناصر تنافسية وجاذبة للجمهور، ووفر أدوات جديدة للتعبير والاتصال تتميز بالسهولة والانتشار وتجاوز الحدود المكانية والزمانية، ووفر الفضاء الإلكتروني كوسيلة إعلام دولية الطابع، الفرصة لتحويل القضايا المحلية إلى الطبيعة الدولية بما ساعد على دمج المُجتمع المحلي في السياسة العالمية مع كسر سيطرة الإعلام الغربي على حركة الإعلام الدولي، وأتاح الفضاء الإلكتروني الفُرصة لتداخُل التأثير بين ما هو محلي وما هو دولي حيث التلاحم ما بين الجمهور وقادة الرأي بشكل يُتيح فرصة تشكيل التحالُفات والتكتلات التي تقف خلف مصالح مُعينة.

ومثلت التجمعات الإلكترونية والحملات والمجموعات البريدية والنشطاء على المواقع الاجتماعية منصات للرأي والتأثير، وجمع وجذب أكبر عدد من المُستخدمين.

وضاعف الفضاء الإلكتروني من القنوات التي من خلالها يتم تدوير المعلومات والأفكار في نطاق موسع، واستطاعت هذه الوسائل في ذات الوقت أن تُضعف من قُدرة السلطات على الرقابة والقمع والتأثير في الرأي العام.

وعمل الفضاء الإلكتروني كوسيط أو كمؤسسة للرقابة على أداء السُّلطات التنفيذية من خلال ما يتم في شكل مُعارضة أو احتجاج قد تأتي في صورة تعليقات إلكترونية أو المُشاركة في استطلاعات الرأي أو غرف الدردشة أو بتشكيل تحالُفات وحركات مُعارضة وذلك مع التجاوز النسبي للقيود على حرية الرأي والتعبير.

وأتاح الفضاء الإلكتروني الفُرصة للتعبير عن المُهمشين اقتصاديًا كالفقراء أو دينيًا كالأقباط والشيعة والبهائيين والقرآنيين وغيرهم بما أدى لظهور هويات كانت سرية من قبل، وظهرت إلى العلن لتُعبر عن نفسها . ومنحتهم القدرة على مُخاطبة الرأي العام وصوغ أهدافه والتلاحم مع مشاكله بدرجة أكبر وأسرع من المؤسسات التقليدية.

وكان لاتساع الفضاء الإلكتروني أمام كافة الفاعلين وجاذبية أدواته دور في استخدامها كأداة لبث الكراهية والعنف وشن الحرب النفسية ومحاولة التأثير في الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي الداخلي قد تقف وراءها جهات خارجية أو مُعادية.

وأدى ظهور الفضاء الإلكتروني واستخداماته إلى تغيير شكل وطبيعة عمل النظام السياسي حيث لعب الفضاء الإلكتروني دور المؤسسات الوسيطة والتواصل ما بين عملية صنع القرار والرأي العام.

وعلى الرغم من تمكُّن المُعارضين من استخدام الفضاء الإلكتروني في مُهاجمة الحكومة إلا أن الحكومة تمتلك الفُرصة أيضًا في استغلال قُدراتها وتعزيز مهامها على نحو يعمل على تحقيق مطالب الجماهير بسهولة ويُسر عن طريق الحكومة الإلكترونية، أو عن طريق استخدام الإنترنت كوسيلة إعلام لتبرير وجهات نظر الحكومة أو النظام الحاكم تجاه المُخالفين له أو مُمارسة الرقابة عليهم أيضًا.

وساعد الفضاء الإلكتروني على نقل النشاط السياسي الداخلي إلى ظاهرة عالمية حيث التواصل بين دول العالم المُختلفة والانفتاح حول التطورات الديمقراطية في العالم وزيادة الوعي بحقوق الإنسان عالميًا جعل هناك حالة من حالات تدويل القضايا المحلية سواء بجذب اهتمام الرأي العام الدولي أو الضغط على المؤسسات السياسة الحاكمة من قبل المؤسسات الدولية، أو العمل على النيل من شرعية النظام وسمعته الدولية.

ومن ثم أصبح الفضاء الإلكتروني أصبح يُستخدم في العمليات النفسية وحرب الأفكار والغزو الثقافي وخاصة أنه يُلائم عدم التوجه إلى تصعيد العنف من قبل الأعداء خاصة في حالة القرارات السياسية الخلافية، وكذلك عدم قدرة الحكومة على تنظيم تدفُق المعلومات عبر الحدود، فإنه يجعل الجمهور يخضع للعمليات النفسية. .

وتحتاج عملية تدفق المعلومات عبر الفضاء الإلكتروني إلى مواطن غير تقليدي يستطيع أن يفرز المعلومات دون أن ينساق خلفها، وهذا ما يحتاج أيضًا إلى رد فعل حكومي غير تقليدي، رد يُركز على مواجهة الأفكار بأفكار مُضادة دون اللجوء إلى التصعيد باعتقالات أو غيرها؛ لأن من شأن ذلك إطالة التوتر والأزمة.

وتصبح قُدرة أي فرد على أن يكون إعلاميًّا في أن يملُك القدرة على بث مواد إعلامية ونشرها قد يؤدي إلى مُمارسة المزيد من الضغط على الحكومة حيث تكون الطلبات والضغوط أكبر من قدرة الحكومة على الاستجابة لها، كما أن ذلك قد يؤدي إلى انشغال الجهات التنفيذية بالنواحي الإعلامية على حساب مُعدلات الإنجاز على أرض الواقع.

وتأتي العلاقة بين الفضاء الإلكتروني والرأي العام في شكل أفكار قد لا تلقى بشعبية كبيرة أو تُمثل أحد أولويات المجتمع بل إنها قد تُعبر عن مصالح فئة محدودة بما يعمل على تضخيمها وبعدها عن حجمها الحقيقي داخل المجتمع، وبما قد يؤدي إلى بعض تلك القضايا إلى أن تُصبح كما لو كانت قضية رأي عام.

ويمكن أن يكون هناك حالة من الانقطاع عن الواقع نتيجة الارتباط بالفضاء الإلكتروني بما يؤثر في شكل التفاعلات الاجتماعية الواقعية، ويؤدي التواصل الإنساني عبر الاتصال غير المُباشر، ومن أناس قد يكونون مجهولي الهوية إلى الإضرار بالتفاعلات الاجتماعية الأخرى التي قد تتم داخل الأسرة أو الأصدقاء أو الجامعة أو الأحزاب السياسية أو المُجتمع المدني.

المصادر والمراجع

أولاً: باللغه العربية:

- عبد الغني عماد، سوسيولوجيا الثقافة- المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية.
- مجموعة مؤلفين، التقرير العربي الأول للتنمية الثقافية، بيروت، مؤسسة الفكر العربي، ٢٠٠٨م.
- جون هارتلي وآخرون، الصناعات الإبداعية، ترجمة: بدر السيد سليمان الرفاعي، الكويت، عالم المعرفة، ٢٠٠٧م، ج١.
- زاهر راضي، «استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي»، مجلة التربية، ع١٥، جامعة عمان الأهلية، عمان، ٢٠٠٣م.
- عباس مصطفى صادق، «الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة»، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال، ٢٠١١م.
- عباس مصطفى صادق، «الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات»، عمان، دار الشروق، ٢٠٠٨م.
- أولجا جوديس بيلي، بيلي كاميرتس، نيكوكاربنتيير، «فهم الإعلام البديل»، ترجمة: علا أحمد إصلاح، القاهرة، مجموعة النيل العربية، ٢٠٠٩م.
- دنيس مكويل، الإعلام وتأثيراته - دراسات في بناء النظرية الإعلامية، ترجمة: عثمان العربي،١٩٩٣م .

- مي العبد الله، الاتصال والديمقراطية، بيروت، دار النهضة العربية،٢٠٠٥م.

- نصر الدين العياضي، «الرهانات الإبستمولوجيّة والفلسفية للمنهج الكيفي/ نحو آفاق جديدة لبحوث الإعلام والاتصال في المنطقة العربية»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧-٩ ابريل ٢٠٠٩م، ص١٨.

- عزة مصطفى الكحكي، «استخدام الإنترنت وعلاقته بالوحدة النفسية وبعض العوامل الشخصية لدى عينة من الجمهور بدولة قطر»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧-٩ أبريل ٢٠٠٩م، من ص٢٦٩ إلى ص٢٧٢.

- عبد الله زين الحيدري، «الإعلام الجديد: النظام والفوضى»، أبحاث المؤتمر الدولي، «الإعلام الجديد: تكنولوجيا جديدة... لعالم جديد»، جامعة البحرين، من ٧-٩ أبريل ٢٠٠٩م، ص١٢٨.

- بهاء الدين محمد مزيد، «المجتمعات الافتراضية بديلاً للمجتمعات الواقعية/ كتاب الوجوه نموذجًا»، جامعة الإمارات العربية المتحدة، ٢٠١٢م.

- علي محمد رحومة، الإنترنت والمنظومة التكنو- اجتماعية، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٧م.

- نهوند القادري، «قراءة في ثقافة الفضائيات العربية الوقوف على تخوم التفكيك»، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠٨م.

- جمال الزرن، تدويل الإعلام العربي، الوعاء ووعي الهوية، دمشق، دار صفحات، ٢٠٠٧م.

- سعيد بن جبلي، رصد الإعلام الجديد وعلاقته بالرأي العام- سلاح المهمشين العرب، في ثالث أيام مهرجان القاهرة للإعلام، الثلاثاء٢٠٠٧/١٢/٤م.
- جمال الزرن، «هندسة المكان الافتراضي منتجة لخطاب ثقافي»، مدونة مقعد وراء التلفزيون.
- عبد الله الزين الحيدري، ما المقصود بالزمن الميدياتيكي؟ مدونة أجيال.
- عبد العزيز طرابزوني، «حقيقية الإعلام الجديد في الربيع العربي.. ومستقبله».
- ياسين النصير، «ثقافة التغيير»، مجلة الرافدين.
- جمال الزرن، «أنسنة» أو الثقافي في تكنولوجيات الاتصال والفضاء العام، مدونة مقعد وراء التلفزيون.
- السيد يسن «شبكة الحضارة المعرفية من المجتمع الواقعي إلى العالم الافتراضي»، دار ميريت، القاهرة ٢٠٠٩.
- حسن مظفر الرزو، «الفضاء المعلوماتي»، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، بيروت ٢٠٠٧،ص ص ٢١٢-٢٢٣.
- عادل عبد الصادق «الاحتجاج الإلكتروني والفاعلون الجدد في الحياة السياسية» ملف الأهرام الاستراتيجي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام العدد ١٦٢، يونيو ٢٠٠٨.
- ـــــ «الإعلام الجديد وبروز الفاعلين الجدد في المجال العام: حالة استخدام الحملات الإلكترونية، ورقة مقدمة لـ مؤتمر الإعلام والتعبئة والمحكومية في مصر، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام. ٥-٦ يوليو ٢٠٠٩.
- «الفضاء الإلكتروني وحوار الحضارات وصنع السلام» جريدة الأهرام، ٧-٥-٢٠٠٩.

- «حقيقة دور الإنترنت في بث الكراهية الدينية في العالم»، ملف الأهرام الاستراتيجي، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام، العدد ١٤٤، ديسمبر ٢٠٠٦
- «الحملات الإلكترونية والتأثير في الرأي العام» جريدة الأهرام، ١٧ مارس ٢٠١٠. http://www.ahram.org.eg/108/2010/03/17/4/11752.aspx
- الديمقراطية الرقمية، سلسلة مفاهيم، المركز الدولي للدراسات المستقبلية والاستراتيجية، أكتوبر ٢٠٠٩
- علي محمد رحومة، «علم الاجتماع الآلي»، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ٢٠٠٨
- مانويل كاستلز «وسائل الاتصال الجماهيرية الفردية الجديدة» مجلة لوموند دبلوماتيك، أغسطس ٢٠٠٦.
- محمد جمال عرفة «تأثير الحملات الإلكترونية على الرأي العام -إسلام أون لاين- ٢٠٠٦/٠٦/١٨ محمد خليل «الرأي العام الإلكتروني»، شبكة إسلام أون لاين.
- مراد بن علي زريقات، الرأي العام الإلكتروني (تأثير وسائل الاتصال الإلكترونية في الرأي العام). ورقة عمل مقدمة ضمن ندوة الجرائم الإلكترونية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، ٢٠٠٨/٠٦/٠٤-٠٢م
- وليد رشاد زكي عمر طه «الجماعات المتشكلة في الفضاء العالمي: بناؤها ومضامين تفاعلاتها الاجتماعية » رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ٢٠٠٧، ص ٤٥-٥٠.

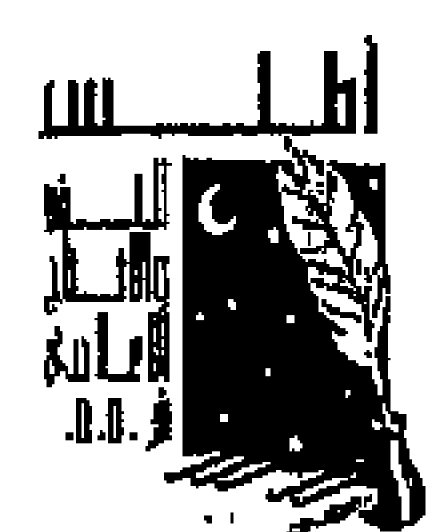
ثانياً: باللغة الإنجليزية:

- Acicognani,"on the linguistic nature of cyber space and virtual communities", virtual reality ,vol.3,1998 ,pp16-24
- Chang Woo-young ,The Cyber Balkanization and Structural Transformation of the Public Sphere in Korea, *Journal of Contemporary Eastern Asia, Volume 7, No.2: 29-48* September 2008 | 29
- Habermas, Jürgen. **The Structural Transformation of the Public Sphere: An Inquiry into a category of Bourgeois Society. Trans. Thomas Burger with Frederick Lawrence. Cambridge, MA: MIT Press, 1991& Marshall Soules, Jürgen Habermas and the Public Sphere, http://records.viu.ca/~soules/medi205/habermas.htm**
- Towards: knowledge societies , unesco world report ,unesco 2005(http/ www.uesco.org/publications)
- http://usinfo.state.gov/journals/itgic/0306/ijga/welcome.htm
- Lincoln Dahlberg ,Cyberspace and the Public SphereExploring the Democratic Potential of the Net,Convergence **March 1998** vol. 4 no. **1 70-84**
- Kasun Ubayasiri ,Internet and the Public Sphere: A glimpse of YouTube ,CENTRAL QUEENSLAND UNIVERSITYhttp://ejournalist.com.au/v6n2/ubayasiri622.pdf

- WANG Rong,Research on public sphere in cyberspace:Dominance, verbal conflict and interaction processes of China's online forum,Communications and New Media Programme,Faculty of Arts and Social Sciences,National University of Singapore http://www.cprsouth.org/wp-content/uploads/drupal/Rong%20Wang.pdf

الفهرس

الصفحة



أطلس

للنشر والإنتاج الإعلامي

أصبح للفضاء الإلكتروني دور في صناعة وتشكيل الرأي العام ليس فقط على المستوى المحلي بل العالمي، وساعد على ذلك زيادة الارتباط العالمي بتكنولوجيا الاتصال والمعلومات، وأصبح هناك ما يزيد على مليار مُستخدم للإنترنت وما يزيد على ٤ مليار مستخدم للهاتف المحمول عالميًا وخاصة بين فئة الشباب الأكثر نشاطًا ودراية بها، وبما انعكس في ظهور فاعلين كثيرين في تشكيل الرأي العام، وذلك بعد تفكك سيطرة الدولة لوسائل الإعلام والحد من قدرتها على التعبئة وحشد للجماهير، وساهم الإعلام الجديد في بروز دور الأفراد والجماعات الذين يُمكنهم من استخدام الفضاء الإلكتروني لنقل وتبادل وإنتاج المعلومات ونشرها بين قطاع عريض من الجمهور، وبما يفتح ذلك المجال للتأثير في أولويات القضايا لدى الرأي العام .

ودفعت تلك الأدوات الجديدة إلى استخدامها بشكل إيجابي في تحقيق نوع من التواصل الإنساني بين العديد من التجمعات البشرية والأفراد من كافة أنحاء العالم، وأصبحوا يجتمعوا حول قضايا مُشتركة تؤثر فيهم ويؤثرون في انتشارها ودعمها، وذلك في ظل حوار ندي بين العديد من الأفراد حول العديد من القضايا المحلية والعالمية.

تصميم الغلاف/ إسلام حمدي



